

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع والديمغرافيا

التعليم الرسمي وعلاقته بالحراك الاجتماعي
في مجتمع الجنوب الجزائري
دراسة ميدانية على خريجي الجامعة في بلدية الدبيلة
(وادي سوف)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم اجتماع التربية

إشراف الدكتور

الطاهر إبراهيمي

إعداد الطالب

لوحدي فوزي

اللجنة المناقشة

د/ الطاهر إبراهيمي مشرفا ومقررا

د/ عبد العالي دبله رئيسا ومناقشا

د/ نور الدين زمام مناقشا

د/ رشيد زوزو مناقشا

السنة الدراسية: 2010/2009

مقدمة

على الرغم من أن عملية النهوض وردم فجوة التخلف هي عملية مجتمعية إلا أنها تبدأ عند الفرد في إطار الدائرة التي يشغلها ويتوسع فيها لتتراكم جهودات الأفراد وتشكل مجرى كبير تنخرط فيه الأمة جميعا ، ذلك انه إن لم ن فكر في تصويب المعادلة واستعادة إنسان الواجب ومحاصرة إنسان الحق فقط ،أصابنا التخلف وتحول الإنسان من استشعار المسؤولية إلى الاكتفاء بالحكم على الآخرين ، وبهذه الصورة لن تكون هناك تنمية حقيقية ،مهما اتسعت مؤسسات الاستهلاك وكثرة مستورداتها.

ولا خلاف عند معظم المفكرين والمنظرين في أن إشكالية التنمية في مجتمعاتنا بل في كل مجتمعات العالم تكمن في نظام تعليمهم ومنهجيته وأدائه ،وان التربية هي التنمية ذاتها ، وان عامل النهوض والتنمية لابد أن يبدأ من العلم والتعليم ، وان نهضتنا وحضارتنا ورسالتنا انطلقت من { اقرأ } ولم تبدأ بأي تكليف آخر ، فلا عبادة ولا انجاز ولا مجاهدة ولا تقدم ولا تنمية بدون معرفة لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "اقرأ وارتنق " فسبيل النمو والارتقاء هو المعرفة وبهذا يمكن القول أن التعليم يمثل الأزمة الأم في مجتمعاتنا وذلك لسببين مهمين هما :

أن الصلاح والفساد في الأرض مبني على صلاح وفساد الإنسان كما قال تعالى { ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلمهم يرجعون } (الروم 41) ودليل الخطاب لهذه الآية يفيد أن ظهور الصلاح في البر والبحر أيضا إنما يتحصل بما كسبت أيدي الناس ، فإذا كان صلاح العالم مرهون بصلاح الإنسان ، وفساده بفساده ، فليس هناك وسيلة لإصلاحه وتهذيبه وتنمية قدرته أفضل وأولى من التعليم .

إن إصلاح الإنسان بتعليمه سوف يؤدي غالبا إلى الخروج من الأزمات الأخرى ،حيث إن المجتمعات إذا تم إصلاح أفرادها وتوجيههم بالتعليم فسوف يؤدي كل فرد دوره الميسر له ،وبذلك تصلح العقول وتستقيم الأفكار ،وتنهض الأمة ،وتخرج من المأزق الحضاري الذي أحاط بها من كل جهة.

وهكذا ، فإن موضوع الحراك من أهم الموضوعات التي تشغل الناس أفرادا وجماعات فكلهم يسعون جاهدين لبلوغ مكانات اجتماعية أرقى طالما أن الهدف الأساسي للحراك هو تغيير حياة الناس على حسب قدراتهم وعزيمة كل فرد منهم فلا غرابة أن يكون هذا الموضوع ذا أهمية حضارية لكونه يشمل مختلف أوجه النشاط في المجتمع بما يحققه من رفاهية الإنسان وكرامته ، وهو أيضا بناء لكفاءاته، كما انه اكتشاف لموارد المجتمع وتنميتها وحسن الاستفادة منها .

ونظرا لأهمية موضوع الحراك فقد شغل حيزا هاما من تفكير بعض الكتابات المهمة بالتطور الاجتماعي والرقى الإنساني ، وما كانت كتابات العديد من علماء الاجتماع الغربيين إلا ردا على شبح الماركسية التي دعت إلى حراك اجتماعي ثوري مهدد لمصالح البرجوازية .

وفي هذه الدراسة نحاول التعرف على الحراك الاجتماعي من خلال التطرق إلى تعريفه عند العديد من الباحثين لنصل إلى تعريف إجرائي له مما يسهل علينا معرفته، ونتطرق بعدها إلى أشكاله والعوامل المؤثرة ، وهو ما تؤكد عليه الدراسات السوسيولوجية التي تناولت الحراك الاجتماعي ، مبتدئين بنظرة المفكرين الإسلاميين ، ومن ثم ننتقل إلى المدارس الغربية واهم منظرها على شقيها المحافظ والراديكالي ، و نتعرف على الحراك الاجتماعي في المجتمع الجزائري، ومن هنا كان علينا أن نتعرف على تاريخ ومراحل تحرك الفئات الاجتماعية الجزائرية وما تحمله كل مرحلة من خصائص وتقلبات و أسباب الحراك في المجتمع الجزائري وبهذا نصل إلى تصوير عام لواقع الأسرة الجزائرية في المرحلة الحالية .

ويأتي بعد ذلك موضوع التعليم الرسمي في الجزائر بوصفه عامل مؤثر في الحراك الاجتماعي وذلك بالتصدي في البداية إلى نبذة تاريخية عن المراحل التي مر بها وما احتوته كل مرحلة من تغييرات وخصائص وإصلاحات من قبل الاستعمار إلى المرحلة الحالية ، كما سنتعرف على أهداف التعليم ومطالب ومبادئ التربية والتعليم و الركائز التي تقوم عليها المنظومة التربوية الجزائرية وسنتعرض بالإشارة

إلى الإصلاحات التي طرأت على التعليم الرسمي في الجزائر بعد الاستقلال فهيكلة
المنظومة التربوية فالتحديات التي تواجهها
وليست هذه الدراسة إلا محاولة لفهم العلاقة بين التعليم الرسمي والحراك
الاجتماعي ضمن مقاربة سوسيولوجية امبريقية على عينة من مجتمع الجنوب
الجزائري أين تشح الدراسات السوسيولوجية.

1 الإشكالية

لقد عاشت المجتمعات منذ بداية الحياة تقلبات وتغيرات تحركت فيها طبقاتها صعودا ونزولا حيث فرضت الحياة الاجتماعية على الإنسان العيش جنبا إلى جنب مع بقية الناس الأمر الذي دفع به إلى السعي لتحسين حالته وتغييرها تغييرات مستمرة ومتواصلة فمن حالة إلى حالة ومن موضع داخل المجتمع إلى موضع آخر تستمر حياة الإنسان ...

والمجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات عاش هذه الحالة من التقلبات عبر حياته الطويلة ، فالفرد الجزائري طموح إلى تحسين حالته والرقى بها ضمن سلسلة من العمليات الاجتماعية هي ما يعرف بالحراك الاجتماعي ..

والحراك الاجتماعي هو ذلك التغير الذي يمس فردا او شريحة من المجتمع في كل مظاهرها الاجتماعية من ثقافة وتربية واقتصاد بما في ذلك الدخل والسكن ومستوى المعيشة وطريقة التفكير والتصرف و يكون ذلك إيجابيا او سلبيا كليا أو جزئيا تؤثر فيه عوامل الحروب والحركات الإصلاحية ويعمل فيه أفراد المجتمع أحرارا أو منتمين إلى جماعات اجتماعية مما يعني أن الحراك الاجتماعي منهجية وإستراتيجية عمل تأخذ في اعتبارها بعدي الزمان والمكان ، وتستصحب قيم الأمة ومعادلاتها الاجتماعية ، وتتوقف طويلا عند مقومات فترات التآلق والإنجاز لتقيس منها وتستصحبها كما تتوقف بالقدر نفسه عند فترات التراجع والتقهقر والتخلف ، لتبحث في الأسباب التي أنشأتها ، وتحدد مواطن الخلل والقصور التي حالت دون بلوغ الأهداف المأمولة فتعتبر بها ، وتكون فيه شرائح صاعدة وأخرى نازلة وأخرى تتحرك تحركا أفقيا ومما يلفت النظر أن المسألة هي معدل هذا الصعود والهبوط وما ينتج عنه من تطورات اجتماعية في أي مجتمع وفي أي عصر من العصور¹ ، ويكون الحراك الاجتماعي داخل المجتمع في صورتين إحداهما صورة حراك تناقض تتناقض فيه آراء ومصالح الأفراد والشرائح الاجتماعية مع بعضها البعض ويدار بطريقة سلمية وتفهميه بعيدا عن العنف والقوة وتكون الطبقة الوسطى هي مولد الحراك الاجتماعي صعودا ونزولا وهي التي تنتج ثقافة صراع المواقف مما يؤدي

عمارة يعقوبيان تصوير للحراك الاجتماعي الشاذ ، ندوة لمناقشة رواية عمارة يعقوبيان لعلاء الاسواني ، القاعة الشرقية الجامعة الامريكية ،
www.google.com. 23/10/2007¹

إلى الازدهار الثقافي والديمقراطي وتعمل فيه السلطة على محاولة امتصاص حرارة الرأي الآخر، وأما الصورة الأخرى هي صورة حراك التعارض تكون فيه طبقة تحكم المجتمع وتفرض عليه قوانينها وأحكامها وطبقات أخرى تتصارع معها بأراء تخالفها تماما وتكون القوة والعنف، القهر، السجن للآخر هي الجو السائد على هذه الصورة للحراك الاجتماعي ويكون كذلك في هذه الصورة تدمير للحراك الاجتماعي بتدمير الطبقة الوسطى.

وتتحكم في الحراك الاجتماعي عديد من العوامل والمؤثرات ومن أهمها التعليم. والتعليم هو تلك العملية التي يمارسها الكبار أو المعلمون أو المصلحون على الصغار أو هو نقل ارث المجتمع من تقاليد وثقافات وقيم وإصلاحات ونصائح وتوصيات وهو كذلك عملية صقل لمواهب النشء الجديد حسب ما تقتضيه حاجات المجتمع من كفاءات ويد عاملة ويهدف إلى تخريج مجتمع من النشء القادم يحمل على عاتقه الخروج من الأزمة التي واجهها الآباء قبله والأخذ بمسار تحرير أفكار المجتمع من الأوهام التي يعيشها وجعلته لا يتقدم نحو مسار الحضارة والتعليم الرسمي هو ذلك التعليم الذي تشرف عليه الدولة بوضع برامجه من خلال الوزارة الوصية والذي يتم في المؤسسات الخاصة به وبمراحل المعروفة من الابتدائي إلى المتوسط إلى الثانوي إلى الجامعي والذي يتميز في الجزائر بالمجانبة وتكافؤ الفرص لكل المواطنين والإجبارية من سن السادسة إلى سن السادسة عشر وبكل ما ادخل عليه من إصلاحات وبكل ما يحمله من قيم لها أصالتها وعلاقتها بالمجتمع الجزائري والمجتمع العالمي وبكل ما يفتحه للمتعلم من آفاق مستقبلية. وتحاول الدراسة الحالية الانطلاق من تساؤل رئيسي هو:

هل هناك علاقة بين التعليم الرسمي والحراك الاجتماعي في مجتمع الجنوب الجزائري؟ والأسئلة الفرعية التي يمكن ان تكون مناط تحليل يساعد في الإجابة عن التساؤل الرئيسي هي:

هل ان للتعليم الرسمي علاقة بالحراك الاجتماعي الاقتصادي في مجتمع الجنوب الجزائري؟

هل ان للتعليم الرسمي علاقة بالحراك الاجتماعي الثقافي في مجتمع الجنوب الجزائري؟

2 أسباب اختيار الدراسة:

(1) التخصص في المجال

- الدراسات في هذه الموضوعات في المجتمعات الصحراوية لا زالت في طور المبادأة2
- كشف العلاقة القائمة بين التعليم والحراك الاجتماعي في مجتمع الجنوب الجزائري 3
- 4- لما يحتله موضوع التغيير والتعليم من أهمية في مجال التخصص.

3 أهداف الدراسة

التعرف على العلاقة بين التعليم الرسمي والحراك الاجتماعي في مجتمع الجنوب الجزائري.

التعرف على العلاقة بين التعليم الرسمي والحراك الاجتماعي الاقتصادي في مجتمع الجنوب الجزائري.

التعرف على العلاقة بين التعليم الرسمي والحراك الاجتماعي الثقافي في مجتمع الجنوب الجزائري.

4:الفرضيات

الفرضية الرئيسية : توجد علاقة بين التعليم الرسمي والحراك الاجتماعي في مجتمع الجنوب الجزائري.

الفرضية الفرعية الأولى هناك علاقة بين التعليم الرسمي والحراك الاجتماعي الاقتصادي في مجتمع الجنوب الجزائري.

الفرضية الفرعية الثانية : هناك علاقة بين التعليم الرسمي والحراك الاجتماعي الثقافي في مجتمع الجنوب الجزائري.

5- الدراسات السابقة

1.5 الدراسة الأولى القيم التنموية في المدرسة الجزائرية "دراسة تحليلية لمحتوى كتب القراءة للطور الثاني من التعليم الابتدائي مذكرة ماجستير مقدمة من طرف الطالب عريف عبد الرزاق جامعة بسكرة 2005 وتهدف الدراسة إلى :

الوقوف على واقع القيم الحائثة على التنمية والمشجعة على الفعل التنموي في المدرسة الجزائرية

محاولة الكشف على القيم التنموية في الكتاب المدرسي بنية التنبيه إلى هذه الأخيرة في إعداد الطفل ذو الوعي التنموي

إبراز أهمية التعليم بصفة عامة والمدرسة بصفة خاصة التنمية تسليط الضوء على الدور الذي تضطلع به القيم بصفة عامة كمحدد من محددات السلوك الإنساني

محاولة الكشف عن الارتباط بين كل من الجانب السيكو اجتماعي متمثلا في القيم والجانب التربوي متمثلا في المدرسة من جهة ومدى توظيف الجانبين معا في خدمة التنمية كغاية قصوى من جهة أخرى

واختار الباحث لدراسته هذه عينة عمدية متمثلة في كتب القراءة للطور الثاني من التعليم الأساسي أي من السنة 4-6 والتي يبلغ مجموع صفحاتها 651 صفحة استبعد منها 110 صفحة لخروجها عن نطاق التحليل ليحصل على 541 صفحة تحوي على 300 نص طبق عليها منهج تحليل المضمون

وخلص على النتائج التالية

- 1) حلت مجموعة قيم التنمية المرتبة القيمية الثانية
- 2) مرتبة القيم التنموية لا تعني مطلقه قوتها
- 3) إن للقيم التنموية حضورا شبه متساو بالكتب الثلاث
- 4) إن التوزيع الداخلي للقيم التنموية لم يكن متساويا في الكتب الثلاثة
- 5) إن القيم التنموية الست كانت جميعها حاضرة في الكتب الثلاث

- (6) إن هناك قيمتين فقط شهرتا ضمن قائمة القيم السائدة بالكتب الثلاث وهما (العمل والمثابرة ،التغيير والتطور)
- (7) إن بعض القيم تكاد تكون غير حاضرة إطلاقا كما هو الحال مع قيمة الاستقلالية التي لم تحقق في معدل نسبتها للسنوات الثلاث الواحد الصحيح (0.69) بالمائة
- (8) إن أربع قيم من أصل الست التي تحتويها مجموعة القيم التنموية لم تبلغ متوسط حضور القيمة (2.77) بالمائة وهي تحمل المسؤولية (1.69).المشاركة وروح الجماعة 2 بالمائة تقدير الوقت 1.81 الاستقلالية 0.78
- (9) أن خمس قيم من الست التنموية بكتاب السنة الرابعة لم ترق إلى متوسط حضور القيمة (المتوسط الحسابي 2.77) وهي (تحمل المسؤولية ،المشاركة وروح الجماعة ،تقدير الوقت ،الاستقلالية ،التغيير والتطور)
- (10) إن نفس القيم في كتاب السنة الخامسة لم ترق إلى متوسط الحضور للقيمة إلى نفس المتوسط الحسابي
- (11) إن ثلاث قيم من الست التنموية بكتاب السنة السادسة سجلت حضور دون المتوسط لحضور القيمة 2.77 وهي تحمل المسؤولية ، المشاركة وروح الجماعة ، الاستقلالية)
- (12) إن قيم تحمل المسؤولية ، المشاركة وروح الجماعة ، الاستقلالية سجلت حضورا دون المستوى المتوسط العام للحضور 2.77 في كتب القراءة الثلاث
- (13) انه على الرغم من أهمية قيمة تقدير الوقت إلا أنها كانت من بين اضعف القيم حضورا على الإطلاق سواء ضمن مجموعتها القيمية أو ضمن تسلسل القيم العام حيث لم تبلغ نسبتها الواحد الصحيح في كتابي الرابعة والخامسة (0.67) (0.67)
- (14) إن المجموعات القيمية كانت ممثلة بقيمة واحدة على الأقل ضمن قائمة القيم السائدة .14
- (15) إن كتاب السنة السادسة كان الأحسن بالنسبة للقيم التنموية حيث حققت فيه أكبر حضور 59 تكرارا وليس ذلك فحسب بل وأكثر ظهور بين القيم السائدة بين الكتب الثلاث بظهور ثلاث قيم ضمن قائمة القيم السائدة وهي :العمل والمثابرة ،التغيير والتطور ،تقدير الوقت،وقد أفادت الدراسة في تأكيد أهمية التعليم في الجزائر على مساهمة القيم الاجتماعية في إشاعة روح التغيير لدى الأفراد

5-2 الدراسة الثانية :

المنظومة التربوية الجزائرية والتنمية رسالة ماجستير قدمها عبد الباسط هويدي جامعة
بسكرة 2004

وتهدف هذه الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة التالية :

ما هي العلاقة بين تذبذب المنظومة التربوية وعدم توفيرها للموارد البشرية والتنمية في
الجزائر؟

هل أن الإهدار في المنظومة التربوية سبب في ضعف المشروع التنموي في الجزائر؟

هل أن أخطاء المخطط الجزائري انعكست سلبا على المشروع التنموي الجزائري؟

واستخدم للإجابة عن هذه الأسئلة عينة تتمثل في 200 إطار وهو ما يشكل 7.39

من مجتمع البحث المتكون من 2704 .

وطبق عليها المنهج الوصفي واستخدم في جمعه للمعلومات كل من أداة المقابلة بنوعيتها

1 المقابلة الحرة العفوية

2 المقابلة المنظمة المقننة

3 صحيفة الاستبيان

وخلص في دراسته هذه إلى النتائج التالية :

1 هناك عدم واتفق بين ما حققته المنظومة التربوية وما تتطلبه التنمية في الجزائر مما

انعكس سلبا على المشروع التنموي الجزائري

ويتضح ذلك في : ا- عجزها عن الوصول إلى أهدافها التي تخدم التنمية .

ب- عدم وجود توافق تام بين الاختصاصات العلمية وسوق العمل .

ج- إن معظم الإطارات لا تحتاج ولا تستخدم رصيدها المعرفي .

2- المنظومة لم تسهم بالقدر الكافي في توفير الإطارات الفنية اللازمة لمختلف القطاعات

3- إن إهمال دور التعليم حال دون تفعيل دور المنظومة في التنمية ويتضح ذلك في :

ا- عجز قطاع التعليم العالي عن تهيئة الظروف لابتكار تكنولوجيا وطنية متطورة وفشله

في نقلها من الخارج

ب عجز البحث العلمي عن حل مشكلات الواقع .

- ج- عجز التعليم الثانوي التقني عن تزويد مختلف القطاعات بأيدي عاملة ماهرة اسنادية وعجزه عن إعداد التلاميذ لمراحل التعليم التالية
- 4- عدم استقرار المنظومة أدى إلى الحيلولة دون تفعيل دورها في التنمية ويتجلى ذلك في:
- أ- عدم إجراء الإصلاحات والتعديلات وفق متطلبات التنمية .
- ب- التخطيط للمناهج الدراسية منفصل تماما عما تهدف إليه التنمية في الجزائر
- ج- الاعتمادات المالية المخصصة للقطاعات المكونة في المنظومة التربوية لا زالت جد منخفضة .
- 5- إن الإهدار التربوي انعكس سلبا على المشروع التنموي الجزائري ويتضح ذلك من خلال : أ- هجرة الأدمغة أدت إلى فقر البلاد إلى الكفاءات والمهارات .
- ب - التسرب المدرسي والرسوب و... الخ أدى إلى إثقال كاهل الدولة بالعديد من المصاريف الزائدة.
- ج- الإهدار المادي والمالي.

3-5 الدراسة الثالثة :

اثر محو الأمية في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية دراسة ميدانية عن اثر محو أمية الدارسين في أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية في محافظة بابل العراق قام بها محمد العيد مطمر

وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف على:

- 1- اثر محو الأمية في ارتفاع دخل الأسرة .
- 2- اثر محو الأمية في الكفاءة الإنتاجية.
- 3- اثر محو الأمية في الرفاهية الاقتصادية.
- 4- اثر محو الأمية في مكانة الدارس في العائلة والمجتمع.
- 5- اثر محو الأمية في العلاقات الاجتماعية .
- 6- اثر محو الأمية في الأوضاع الاجتماعية والحضارية للمرأة.

واختار للوصول إلى هذه الأهداف عينتين مقيدتين تتكون الأولى من 120 دارس ودارسة في المدارس الشعبية الحضرية والريفية وعينة تتكون من 80 أمي وأميه مقيمين في المناطق الحضرية والريفية

واختار الباحث العينتين بموجب ضوابط علمية تتعلق بالتوزيع الحضري والريفي للدارسين وبالتوزيع الجنسي أي اختيار دارسين ودارسات وأميين وأميات يسكنون في المناطق حضرية والمناطق الريفية مثل هذه الضوابط إلي اعتمدها الباحث لابد أن تؤدي إلى تمثيل العينة للمجتمع تمثيلا صادقا وأمينا

وطبق على هذه العينة منهج المسح الميداني

أما عن الأدوات التي جمع بها المعلومات فتتمثل في المقابلة والملاحظة بالمشاركة والاستبيان، وخلصت الدراسة إلى: النتائج الممثلة في الجدول التالي:

جدول رقم (1) يبين نتائج الدراسة السابقة الثالثة

لا يعرف	لا	نعم	الفرضية
12%	26%	62%	إن نسبة الأمية العالية لا تسمح لأبناء المجتمع من استخدام وسائل التكنولوجيا الحديثة التي تؤدي إلى زيادة الإنتاج والدخل
11%	17%	72%	إن تعلم الكاسب يرفع من كمية إنتاجه المادية
8%	12%	80%	إن تعلم الكاسب يساعد على رفع نوعية إنتاجه
10	18%	72%	يساعد التعليم على رفع أجور العاملين والكاسبين
10	20%	70%	انتشار التعليم يمكن الأسرة من تحقيق رفاهية اقتصادية
15	23%	62%	تؤدي الثقافة والتربية والتعليم من خلال محو الأمية إلى ترشيد الاستهلاك
	18%	82%	ارتفاع إنتاجية العامل المتعلم التي تؤدي إلى رفع إنتاجه مما يؤدي إلى فائض في أمواله
	33%	67%	إن محو الأمية يعمق شعور العامل أو الكاسب بالمسؤولية

الاجتماعية الملقاة على عاتقه			
27%	63%	انتشار الثقافة والتربية بين المواطنين يساعد على توطيد علاقاتهم الاجتماعية	
24% 79%	الدارسين 59 الاميين 21	إن محو الأمية على المدى البعيد والمتوسط تؤدي إلى تحويل العوائل من الحجم الكبير إلى عوائل زواجيه صغيرة	
11%	25%	64%	محو أمية المواطنين يسبب تخفيف الفوارق الفئوية والطبقية بينهم
32%	الدارسين 68% 20% الأميين	محو أمية النساء تؤدي إلى تحسين أوضاعهن الاجتماعية في المجتمع وتطوير مستوياتهن الحضارية	
33%	الدارسين % 67	محو أمية المرأة يشجعها على العمل خارج البيت وبالتالي يمكنها من أشغال دورين اجتماعيين متكاملين هما : ربة بيت ،موظفة خارج البيت	
52%	الأميين 48%		

4-5 الدراسة الرابعة

التعليم وإشكالية التنمية قام بها حسن بن إبراهيم الهنداوي وهي دراسة نظرية تهدف على التعرف على :

اثر التعليم في التنمية والخروج بالعالم الإسلامي من مغبة التراجع الحضاري
الإصلاحات التي يحتاج إليها التعليم كي يقوم بدوره الحضاري
المعوقات التي تمنع التعليم في العالم الإسلامي من إعطاء دوره الحضاري
وقد تطرق إلى محورين في دراسته هما

المعرفة مفتاح التنمية : ركز هنا على التراث العلمي الذي درس أهمية العلم وفضله على كل ميادين الحياة

اثر التعليم في التنمية : وبيّن في هذا المحور :

- مفهوم التنمية

- اثر التعليم في تنمية العالم الإسلامي تنمية التعليم بوصفه سبيل للخلاص من التراجع الحضاري

وخلص الباحث في دراسته هذه إلى النتائج التالية :

التعليم له اثر كبير في التنمية والخروج بالعالم الإسلامي من مغبة التراجع الحضاري

التعليم يحتاج إلى الإصلاحات كي يقوم بدوره الحضاري

التعليم في العالم الإسلامي يرضخ إلى العديد من معوقات التي تمنع من إعطاء دوره

الحضاري ومن أهم هذه المعوقات الاستبداد الفكري والسياسي

ملخص الاستفادة من الدراسات السابقة

أفادت الدراسة الأولى في التعرف على القيم السائدة في المنظومة التربوية وعلاقتها بالتغيير والتنمية

أفادت هذه الدراسة الثانية في التعرف على جو البحث وحالة هذه العينات و نوعية الأسئلة السائدة في مثل هذه الدراسات

وتفيد الدراسة الثالثة في إثبات أهمية التعليم في الحراك الاجتماعي وذلك من خلال موضوع الأمية كونها تتسبب في عرقلة مسيرة الحراك الاجتماعي المرغوب.

وتفيد الدراسة الرابعة كونها تراث فكري يمثل توجه الباحثين في اثر التعليم على الحراك الاجتماعي.

6 تحديد المفاهيم

1-6 الحراك الاجتماعي

لقد عالج ابن خلدون مسألتى الحراك والثبات، وذلك بواسطة جدلية البدو والحضر حيث يرى أن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلتهم في المعاش وكان حينئذ اجتماعهم (يقصد البدو) وتعاونهم في حاجاتهم و عمرانهم من القوت والسكن والدفء إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويحصل بلغة العيش، ثم إذا اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم ذلك إلى السكون والدعة هؤلاء هم الحضر، ومن هؤلاء من ينتحل التجارة وتكون مكاسبهم انمي وارفه من أهل البدو لان أحوالهم تعتمد على الضروري من العيش ، أما اوقست كونت فقد أشار إلى الحراك من خلال قضية هامة مؤداها انه توجد علاقة قوية وحتمية بين الملكية باعتبارها سلطة اقتصادية وأنواع السلطات الأخرى سواء كانت سلطة سياسية ام اجتماعية، ومن ثم نجد مدى اهتمام كونت بمفهوم السلطة باعتبارها مظهر من مظاهر الشخصية بغض النظر عن نوعياتها الثلاث¹.

أما محمد عاطف غيث فانه يشير إلى هذا المصطلح بقوله انه حركة الفرد أو الجماعة من طبقة اجتماعية او مستوى اجتماعي الى طبقة او مستوى آخر ويشير الاستخدام المؤلف لهذا المصطلح إلى حركة أعلى وأدنى في نسق التدرج الطبقي²

أما سميرة احمد السيد فقد أوردت تعريفا مفاده ان المجتمعات الصناعية تتميز بوجود تدرج هرمي للمراكز الاجتماعية تحدد على أساسه امتيازات الثروة والسلطة والقوة والمكانة وتزداد هذه الامتيازات بالارتفاع في سلم التدرج الهرمي، والفرد في هذا النوع من المجتمعات يمكنه الانتقال من مركز إلى آخر عن طريق وسائل تخضع لسيطرته الشخصية مثل الإعداد الأكاديمي والمهني والخبرة والحصول على الثروة والمنافسة³.

اما ميلر فيععم المصطلح بقوله هو حركة ذات دلالة للمكانة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للفرد والتدرج الاجتماعي، اما ريمون بودون فيورد له تعريف في المعجم

¹ عيد العزيز رأسمال ، كف يتحرك المجتمع؟، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط2 ، 1999 ، ص ص 19 20 .

² المرجع السابق نفسه ، ص 20.

³ سميرة احمد السيد ، مصطلحات علم الاجتماع ، مكتبة الشقري ، دب، ط1 ، 1997 ، ص ص 151 152 .

النقدي لعلم الاجتماع فيقول : يشير هذا التعبير إلى حركات الأفراد أو الوحدات العائلية داخل نظام الفئات الاجتماعية المهنية أو نظام الطبقات الاجتماعية، كما يورد بعض المؤلفين تسمية تصف حركية الأفراد بصورة عامة بالحركية داخل الأجيال، وبصورة أدق تدرس الحركية بين الأجيال، العلاقة بين الوضع الأصلي للأفراد وموقعهم الخاص في نظام الفئات الاجتماعية المهنية إن هذا الشكل الأخير للحركية هو الذي استحوذ بصورة عامة على انتباه علماء الاجتماع¹

أما محمد حسن العميرة فيضع تفسيراً لمفهوم الحراك الاجتماعي بأنه انتقال أو حركة الفرد أو الجماعة من مستوى معين أو طبقة اجتماعية معينة إلى مستوى أو طبقة أخرى في التسلسل الهرمي للبناء الاجتماعي أو داخل المستوى أو الطبقة الاجتماعية الواحدة². ومن هذه التعاريف يمكننا أن نستقي تعريفاً إجرائياً مفاده أن الحراك الاجتماعي هو انتقال فرد أو جماعة من طبقة أو مستوى أو مهنة معينة إلى طبقة أو مستوى أو مهنة أخرى ويكون هذا الانتقال تصاعدياً أو تنازلياً وقد يكون أفقياً ويتمثل في الحراك الاقتصادي والحراك الثقافي

وهو كذلك: انتقال الأفراد أو الجماعات من طبقة أو مستوى أو مهنة إلى طبقة أو مستوى أو مهنة أخرى بحسب التدرج الاجتماعي انطلاقاً من تأثير العامل الاقتصادي والثقافي.

6-2 الحراك الاجتماعي الاقتصادي: أنه حراك إنساني دائم يستوعب كافة نشاطات الناس بمختلف مهاراتهم ومبادراتهم وإبداعاتهم، الفردية منها والجماعية، فلا نكاد نرى سعياً بشرياً في أيما مجال حياتي إلا ويحدوه أو يداخله حافز اقتصادي. ذلك أن الاقتصاد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بأمر المعاش، من خلاله تيسر الأرزاق، تسديد الحاجات، تحقيق المقاصد³.

¹ريمون بودون ، فرانسوا بور يكو، ترجمة سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط1 ، 1987 ، 277 .

²محمد حسن العميرة ، أصول التربية ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة عمان ، الأردن ، ط1، 1999 ، ص292.

³ صادق جواد سليمان ، الاقتصاد والعمل المدني ، <http://www.annabaa.org/nbanews/66/400.htm>، 200904/27

3-6 الحراك الاجتماعي الثقافي ان الثقافة دائمة التغيير ذلك ان جميع عناصرها تخضع لتطور مستمر ،وان كان تدريجيا غير واضح ،والتغيير يحدث كنتيجة لزيادة تعقد المجتمع في تنظيماته وعلاقاته ،ونتيجة للتغيرات الاجتماعية التي تتعرض لها المجتمعات وبخاصة مجتمعات العصور الحديثة ،حيث يبدأ التعارض والتناقض والصراع بين القوى الثقافية أي أنه نتيجة للتغيرات الاجتماعية يحدث اضطراب في النظم والعلاقة التي تنظم سلوك الأفراد ويظهر الصراع بين القديم وما يتفق معه من قيم واتجاهات وأنماط سلوكية مختلفة والجديد وما جاء به من أنماط سلوكية واتجاهات ¹.

4-6 التعليم هو تلك العملية التي يمارسها الكبار أو المعلمون أو المصلحون على الصغار او هو نقل ارث المجتمع من تقاليد او ثقافات وقيم وإصلاحات ونصائح وتوصيات وهو كذلك عملية صقل لمواهب النشء الجديد حسب ما تقتضيه حاجات المجتمع من كفاءات ويد عاملة ويهدف الى تخريج مجتمع من النشء القادم يحمل على عاتقه الخروج من الأزمة التي واجهها الآباء قبله والأخذ بمسار تحرير أفكار المجتمع من الأوهام التي يعيشها وجعلته لا يتقدم نحو مسار الحضارة والتقدم والرقي ، وكي يكون التعليم ايجابيا وذا ثمرة داخل المجتمع يجب ان يكون متعارفا عليه ،فالتعليم الرسمي هو ذلك التعليم الذي تشرف عليه الدولة بوضع برامجه من خلال الوزارة الوصية والذي يتم في المؤسسات الخاصة به وبمراحله المعروفة من الابتدائي الى المتوسط الى الثانوي الى الجامعي

3-6 الطبقة يستخدم مفهوم الطبقة في الكتابات العربية بمعان ودلالات شتى فقدمى المؤرخين العرب مثلا يستخدمونه في الترجمة لسير أعلام المبرزين هناك من المؤرخين من يستخدمه في مجال تصنيف مؤرخي السير ، اما الاستخدام السوسولوجي لمفهوم الطبقة فلعل أول إشارة إليه في الأدبيات العربية هي تلك التي تضمنتها كتب الأنساب التي تجمع بين دفتيها تراجم العرب وسيرهم بما يقارب ان يكون دراسة سوسيو تاريخية للأرستقراطية العربية في الجاهلية ،ولعل أوضح وأدق إشارة للمفهوم السوسولوجي للطبقة التي تضمنتها المعاجم العربية القديمة حيث يذكر صاحب لسان العرب الطبقة

¹ محمد حسن العميرة ،المرجع السابق نفسه ،ص 194.

بالكسر هي الجماعة من الناس كما يذكر صاحب أسس البلاغة: الناس طبقات منازل ودرجات بعضهم ارفع من بعض ، واستعمله المفكر الفرنسي ترجو TERGUO عام 1766 ومن بعده سان سيمون 1825 إلى أن اتسع إلى نطاق استخدامه على يد كارل ماركس¹

ويطلق هذا المفهوم طبقة اجتماعية أو شريحة اجتماعية على مجموعة من الناس متشابهين في ترتيبهم النسبي في مستوى الثروة والهيبة والقوة وعادة ما يميز علماء الاجتماع بين ثلاث طبقات اجتماعي: الطبقة الدنيا ، الطبقة الوسطى ، الطبقة العليا²

وهناك تعريف آخر هو أن الأفراد الذين يشتركون في المرفق الاقتصادي نفسه او يلعبون الدور نفسه في عملية الإنتاج الاجتماعي يشكلون طبقة موضوعية بغض النظر عن عدم وعيهم بذلك في مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي.³

ومن خلال التعاريف السابقة نستنتج أن الطبقة الاجتماعية هي جماعة من الناس متشابهون في ترتيبهم النسبي في مستوى الثروة والهيبة والقوة يلعبون الدور نفسه في عملية الإنتاج الاجتماعي سواء علموا بذلك أم لم يعلموا ، وهناك ثلاث طبقات اجتماعية: دنيا ، وسطى ، عليا

¹ عبد الحليم الزيات ، البناء الطبقي الاجتماعي (مدخل نظري ،دراسة سوسيو تاريخية) دار المعرفة الجامعية ،مصر ، 2003 ، ص 17.18 .

² محمود الحيلة ،أسس علم الاجتماع ،دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 1998 ، ط1، ص 207.

³ المرجع نفسه ،ص 210.

مفهوم الحراك الاجتماعي:

لقد عالج ابن خلدون مسألتني الحراك والثبات وذلك بواسطة جدلية البدو والحضر حيث يرى أن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلتهم في المعاش وكان حينئذ اجتماعهم (يقصد البدو) وتعاونهم في حاجاتهم و عمرانهم من القوت والسكن والدفء إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويحصل بلغة العيش ثم اذا اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم ذلك الى السكون والدعة هؤلاء هم الحضر ومن هؤلاء من ينتحل التجارة وتكون مكاسبهم أنمى وارفه من أهل البدو لان أحوالهم تعتمد على الضروري من العيش¹

ويرى كذلك ان الحراك الاجتماعي هو الدرجة التي ، في اي مجتمع ، الفرد ، العائلة ، او المجموعة على المركز الاجتماعي يمكن ان يتغير طوال مسار حياتهم من خلال نظام التسلسل الهرمي الاجتماعي او الطبقي. وفي وقت لاحق ، وهو أيضا الدرجة التي يمكن للفرد او المجموعة أحفاد التحرك ان يصلوا اليها صعودا وهبوطا في النظام الطبقي. الدرجة التي يمكن للفرد التحرك من خلال نظام يمكن أن يستند إلى إنجازات وصفات أو عوامل خارجة عن سيطرتهم .

أما اوغست كونت a.conte فقد أشار إلى الحراك من خلال قضية هامة مؤداها انه توجد علاقة قوية وحتمية بين الملكية باعتبارها سلطة اقتصادية وأنواع السلطات الأخرى سواء كانت سلطة سياسية ام اجتماعية ومن ثم نجد مدى اهتمام كونت بمفهوم السلطة باعتبارها مظهر من مظاهر الشخصية بغض النظر عن نوعياتها الثلاث ، وهكذا يؤكد كونت على ضرورة امتلاك السلطة الاقتصادية والتي لا توجد بدورها في الواقع إلا بمشاركتها كامتلاك السلطة الاجتماعية فكليهما وجهان لعملة واحدة وتشير الوقائع والحقائق التاريخية إلى انه منذ القديم قد كان الحكام السياسيون غالبا ذوي سلطة اجتماعية واقتصادية في الوقت نفسه لامتلاكهم الثروة ورأس المال ومن ثم فإن امتلاك هذه العناصر تكون شيئا ملازما لامتلاك المكانة في المجتمع وأخيرا حاول كونت ان

¹ عبد العزيز رأسمال ، كف يتحرك المجتمع؟، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط2 ، 1999 ، ص 19 20 .

يصبغ تحليلاته بالطابع الأخلاقي من أجل خدمة الحفاظ على النظام الاجتماعي وضمان استمراره وبقائه حيث يؤكد على انه يجب على الأغنياء سواء كانوا من الصناعيين والرأسماليين والمديرين و أصحاب البنوك ان يوزعوا مسؤولياتهم الاجتماعية من اجل تحقيق أهداف النظام الاجتماعي¹.

أما محمد عاطف غيث فانه يشير إلى هذا المصطلح بقوله انه حركة الفرد أو الجماعة من طبقة اجتماعية أو مستوى اجتماعي إلى طبقة أو مستوى آخر ويشير الاستخدام المألوف لهذا المصطلح الى حركة أعلى و أدنى في نسق التدرج الطبقي ، ويشير باريتو الى هذا المصطلح عندما يطرح أفكاره حول اللاتجانس والتمايز الاجتماعي باعتبارها من الأفكار الهامة التي يجب ان يؤكد على تحليلها علم الاجتماع عند دراسته لاسباب حدوث الظواهر الاجتماعية واعتبرها أيضا جزءا من عملية التغير الاجتماعي فالنظام والتغير الذي يحدث فيه ظهر نتيجة مجموعة العوامل السيكولوجية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية المتعددة ولا يمكن حدوث عمليات التغير على بعض العوامل الأحادية السبب وهذا ما رفضه باريتو بصورة قاطعة كما حرص أيضا باعتباره عالما اقتصاديا ان يوضح كيفية ظهور اللاتجانس والتمايز بين الأفراد والجماعات نتيجة لحصول كل منها على العناصر المادية بصورة متفاوتة في ضوء الفرص المتاحة في الواقع توفر ذلك عموما في إطار نظريته عن المنفعة والقيمة الاقتصادية التي تدفع حركة دائرية التغير الاقتصادي والسياسي والاجتماعي وبالرغم من تأكيدات باريتو على هذه الآراء و الأفكار وان المجتمع الطبقي أمر محتوم لابد من وجوده باعتباره يشكل نوعا من الحقائق الواقعية الثابتة ومن أشياء و الأفكار التي يتعذر مناقشتها وتحليلها نظرا لبدايتها ووضوحها بصورة عامة، إلا أننا نلاحظ في نفس الوقت أن باريتو أكد أهمية وجود المجتمع او النسق الاجتماعي مفتوحا أمام الطبقات الاجتماعية حتى يحدث نوع من الحراك الاجتماعي ، أي يسمح انتقال الأفراد من الطبقات الدنيا أو السفلى الى الطبقات العليا ومن وإلى أي الطبقتين ويسمح بحصول أفراد الطبقات على الامتيازات التي تحملها

¹ عبد الله محمد الرحمان ، النظرية السوسيولوجية الكلاسيكية ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، ط1 ، 2006. 145. 146

أفراد الطبقات الجديدة وهذا بالفعل ما ناقشه باريتو في دراسة دائرة الصفوة والتغير الاجتماعي فلقد ركز باريتو على أهمية وشرط وجود المجتمع مفتوحا ليسمح بالحراك الاجتماعي بين الطبقات الاجتماعية لان ذلك شرط أساسي من شروط التقدم والتطور الاجتماعي¹

اما سميرة احمد السيد فقد أوردت تعريفا مفاده ان المجتمعات الصناعية تتميز بوجود تدرج هرمي للمراكز الاجتماعية تحدد على أساسه امتيازات الثروة والسلطة والقوة والمكانة وتزداد هذه الامتيازات بالارتفاع في سلم التدرج الهرمي والفرد في هذا النوع من المجتمعات يمكنه الانتقال من مراكز إلي آخر عن طريق وسائل تخضع لسيطرته الشخصية مثل الإعداد الأكاديمي والمهني والخبرة والحصول على الثروة والمنافسة. وبذلك يختلف هذا النظام عن النسق الطائفي او نظام الطبقات المغلق الذي يتحدد فيه المركز الاجتماعي للفرد بناءا على انتماء أسرته الى طبقة معينة ولا يمكنه التنقل من طبقة اجتماعية إلى أخرى . فالمزايا المرتبطة بالمراكز الاجتماعية العليا في المجتمعات ذات الطبقات الاجتماعية المفتوحة تشجع الأفراد على التنقل إلى مراكز اجتماعية عليا عن طريق تحسين وضعهم الاجتماعي عن طريق التعليم والخبرة او العمل والمنافسة . وعادة ما يتم الحراك الاجتماعي بين الأجيال نظرا لان كثير من الوظائف ذات المكانة المرتفعة والتقدير الاجتماعي تحتاج إلى سنوات عديدة من الإعداد الأكاديمي والمهني وقد يكون الحراك الاجتماعي أفقيا أي التنقل من مركز اجتماعي له نفس التقدير الاجتماعي والنفوذ او رأسيا أعلى أو أدنى الطبقة الاجتماعي او من طبقة اجتماعية الى أخرى وهو سلوك جمعي تقوم به جماعة لاقامة نظام اجتماعي جديد او معارضة تغيير نظام اجتماعي قائم تفضله لانتساقه مع مبادئها وقيمها ومعاييرها او تغيير نظام قائم لا يتفق مع مبادئها ومعاييرها²

¹ عبد الله محمد الرحمان ، النظرية السوسولوجية الكلاسيكية ، المرجع السابق نفسه ، ص 355 .

² سميرة احمد السيد ، الرجع السابق نفسه، ص 151 ص 152 .

أما سوركين فيعرفه انه انتقالاً للأفراد او الطبقات داخل المجال الاجتماعي أما ميلر فيعمم المصطلح بقوله هو حركة ذات دلالة للمكانة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للفرد والتدرج الاجتماعي، اما ريمون بودون فيورد له تعريف في المعجم النقدي لعلم الاجتماع فيقول : يشير التعبير الى حركات الأفراد او الوحدات العائلية داخل نظام الفئات الاجتماعية المهنية او نظام الطبقات الاجتماعية كما يورد بعض المؤلفين تسمية وتوصف حركية الأفراد بصورة عامة بالحركية داخل الأجيال وبصورة أدق تدرس الحركية بين الأجيال العلاقة بين الوضع الأصلي للأفراد وموقعهم الخاص في نظام الفئات الاجتماعية المهنية ان هذا الشكل الأخير للحركية هو الذي استحوذ بصورة عامة على انتباه علماء الاجتماع¹

اما محمد حسن العميرة فيضع تفسيراً لمفهوم الحراك الاجتماعي بأنه انتقال حركة الفرد او الجماعة من مستوى معين او طبقة اجتماعية معينة الى مستوى او طبقة أخرى في التسلسل الهرمي للبناء الاجتماعي او داخل المستوى او الطبقة الاجتماعية الواحدة².

ومن هذه التعاريف يمكننا أن نستقي تعريفاً إجرائياً مفاده ان الحراك الاجتماعي هو انتقال فرد او جماعة من طبقة او مستوى او مهنة معينة الى طبقة او مستوى او مهنة أخرى ويكون هذا الانتقال تصاعدياً او تنازلياً وقد يكون افقياً ويتمثل في الحراك الاقتصادي والحراك الثقافي (الحراك بين الأجيال)

¹ ريمون بودون ، فرانسوا بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع ، المرجع السابق نفسه ، ص 277 .

² محمد حسن العميرة ، أصول التربية ، المرجع السابق نفسه ، ص 292.

3) أشكال الحراك الاجتماعي :

3-1) الحراك الثقافي : ان الثقافة دائمة التغيير ذلك ان جميع عناصرها تخضع لتطور مستمر ،وان كان تدريجيا غير واضح ،والتغيير يحدث كنتيجة لزيادة تعقد المجتمع في تنظيماته وعلاقاته ،ونتيجة للتغيرات الاجتماعية التي تتعرض لها المجتمعات وبخاصة مجتمعات العصور الحديثة ،حيث يبدأ التعارض والتناقض والصراع بين القوى الثقافية أي نتيجة للتغيرات الاجتماعية يحدث اضطرابا في النظم والعلاقة التي تنظم سلوك الأفراد ويظهر الصراع بين القديم وما يتفق معه من قيم واتجاهات وأنماط سلوكية مختلفة والجديد وما جاء به من أنماط سلوكية واتجاهات¹

ويتمثل هذا في المواجهة بين جيل الشباب والكبار حيث يمثل الشباب مراحل الحياة الإنسانية التي نجهل عنها الكثير فقد ساد الاعتقاد في مدة طويلة إنها مرحلة انتقالية فقط بل وما زال علماء الاجتماع والنفس يتخذونه وسيلة لتدعيم دراساتهم عن الإنسان المكتمل الشخصية وقد أدت هذه النظرة الى اعتبار سلوكياته ضربا من العبث ، الى أن ثار المصلح الاجتماعي (روسو) على هذا الاعتقاد الخاطئ بمقولته المشهورة : (ابدءوا بدراسة أطفالكم فأنكم من الأكيد لا تعرفونهم) وهذه المرحلة هي التي يتجه فيها الشاب بكامل كيانه نحو المستقبل ويتضح أمامه فجأة مجالات الثقافة المختلفة ونواحي الحياة الاجتماعية المتشعبة ، وهناك من يسمي مرحلة الشباب بمرحلة الرغبة في التفرد والأصالة وهذه الصفة هي أساس ما نلاحظه من صعوبات يلاقيها الشباب والمخططون للشباب.

فالشباب دائما يريد ان يحيى حياة يحقق فيها آماله ويصهر فيها ما حوله، وفي كلتا الحالتين يرى الكبار في ذلك خطرا، فالشباب اذا لم يأخذ بأيديهم فسوف يثورون على بيئتهم وعلى أنفسهم ان مظهر الغرابة والشذوذ في تصرفات الشباب لا يكون الا في أعين الكبار اما في أعين الشباب فليس هناك شذوذا مطلقا بل الشذوذ بالنسبة للشباب هو الخضوع للمألوف من الأوضاع والسير في ركب الحياة العادية على الروتين المعهود .

¹ محمد حسن العمارة ، أصول التربية، المرجع نفسه، ص 286.

فلا غرابة في ان كانت مرحلة الشباب مرحلة ثورة في كل أنحاءها ، ثورة من الناحية الجسمية وثورة من الناحية النفسية وثورة من ناحية التمرد على الوسط الاجتماعي . ان شعوبنا النامية الثائرة لن يكتب لها البقاء ولا النهوض بتراتها ما لم يكن حاملوا هذا التراث هم الشباب فالشباب اذا تخلى عن رسالته العلمية ولم يبذل جهده في إنماء هذا التراث والمحافظة عليه فانه يضيع ويتبدد وهيئات ان تستطيع استرجاعه بعد ان تصبح شعوبا قد غلبها الجهل على أمرها¹

وفي ضوء الانخفاض الهائل في معدلات دخول الأفراد فان ذلك يعني الحيلولة بين الشباب وبين إمكانية إشباع حاجاتهم الاقتصادية وما يترتب على هذا الإشباع من إمكانية إشباع حاجاتهم النفسية الممثلة في الزواج والاستقرار الأسرى فأوضاع لقمة العيش منهكة بالنسبة للأغلبية الساحقة من هذا الجيل بما يضمه من طبقات دنيا ووسطى ويعرف هذا الجيل جدلا مضطرا حول الهوية كما يعرف انشطارا ثقافيا بين الأقوياء والضعفاء داخل الصفوف ويفرض ذلك على هذا الجيل مسمى البحث عن العدل في الشأن الاجتماعي والبحث عن التبلور في الشأن الثقافي وكلا الأمرين يفترض وجود أصوات شابة معبرة عن مصالح جيلها حتى وان كانت مزعجة لبقية شركاء الكيان الاجتماعي والسياسي ولا بد ان يكون التمثيل هنا كافيا لا رمزيا ، فجيل الشباب لا يمثل قطاعا هامشيا بل هو القطاع الأكبر في المجتمع كله والاهم من ذلك هو نوعية المشاكل التي يتعرض لها الشباب بصورة مباشرة التي تستلزم تحاورا اجتماعيا وسياسيا يشارك فيه بصورة مباشرة أصحاب الشأن.

إن قائمة المشاكل الطويلة التي تتصدرها قضية التعليم كما وكيفا وقضية التوظيف ووجهها العكسي البطالة وقضية الإسكان نظاميا او عشوائيا وكلها قضايا تعني الشباب في المقام الأول تمثل مشاكله العينية الأولية ولعل هذا ما افرز العديد من المشاكل والتحويلات

¹ محمد السويدي ، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط1 ، 1990 ، ص 48 49 40 .

التي تشهدها المجتمعات في السنوات الأخيرة من كثرة التطرف والإرهاب والانحرافات السلوكية والانتحار¹

وعلى الرغم من تأثير الضغوط الاقتصادية والاجتماعية على انساق القيم إلا أننا لا نستطيع إنكار الحقيقة التي تؤكد وجود واستمرار قيم كثيرة إيجابية تكونت لدى الأفراد تاريخياً، فالقيم لا تختفي اختفاء تاماً ولا تتغير بصورة كلية مع تغير الظروف المادية للمجتمع، حيث نجد أن هناك قيماً إيجابية راسخة تتصدى وتقاوم القيم السلبية الوافدة.

ففي كل مرحلة يمر بها المجتمع تظغى أو تسود أنماط معينة من القيم نتيجة لبعض الظروف إلا أنها لا تمحو كلية تلك القيم الإيجابية التي كانت سائدة .

فالقيم لا تتصف بالدوام المطلق وهي في نفس الوقت ليست دائمة التغيير . بمعنى أن الدوام المطلق للقيم يؤدي إلى استحالة التغيير على المستوى الاجتماعي والشخصي كما أن دوام تغير القيم وتبدلها يجعل من المتعذر استمرارية الشخصية الإنسانية والبناءات الاجتماعية والأنماط الثقافية .

ومن ثم فإن أي تصور للقيم الإنسانية يجب أن يأخذ في اعتباره كلا من السمتين المميزتين للقيم وهما الاستمرار النسبي والتغير النسبي.

ومن كل هذا نستنتج أن الحراك الثقافي يتمثل في ثلاث عمليات أساسية يعرفها علماء الانثربولوجيا بأنها :

- 1) عملية التأهيل: وتعني اكتشاف و اختراع عناصر جديدة في الثقافة .
- 2) عملية الانتشار : وتعني استعارة عناصر جديدة من ثقافات اخرى .
- 3) عملية إعادة التفسير : وتعني تهيئة عنصر قائم لمواجهة ظروف جديدة²

¹ نادية رضوان ، الشباب المصري وأزمة القيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1 ، 1997 ، ص 326 .

² محمد حسن العميرة أصول التربية ، المرجع السابق نفسه،ص286.

2-3) الحراك الاجتماعي الاقتصادي

ومن أهم أسبابه النزوح الريفي الى المناطق الحضرية ومن أهم المداخل التي درست هذا النزوح مدخل الامتداد الريفي الحضري وهو يدور حول اعتبار الريف والحضر امتدادا واحدا حيث يمكن ان تلحظ تدرجا مستمرا بين ما هو ريفي وما هو حضري الأمر الذي يمكن معه ان نضع كل المقومات للإنسان ونتائج نضال مهما اختلفت خصائصه واحد حلقات تلك السلسلة المنظمة والمترابطة ولهذا نعتبر ان هذا المدخل الذي ينظر الى الريف والحضر على انهما علامتان على طريق واحد ومن هنا يعتبر هذا المدخل ان المدينة الحديثة ليست تجمعا لا معنى له من الناس والخدمات لان كل ساكن من سكان المدينة يدرك بطريقة ضمنية وغير رسمية ان هناك نوعا من النظام يحدد حركة الانسان والسلع من المدينة واليهما ولذلك تدرس الايكولوجية الإنسانية من بين ما تدرسه أشياء كثيرة التنظيم المكاني والزمني للمجتمعات الإنسانية ويمكن ان ننظر الى هذا الموضوع بطريقة أخرى نطبق عليها مقياس الزمان والمكان التي ينظر اليها على انها المقياس او المصادر الأساسية التي عن طريقها تنظم العلاقات الوظيفية بين الجموع الكثيرة التي تسكن المدينة¹

ويلاحظ الباحثون في المجتمع الحضري ان الأنظمة المكانية والزمانية للمدينة تكون نتيجة لمجموعة من العمليات الاطرادية من بين هذه العمليات أربع عمليات رئيسية تحدد النظام المكاني للمدينة وهي عملية التركيز او المركزية والفصل او العزل والامتداد والانكماش أما النواحي الحولية في النظام الزمني فهي الإيقاع والتوقيت ، يشير التركيز الى العمليات الاطرادية التي عن طريقها يظهر موطن الإقامة و ينمو اي أنها تتصور التغيرات التي تحدث في المجتمعات السكانية والتي تتمثل في العادة في كثافة موطن الإقامة فإذا كانت هذه التغيرات تشير الى فقدان السكان لكثافتهم فان هذا المظهر يشار إليه عادة على انه تخلخل ولهذا فان عمليات التخلخل والتركيز المشار إليها من زاوية أخرى على أنها مظاهر لنواح متعددة في إعادة توزيع السكان ، ولهذا نستطيع ان

¹ محمد عاطف غيث علم الاجتماع الحضري (مدخل نظري) دار المعرفة الجامعية مصر ، ط1 ، 1995 ، ص 116 .

نسجل في مجال إعادة التوزيع اتجاهات نحو التمرکز داخل مناطق بعينها او الامتداد الى مناطق خارج نطق المدينة المعروف ؛ هكذا نستطيع ان نتبين ان حركة المجتمعات السكانية داخل المدينة لا تلتزم بأسلوب معين في كل المدن بحيث نستطيع ان نصل الى تعميم يمكن ان يطبق عليها جميعا¹

وتعرف مجتمعات المدينة أيضا تحركا آخر هو انتقال العامل من وسط الى وسط آخر يختلف عنه في كثير من الجوانب التي تمس لعمل وتنظيمه وقيمه وهذا الاختلاف بين الوسطين الاجتماعيين المتنقل منه والمتنقل إليه إضافة الى الظروف الاجتماعية التي يتم فيها هذا التنقل وهذا المفهوم للتنقل واسع جدا وشامل لكل أنواع الحراك كما يقصد بالحراك الجغرافي انتقال الناس على شكل هجرات دائمة او موسمية او مؤقتة فردية او جماعية من مجتمع لآخر ويقصد بالحراك المهني تغيير الناس لعمالهم من العمل الزراعي الى العمل الصناعي او العمل في مجال الخدمات او العكس ، وفي الحقيقة ان انتقال اليد العاملة الريفية الى الصناعة يصاحبه حراك اجتماعي حقيقي والذي يعني انتقال فرد او جماعة من مستوى معين الى مستوى آخر ، وقد كشفت بعض الدراسات ان هذه الأنواع من الحراك تزيد بمعدلات سريعة مع تزايد معدلات التنمية الاقتصادية وداخل جيل واحد والحراك قد ينطوي على كل أنواع الهجرة وهذا ما جعلنا نتطرق الى الفروق الريفية الحضرية اذ ان انتقال العامل الريفي الى العمل الصناعي معناه الانتقال من الريف الى المدينة وهنا تختلف كثير من القيم خاصة منه تلك المرتبطة المكانة حيث المكانة في الريف تكتسب من العائلة والانتساب بينما في المدينة تكتسب بنوع العمل والمستوى التعليمي وغير ذلك ، هذا الذي في الغالب يفتقده الريفي وبذلك فهو يفتقد المكانة التي كان يتمتع بها في الريف ويصعب عليه تعويضها في المدينة ، وان كان في الوقت الحاضر الاتجاه يسير نحو المكانة المكتسبة من المهنة سواء في الريف ام في المدينة بفعل التأثيرات المتبادلة بينهما، ويشير سوركين وزيمرمان إلى ان التحول من

1محمد عاطف غيث علم الاجتماع الحضري ، المرجع السابق نفسه ، ص 140.

المجتمع المحلي الريفي الخالص إلى مجتمع حضري لا يتم فجأة ولكن يحدث بشكل تدريجي فليس ثمة خط أوحده مطلق يستطيع أن يكشف لنا عن وجود فارق حاد بين المجتمع الريفي والمجتمع الحضري ويعنيا مجموعة من الفروق البيئية ، حجم المجتمع ، كثافة السكان و تجانسهم وتباينهم في شدة الحراك الاجتماعي والفروق في اتجاه الهجرة وشكل التباين الاجتماعي وانساق التفاعل . ولقد عاش تنقل اليد العاملة الريفية وهجرتها انعطافا وتحولا كبيرا ابتداء من 1970 تبعا للتحوّل في آليات هذه الحركة التي تطبعها بطابع يختلف عن الأول من حيث الأسباب والنتائج وتمثلت هذه الآليات في توزيع استثمارات التنمية بين المناطق والقطاعات بصفة ملموسة على مستوى الدخل والتشغيل والمثل على قطاعات أخرى ضرورية لاستقرار السكان ومن بينها المدرسة¹.

وبسبب هذا الآليات فان نمط الأسرة القروية قد اتخذ شكلا يتسم بالافتقار الى الانسجام ، كنتيجة لوجود نزعتين متناقضتين تحدث الواحدة منهما بصاحبة الأخرى وهما الازدياد الملحوظ والمسيطر في تطلعات الأفراد تلك التطلعات التي تتخذ من نمط الحياة الحضرية نموذجا لها هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، أنماط السلوك التي تفرضها طبيعة الحياة القروية والعمل الزراعي ، فضلا عن ذلك فان نمط المجتمع الصناعي يعمل بدوره على تعميق ذلك الصراع وذلك في ضوء الزعم القائل ان تكييف الأسر القروية وتوافقها مع حياة المجتمع الصناعي سوف ينمو من خلال الأشكال الصناعية التي بدأت تميز أنماط الإنتاج ومنها العمل الزراعي نفسه²، وذلك ان الوظائف الإنتاجية التي تقوم بها الأسرة القروية هي السبب الحاسم في بقاء عملية التفسير الذي طرأ على نمط الأسرة ، فالميل الى ان تحمل المزرعة باستمرار ملامح المشروع الإنتاجي يتعارض دائما مع المطامح الجديدة لأفراد الأسرة . إذ أن نمو هذا المشروع يتطلب بالضرورة ان يكون هذا النمو مصحوبا بنمو مماثل في القوى العاملة والتجهيزات اللازمة للمشروع غير ان الحاجة الى إجراء تقييم لتلك الجوانب الاقتصادية على هذا المستوى قد أخذت هي

¹ محمد بو مخلوف ، اليد العاملة الريفية في الصناعة الجزائرية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ط1 ، 1991 ص ص ، 56 57 59 . 60

² عبد العزيز رأسمال ، المرجع السابق نفسه ص ص 59/60

الأخرى تتزايد على الرغم من ان إمكانية تطبيق الكثير منها على مستوى المزرعة الصغيرة لا يزال محدودا واكثر من ذلك فإن الماكينة الزراعية لم تعمل على تخفيف عبء العمل على كاهل الأسرة ، بل إنها عملت فقط على تنظيم العمل وتحويل الجهد البشري الى بعض القطاعات التي لا يمكن ان تستغني عن العمالة البشرية ، وبإختصار فإن ملامح المشروع الذي أخذت تتزايد بالنسبة للزراعة تتناقض مع الأوضاع العامة للتغيير في الأسرة القروية الحديثة¹

بمعنى أنه حراك إنساني دائم يستوعب كافة نشاطات الناس بمختلف مهاراتهم ومبادراتهم وإبداعاتهم، الفردية منها والجماعية، فلا نكاد نرى سعيا بشريا في أيما مجال حياتي إلا ويحدوه أو يداخله حافز اقتصادي. ذلك أن الاقتصاد يرتبط ارتباطا وثيقا بأمر المعاش، من خلاله تيسر الأرزاق، تسديد الحاجات، تحقيق المقاصد.

و الحراك الاقتصادي الأمثل اليوم هو ذلك الجامع بين شذو الحافز الفردي من جانب وتأكيد الواجب الاجتماعي من الجانب الآخر، بين إطلاق الطموح الشخصي من جانب، وإحكام الانضباط الخلقى من الجانب الآخر، بين إتاحة فرص تحقيق المصالح الخاصة من جانب، ومراعاة استحقاقات المصلحة العامة من الجانب الآخر - وذلك في عموم المعاملات الجارية في الحراك الاقتصادي، دونما ضرر أو ضرار².

¹ محمد الجوهرى، علياء شكري ، علم الاجتماع الريفي والحضري ،دار المعرفة الجامعية ، مصر ، ط1 ، 1996 ، ص 71 .

² صادق جواد سليمان /،، الاقتصاد والعمل المدني <http://www.annabaa.org/nbanews/66/400.htm> 2009/04/27

4 عوامل الحراك الاجتماعي

هناك العديد من العوامل التي تؤدي الى تحرك أفراد او فئات من المجتمع في السلم الاجتماعي نذكر منها :

4- 1 علاقة النظام التحتي للعائلة بالتعليم و أثرها على الحراك الاجتماعي: إن النظام التحتي العائلي يلعب دورا رياديا في التحكم في تقدم محركات اللامساواة، فالعائلة تكون نظاما تضامنيا كل عضو فيها يتقاسم مع الآخرين نفس القانون (الوضع) الاجتماعي الذي يحدد العائلة ويميزها. إذن فالعائلة لا تستطيع ألا تؤثر تأثيرا واضحا في الطموحات التعليمية لأطفالها، كما يجب الأخذ بعين الاعتبار أن النجاح والحراك... الخ، ليس لهم معنى بالنسبة للفرد إلا ما له علاقة بالوضعية الاجتماعية التي يوجد فيها. يقول ريمون بودون : "نسجل من هذا النقد اقتراح عادي من جهة وأساسي من جهة أخرى، فالمدلول الذي يعطيه فرد ما لمستوى مدرسي معطى يتراوح حسب الوضعية الاجتماعية لهذا الفرد".¹

4- 2. مستوى الإرث الثقافي : تعتبر الثقافة أساسا للوجود الإنساني بالنسبة للفرد والمجتمع الذي ينتمي إليه. فهي توفر للفرد صورة السلوك والتفكير والمشاعر التي ينبغي أن يكون عليها، لا سيما في مراحل الأولى. فالثقافة لها صفة اجتماعية، فأعضاء المجتمع يشتركون في بعض التوقعات والآمال التي هي من نتاج تفاعلهم الاجتماعي والتي تصبح لهم بمثابة معايير خلقية واجتماعية، كما أنها توفر كذلك للأفراد المعاني والمعايير التي يميزون على ضوئها بين الأشياء والأحداث. وتعتبر الأسرة الوعاء الثقافي الأول الذي يشكل حياة الفرد ويتناوله بالتربية بما فيها من علاقات وأنماط ثقافية تعبر عن الثقافة الأم. معنى هذا أن الطفل ينظر إلى الميراث الثقافي الأول من وجهة نظر أسرته كما أن اختياره وتكوينه للأشياء يتأثر بنوع اختيار أسرته وتكوينه لها، هذا إلى أنه يتأثر بنوع الآمال التي تضعها الأسرة لمستقبلها ومستقبل أعضائها ، بل إنه كثيرا ما تفرض آمالها ومثلها العليا على أطفالها وكثيرا ما يكون هذا الفرض مصحوبا بانفعالات أكثر مما يوجد في واقع الثقافة.

¹ ، عبد النور إدريس نظرية الاستراتيجية الفردية بين الميكانيزمات العامة والخاصة وسوسيولوجيا التربية، <http://www.arab/>

إن شرح اللامساواة أمام التربية انطلاقاً من اختلافات قيم الرأسمال الثقافي المنتقل للطفل من طرف عائلته أصبح معروفاً كما يظهر واضحاً، فتأثير الإرث الثقافي على النجاح المدرسي للطفل¹ وبشكل أكثر وضوحاً تبين أن المستوى الثقافي للعائلة يجب اعتباره بعداً رئيسياً للقانون الاجتماعي للعائلة، إذ أن الرأسمال الثقافي المعطى للعائلة من طرف الأسرة يحدد كثيراً الرأسمال المدرسي. فانطلاقاً من تفسير أجيرار. للعلاقة الإيجابية الملاحظة بين مردود الآباء والنجاح المدرسي، يكون النجاح أكبر كلما كان المردود مرتفعاً. ويتساءل ريمون بودون عن التفسير المباشر لوجهة النظر هاته، والافتناع بأن ضمان اقتصادي أكبر إنما يقود الآباء إلى التفكير في متابعة الدراسة وتشجيع اندفاع الطفل نحوها. إن هذا التفسير نسبي من حيث أن هذه العلاقة تزول بين المدخول والنجاح المدرسي عندما نأخذ بعين الاعتبار أطفالاً ناشئين لدى عائلات لها نفس المستوى الثقافي. تبين هذه النتيجة، أن العلاقة بين المدخول والنجاح إنما يعود إلى أن مستوى ثقافي مرتفع بشكل عام، إنما يتوافق مع معدل دخل أكثر ارتفاعاً، ولكن في الواقع حسب ريمون بودون : ”أن المستوى الثقافي للعائلة هو المسؤول عن النجاح المدرسي للطفل“ نموذج بودون لتفسير هذا المعطى :

الشكل-1- مستوى ثقافة الأسرة ↓ ↓ مدخول النجاح المدرسي لدى الطفل

الشكل -1- يفسر العلاقة بين مدخول العائلة ونجاح الطفل مدرسياً كما يبين هذا النموذج كيف أن العلاقة الإحصائية بين المردود والنجاح المدرسي يجب ألا تفسر مباشرة، وإنما هي نتيجة لنظام من العلاقات يميز المتغيرات الثلاث صاحبة العلاقة. ومع ذلك أظهرت الأبحاث كم هي متغيرة الاستهلاكات الثقافية وفق الطبقات الاجتماعية، وكم تتبدل نظراً لمستويات التربية والرساميل الاقتصادية والثقافية. فالاستراتيجيات الفردية تتطور بشكل متفرق، ولا تتجمع إلا إحصائياً، لكنها تساهم، ديناميكياً، بتجدد التمايزات الاجتماعية. كما أن الحقل الثقافي يعمل كنسق تنظيم، يقدم للعملاء الاجتماعيين فرصة وضع استراتيجيات

¹ عبد النور إدريس ، المرجع السابق نفسه

التمييز ضد أفراد الطبقات الأخرى¹. إن الرهان الأخير لهذه الصراعات هو بالتأكيد الفوز بإقرار شرعي يصاغ في نهاية المطاف كإقرار شرعي بالسيطرة. فالتوزيع اللامتكافئ للرأس المال الاقتصادي، كما التوزيع اللامتكافئ للرأس المال الثقافي لهما قاسما مشتركا رغم اختلاف الوسائل؛ هو تأكيد شرعية كل طرف في امتلاك الثروات الثقافية، ويظهر أصحاب الرأس المال الاقتصادي البذخ في امتلاك الدلائل الثقافية المشروعة، كالقيام بالأسفار واقتناء الثروات الثقافية: (لوحات الرسامين الكبار أو اقتناء الفيلات والسيارات الفخمة... الخ). بينما يظهر ذوو الرأس المال الثقافي تمايزهم عن طريق ارتباطهم بكفاءاتهم النوعية بالانخراط في القراءات والمطالعات والميل إلى سماع الموسيقى الكلاسيكية أو ارتياد الحفلات الشعرية والمسرحية...

3.4 مسألة الحراك المهني وارتباطه بالحراك الاجتماعي: يتصدى علماء التربية لمفهوم التكافؤ في الفرص التعليمية يجدون من واجبهم أيضا أن يشيروا إلى مفهوم التكافؤ في الفرص المهنية - التوظيف - وبالتالي إلى ارتباط المفهومين وانعكاس مضمون كل منهما على الآخر. إن التلازم بين هذين المفهومين يطرح بدوره مشكلات فلسفية وسياسية واجتماعية على درجة كبيرة من الأهمية والتعقيد والشمول. ويلاحظ هوسن Husen أن معالجة هذا المفهوم لتكافؤ الفرص التعليمية تؤدي على المستوى السياسي إلى استنتاج أنه من غير المفيد أن نجعل الفرد مسؤولا عن نجاحه أو فشله في الدراسة. إن ثقل هذه المسؤولية يجب أن يتحمله النظام بأكمله: (النظام المدرسي أو النظام الاجتماعي الاقتصادي). (فالقول بأن التربية أداة موضوعية لتصنيف الناس وانتقائهم حسب مهاراتهم المعرفية قول يترتب عليه نتيجة أيديولوجية مؤداها أن نجاح الفرد في المجتمع أو فشله مرهون بنجاحه أو فشله في التربية. وذلك القول ينطوي على إقناع زائف للمواطن بأن شكل المجتمع وبنية النظام الاجتماعي الذي يعيش فيه بريئة تماما من أي فشل يتعرض له، فالفشل إنما سيكون فشله هو نفسه في اقتناص الفرصة المتكافئة التي توفرت له في المدرسة والقول بأن المعرفة التي تقدم في المدرسة تؤثر في رفع المستوى

¹ عبد النور إدريس، المرجع السابق نفسه

الاقتصادي للفرد والمجتمع هو نمط من أنماط الأيديولوجيا التي تزيّف الوعي الاجتماعي على مستوى الفرد والمجتمع. و سترتب على هذا الطرح نتيجة مغلوبة فحواها أن مشكلة الفقر التي تعاني منها الطبقات الدنيا في المجتمع هي مشكلة فقر في امتلاك المعرفة وليست مشكلة استغلال اقتصادي تعاني منه هذه الطبقات. وبالمثل فإن مشكلة التخلف في الدول الفقيرة ستصبح -حسب الطرح الأيديولوجي- مشكلة تربوية تعالج عن طريق الإصلاح التربوي وبالتالي يتم اختفاء حقيقة التخلف الحقيقية المعتبرة أن فقر دول العالم الثالث هو نتيجة نهب استعماري (ظاهر ومستتر) منظم وممنهج لقدرات و ثروات الشعوب المستعمرة¹.

4-4 الهجرة : الهجرة ظاهرة اجتماعية وجدت وما زالت توجد في كل زمان و مكان وتعني الارتحال من وطن وتركه الى غيره مدة قد تقصر او تطول وتمتد لتشمل الحياة بأكملها وبمعنى آخر هي تعني انتقال شخص من منطقة جغرافية أخرى بقصد تغيير مكان الإقامة الدائم وهي كذلك كل حركة عبور الحدود ما عدا الحركات السياسية²

يقول nengalam ان كل مجتمع يمر بمرحلة من من مراحل التغيير الاجتماعي يوضحها اختلاف وضع المجتمع ونظامه الاجتماعي في فترتين مختلفتين وذلك بالنسبة للتغيرات في انساقه الثلاثة واعني بها النسق الثقافي والاجتماعي ونسق الشخصية وفي هذه العملية تأخذ الهجرة دورها الرئيسي الذي هو حفظ التوازن الديناميكي للنظام الاجتماعي عند الحد الأدنى من التغيير وفي نفس الوقت تعطي أعضائه طرقا ليتخلصوا من حرمانهم وان الهجرة تؤثر وتتأثر بالنظام الاجتماعي لكل من منطقتي الجذب والطرْد وكذا فالقيم الثقافية و أهداف المهاجرين ومعاييرهم تتغير أثناء الهجرة ونسق الهجرة يشمل على ثلاثة عناصر هي مجتمع المنطقة الأصلية ومجتمع منطقة الجذب ثم المهاجرين أنفسهم وهذه العناصر تكون كلا متساندا تساندا ديناميكيا³

¹ علياء شكري العسالي، المنهج وعلاقته بالتغيير ، www.google.com 2007/10/10.

² حسين عبد الحميد رشوان ، مشكلات المدينة ، المكتب العلمي للكمبيوتر للنشر والتوزيع ، ص 65

³ عبد الغني غانم ، المهاجرون دراسة سوسيوأنثروبولوجية ، المكتب الجامعية الحديث ، مصر ، ط2 ، 2002 ، ص 32 .

وترجع عمليات الهجرة من القرية إلى المدينة إلى العديد من العوامل أو الدوافع التي تتخذ أساسا للاتخاذ قرار الهجرة وهي قد تكون طبيعية أو اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو سكانية، وتدور الأسباب الاقتصادية حول عدم وجود عمل مناسب وعدم كفاية الدخل، أما الأسباب الاجتماعية فتتمثل في الخلاف العائلي والزواج من الخارج ونقص العمليات التعليمية، وقسم بعض العلماء العوامل التي تؤدي إلى الهجرة إلى مجموعتين من الأسباب عوامل جاذبة، وأخرى طاردة، أي ما يعرف بالتركيز والتخلخل وهما يشيران إلى التغيرات في التوزيع المكاني للسكان أي تغير الكثافة السكانية وتجذب عوامل الجذب من المهجر المهاجر إليه مما يؤدي إلى التركيز، أما عوامل الطرد، فهي التي تدفع الإنسان في التفكير في الهجرة، والانتقال من مكان إلى آخر مما يؤدي إلى التخلخل ولكن التوازن بين هذه العوامل يختلف بطبيعة الحال من فرد إلى آخر ومن إقليم إلى آخر ونذكر على سبيل المثال بعض هذه العوامل:

1-4-4 العوامل الطاردة:

(أ) العوامل الطبيعية: ذات أهمية بالغة في عملية الهجرة فالمناخ القاسي والترربة الفقيرة تحمل سكانها على الهجرة

(ب) فترة الفراغ بين المحاصيل الزراعية يؤدي إلى الهجرة

(ج) يعد التضخم السكاني في المناطق الريفية عاملا رئيسيا من عوامل الهجرة

(د) البطالة الناتجة عن عدم كفاية الأرض والميكنة تتسبب في الهجرة للسكان العاطلين

(هـ) الحرية الناتجة عن سقوط النظام الإقطاعي للفلاحين تسمح لهم بالانتقال حيث يشاءون

4 - 4-2 عوامل الجذب:

(أ) احتياج المدينة إلى الأيدي العاملة بسبب الثورة الصناعية

(ب) الاستقرار و الأجر المرتفع للعمل الصناعي

(ج) النشاط العمراني للمدينة

(د) استئثار المدينة بتنسيق الخدمات والتنظيم الذي حظيته من الحكومات

(هـ) انتشار الجامعات والمدارس والتوسع في التعليم

و (تمتع المدينة بحياة الرفاهية ومظاهر التحضر المختلفة¹

4-5 التحولات السياسية : إن روابط السلطة المتغيرة والأنماط الجديدة لتوزيع المنتجات والحركات الاجتماعية الكبيرة يمكنها كلها أن تغير معالم الأسرة ووظائفها ويمكن ملاحظة هذا بوضوح في بلاد أوروبا الشرقية، حيث حققت الأحزاب الشيوعية تحولا أساسيا في الروابط الاقتصادية والاجتماعية بإلغاء الملكية الفردية لوسائل الإنتاج وتركيز الإنتاج والخدمات في وحدات كبيرة ، تغير الوضع الاجتماعي للغالبية العظمى من الشعب والأشخاص الذين كانوا مضى يزرعون أرضهم او يعملون في حانوتهم اصبحوا عمالا أجراء، ولم تصبح الأسرة وحدة الإنتاج للجماهير العريضة وهذا الأمر غير المعاملات المتبادلة فأصبحت محدودة في الزمان والمكان ومتخصصة في طبيعتها، أما الأطفال الذين كانوا يرثون فيما مضى مزرعة الأسرة أو حانوتها أو يعاونون الأسرة اصبحوا عائقا لها من الناحية الاقتصادية²

4-6 التدرج الاجتماعي : ويشير التدرج الاجتماعي إلى الفروق في الملكية الخاصة والدخل والفروق في الهيبة والاحترام والفروق في القوة والنفوذ، والواقع ان التمييز بين هذه الفروق يتم على المستوى النظري فقط اذ أنها تتداخل وتتطابق في الحياة العملية ومن ثم فإننا نستطيع من الناحية النظرية أيضا ان نرتب الناس على كل بعد من هذه الأبعاد (الطبقة والهيبة والقوة) فإذا استطعنا ان نحصر ثروة كل شخص او كل عائلة في حي من الأحياء فإننا نستطيع أن نرتبهم على أساس طبقي فنقول إن الأكثر ثروة مثلا يمثلون الطبقة العليا والمتوسطين يحتلون الوضع المتوسط على المقياس بينما نضع الآخرين في الوضع الأدنى على أساس كمية الثروة التي تمتلكها كل مجموعة من تلك المجموعات ، ويمكن نظريا أيضا أن نرتب الناس على أساس الاحترام والهيبة التي يحظون بها في المجتمع ، وعلى أساس نفوذهم وقوتهم بالرغم من صعوبة قياسها إذا قورنت بالطبقة أو

¹ حسين عبد الحميد رشوان ، المرجع السابق نفسه ، ص 67 68

² نادية رضوان المرجع السابق نفسه ، ص 66

الثروة ذات الوجود الموضوعي المادي فالهيبية والاحترام لا يمكن عدّها وإحصائها كالنقود لكنها غالباً تكون أشكال من التقدير الاجتماعي التي يخلعها المجتمع على الأفراد¹

¹ محمود عودة ، المرجع السابق نفسه ص206

4- التيارات السوسولوجية والحراك الاجتماعي

نتيجة لتباين رؤى الباحثين حول ظاهرة التمايز والتدرج الطبقي وتحرك الفرد داخل المجتمع تبلور في إطار علم الاجتماع ثلاث تيارات أحدهما رجعي يعتد بظاهرة اللامساواة الاجتماعية ويشدد عليها والثاني راديكالي تقدمي يؤمن بإمكانية تحقيق المساواة الاجتماعية وتدعيم أركانها وثالث يقع في موقع الوسط بينهما هو يعترف اللامساواة ويجعلها في خدمة المجتمع أما التيار الأول فيندرج تحت ما يعرف بنظرية التكامل الاجتماعي تلك التي تمثل بشكل أساسي في تحليلات الوضعية والبنوية الوظيفية في حين يندرج التيار الثاني تحت ما يعرف بنظرية الصراع أما الثالث فيمثل التحليلات الإسلامية لهذه الظاهرة ويمثلها الأب المؤسس لعلم الاجتماع ابن خلدون

1) المفكرون الإسلاميون والحراك الاجتماعي : وفي الإسلام هناك نموذجان من

التفسير المعترف به

الأول حركة تقدمية نحو تطبيق الإسلام في الحياة وهذه الحركة تمثل تقدما نحو الطبيعة

الإنسانية

الثاني حركة نكوصية نحو الجشع الإنساني والمصالح دون التزام بالقيم الأخلاقية الإسلامية وهذه حركة نحو عدم التكامل والدمار

ولتجنب التفرقة والتجزئة بين الواقع الاجتماعي فإن الإسلام يسمح ببعض

التكيف والتعديل حسب الظروف المتغيرة وهذا ما يفسر لنا لماذا عرفت الشريعة فقط ماذا

يجب ان نفعل في الثقافة حسب الزمان والمكان المتغير، اكثر من ذلك فإن القانون

الإسلامي يسمح للمجتمع بان يكيف نفسه مع الظروف الجديدة حتى ولو تطلب تعليق حكم

او قانون كان معترفا به فيما سبق وهذا بالإضافة إلى أن الاجتهاد يعد منهاجا مقبولا معترفا

به لتطوير المجتمع الإسلامي لمقابلة التغير الاجتماعي فالمجتمع الإسلامي يجب أن يعمل

طبقا للقيم الإسلامية أو الشريعة وتوجيه المجتمع الإسلامي نحو هذا الاتجاه هي مسؤولية

كل مسلم مطالب بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر¹

¹ محمد احمد بيومي، عفاف عبد العليم ناصر، الإسلام والتغيير والأسرة، دار المعرفة الجامعية، ط1، 2003، ص 125.

ومن الأمور التي أجازها الإسلام للتحرك الاجتماعي للفرد داخل المجتمع ان يعمل ويجد لكي تكون له ملكية خاصة والملكية الخاصة هي الملكية الي يكون صاحبها فردا او مجموعة من الأفراد على سبيل الاشتراك وهي حق أعطاه الله لعموم الناس وحده لعباده في حدود وقيود فالإسلام لا يدع حق الملكية الفردية بلا حدود ولا قيود فهو يقرره ويقرر بجانبه مبادئ أخرى يجعله أداة لتحقيق مصلحة الجماعة بنفس الدرجة التي تتحقق بها مصلحة الفرد المالك سواء والى مقاصد هذه الحقوق والضوابط والغايات أشار أحدهم فقال : فهو شرع وشرع لها لحدود والقيود التي ترسم لصاحبه طرقا معينة في تنميته و إنفاقه وتداوله ومصلحة الجماعة كامنة من وراء اكله ومصلحة الفرد ذاته كذلك في حدود الأهداف الخلقية التي يقيم الإسلام عليها الحياة¹ ، ومن القيود التي ضبط بها الإسلام الملكية الخاصة

(ا) منع الإضرار بالآخرين : لانه يحرم شرعا الإضرار بملكيات الأفراد المشروعة لان قيود الملكية سواء أكانت ملكية رقبة تامة ام ملكية انتفاع ولا تكون الا ناقصة مقيدة بالا تضر بالغير

(ب) منع أسباب التملك غير المشروع : فحرمت الشريعة الإسلامية الغش والخداع في البيع كما حرمت الربا ، الميسر ، السرقة مما فيه الظلم والاستغلال ويضر بالمجتمع والفرد

(ج) منع الملكية الخاصة في حالات خاصة

- الأموال ذات النفع العام كالمدارس والمستشفيات

- الأموال الموجودة بخلق الله كالكلا والماء

- الأموال التي تؤول ملكيتها الى الدولة من الأفراد او تكون للدولة عليها ولاية

(د) حقوق الجماعة في ملكيات الأفراد يقول السيد قطب : والجماعة هي التي تفيد بعد ذلك من جهده وكده والإسلام يضع القواعد التي تبيح للجماعة هذه الفائدة وتضمن كف الأذى في إطلاق حرية الفرد وتقرير حق الملكية الفردية له ومن حقوق الجماعة في ملك الأفراد

¹ محمد احمد بيومي ، المرجع السابق نفسه ، ص 126

حق الزكاة وهكذا يسعى الإسلام الى تحقيق التكامل والتوازن وذلك بإقرار مبدأ تداول المال وتوزيعه توزيعاً عادلاً¹ و ألا يتكدس المال في أيدي الأغنياء فيطغيهم ويفتح لهم باب كي يستعلوا ويعميهم جمعه عن تقديم الخير للناس ويسعون لذلك بطرق بعضها يكون مشروعاً وبعضها يكون غير مشروع ولهذا يقول صلى الله عليه وسلم: إذا أدت زكاة مالك فقد أذهبت عنك شره (فإنها طهرة تطهرك) أي أن الله تعالى يرضى عنك حين تؤدي زكاة مالك وتحقق بهذا المعنى عبوديتك لله فيهديك الى خير الحياة ويبارك لك في مالك ويطهر نفسك ، اما الفقير فلا شيء يمزق نفسه ألماً وحقداً اكثر من ان يرى الغني يتمتع بلذات الحياة ويجمع في يده المال وهو في حاجة الى ما يقيم حياته ويسخره لقاء اجر قليل لان المال في يده والعمل عنده ، ولكنه اذا وجد الغني يدفع الكثير من ماله نشأت بينهما علاقة الحب والمودة والسعي الحقيقي من كل منهما لأداء ما عليه نحو الآخر بلا حقد ولا كراهية ولا صراع يمزق المجتمع ويقضي على مظاهر التعاون فيه²، من اجل هذا كله كان الله رحيماً بعباده بصيراً بما يسعدهم عندما فرض لهم فريضة الزكاة وحثهم على أدائها ووعدهم على ذلك جزيل الشكر والثواب وهدد الذين يبخلون بأموالهم ولا يخرجون زكاتها³

ومما يبيحه الإسلام لأفراده كي يضمن لهم الحراك في السلم الاجتماعي حرية الملكية الفكرية فالنتاج الفكري أياً كان موضوعه وأياً كان مجاله ان كان مما يأذن الشرع به فلصاحبه حق ما يقرره الشرع في ثمرة جهده الفكري او العلمي وطبيعة هذا الحق يتعين بحسب واقع الجهد الفكري فإن كان واقعه مما يباع ويشترى ككتاب ونحوه تنفذ فيه الحقوق التي يتبعها عقد البيع في محله وان كان واقع الأمر في الجهد الفكري مما ينطبق عليه كعقد الإيجار كاستئجار معلم او مبتكر او خبير ونحو ذلك فتتنفذ فيه أحكام الإجارة وشروطها وأركانها في الإسلام وأما ان كان الأمر في الجهد الفكري مما هو داخل في في

¹ بن عاشور صليحة، نظرية التشريع الإسلامي الاقتصادي والقانون ، مجلة العلوم الإنسانية ، العدد 9 مارس 2006 جامعة محمد خيضر، بسكرة. ص295

² ابن عاشور صليحة، المرجع السابق نفسه، ص293

³ رفعة فوزي عبد المطلب، الإسلام وحاجة البشرية اليه ، ط1، دار السلام القاهرة، 1986، ص71 72

نطاق الشركة والمصانعة عليه او كان مما يمكن فيه الاستصناع ونحو ذلك تنفذ فيه الشروط الشرعية والأحكام في أي من العقود المشار اليها اذن فالملكية الفكرية من الحقوق المشروعة ومما يمكن ان تملك ملكية مشروعة سواء أكانت الأفكار منفصلة عن صاحبها في حاو من مثل كتاب أو شريط أو اختراع أو علامة تجارية أو تصميم أو نحو ذلك ام لم تكن منفصلة عن صاحبها أي لم تزل أفكارا في نفسه فانفصال الأفكار عن صاحبها أو عدم انفصالها لا يؤثر على حق صاحبها فيها ان على صعيد الحق المادي ام على صعيد الحق الفكري فالإسلام حرم بطر الحق وغمط الناس¹ حقوقهم أي كانت هذه الحقوق لقوله صلى الله عليه وسلم (الكبر بطر الحق وغمط الناس) وفي رواية (الكبر السفه عن الحق وغمص الناس)²

ومن أهم المفكرين الذين درسوا الحراك الاجتماعي المفكر الإسلامي ابن خلدون المؤسس الأول لعلم الاجتماع ولقد كان انطلاقه من مسلمة أساسية مفادها ان الاجتماع الإنساني ضروري ويعبر على ذلك بقوله ان الإنسان مدني بطبعه ويرى ان من أهم الخصائص التي تميز الاجتماع الإنساني أنها لا تتجمد الى حال من الأحوال بل تختلف أوضاعها باختلاف الأمم والشعوب وباختلاف الزمان أيضا داخل المجتمع الواحد ويقرر ابن خلدون ان أحوال العالم والأمم وعوائدها لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر إنما هو اختلاف على مر الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال³

ومن ثم اعتمد على علاقة جدلية بين البدو والحضر والتي تقوم عليها نظرية العمران بأسرها وهي التي جعلته يفكر مليا في كيفية اكتساب الأشخاص او الطوائف للثروة والمال والجاه التي تعتبر مؤشرات هامة للحراك الاجتماعي فحراك الأجيال لا يتم الا طبقا لنمط حياتهم ومعيشتهم ، ويؤسس ابن خلدون هذا الاختلاف على المناطق الجغرافية وما تتحلى به الأرض من جذب وخصوبة وبهذا تختلف حياة الناس وكسبهم

¹ إحسان سمارة، مفهوم حقوق الملكية الفكرية وضوابطها في الإسلام ، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 8 ، سبتمبر 200 ، ص 124 ، جامعة محمد خيضر، بسكرة .

² انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج 10، ص 490/491 ، وانظر صحيح مسلم بشرح النووي ، ج 1 ، دار ابن حبان ، ص 367.

³ محمد احمد بيومي، أسس وموضوعات علم الاجتماع ، ط 1 ، دار المعرفة الجامعية مصر ، 2001 ، ص 86

وهنا يبدأ الاختلاف بين البدو والحضر الذي يفسره طبع كل منهما أما الضروري والكمالي عنده فيرتبط بحياة الحرمان والذي يتعدى المحافظة على الحياة اما الكمالي فهو كل ما زاد عن القوت ، فالكمال يشكل حراكا قويا بالنسبة للأشخاص الذين تعودوا على الضروري من العيش والانتقال من البداوة إلى الحضارة ، أن هذا الانتقال الفجائي والانقلاب اللاتدرجي في حياة هؤلاء من شصف العيش إلى قمة التمدن والحضارة ويبرز التناقض بين حياة هؤلاء في البدو و حياتهم في حالة الحضارة والنتائج المترتبة عن التناقض ويقول: " ان النسيان المقصود للبداوة مع وجودهم ينبع من حضارة أوربا الصناعية التي فرضت هذه الازدواجية الجديدة "، اذن حسب تصور ابن خلدون يحتاج البدو الى المدن نظرا لتطوير تقسيم العمل فيها وكثرة المهن واختلافها ، ان أهمية الثروة تبدو في علاقتها بالملك والدولة فهو يشير الى السمة الرئيسية في الحراك الاجتماعي وهذا ما لم يسبق له بقوله ان ثروة السلطان وحاشيته إنما تكون هي وسط الدولة وهذه الثروة تتجه اتجاها انحنائيا فكما تقوت الدولة كثرت ولم تظهر الاضطرابات على السطح لكن حين يصيب الدولة الاضمحلال فان الثروة تقل لكثرة توزيعها على الموالين والأنصار لبروز الثورات والانتفاضات نتيجة لعدم المساواة في الحظوظ الاجتماعية وللظلم والقهر¹

لقد كان ابن خلدون حذرا في تعميم مقولة الحراك الاجتماعي على كل الفئات الاجتماعية بل رأى النقيض تماما لبعض الفئات ، أي انه طرح مقولة الثبات الاجتماعي فهو يؤكد ان القائمين بأمور الدين تعظم ثروتهم في الغالب وذلك للاحتياج المؤقت لبضاعتهم الفكرية وكذا لانهم لا يخضعون لمؤشر الجاه الذي ذكر في السابق كعامل من عوامل الحراك ، ويضيف ابن خلدون ملاحظته ومعابنته المباشرة لهذه المقالة ويقول (ولقد باحثت بعض الفضلاء فأنكر على ذلك فوقع بيدي أوراق مخرقة من حسابات

¹ عبد العزيز رأس مال ، المرجع السابق نفسه ، ص 23.

الدواوين من دار المأمون تشتمل على كثير من الدخل والخرج وكان فيما طالعت قبيها أوراق الفضلاء و الأئمة و المؤذنين ووقفته عليه و علم منه صحة ما قلته ورجع إليه ¹.
 اما وجهة نظره في الحراك التنازلي فيلخصها في تتبعه الأطوار الملك او الدولة وخاصة في هرمها حيث تفسد الأقوات و النعم على السلطة الحاكمة ثم تبدأ الدولة في الهرم بتلاشي العصبية احتاج صاحب الأمر الى الأعوان و الأنصار لكثرة الخوارج و المارقين و الثوار و انفق خزائنه و حاصله في مهمات الدولة و قلت مع ذلك الجباية لما قدمناه من كثرة العطاء و الإنفاق فيقل الخراج و تشتد حاجة الدولة الى المال فيتقلص ظل النعمة و الترف عن الخواص و الحجاب و الكتاب و يتقلص الجاه عنهم و يضيق نطاقه على صاحب الدولة ²

ويبدو ان سعة أفق تفكير ابن خلدون تظهر في معالجة بعض المؤثرات الاقتصادية مثلا الرخص في الأسعار الذي يؤثر على فئات اجتماعية معينة بل يسبب حراكا تنازليا لها فهو يؤثر على التجار فساد سلعهم وفساد رؤوس أموالهم وكذلك يؤثر على المحترفين ببوار أنواع الزرع من فلاح و زراعة و ذلك لقلّة الربح فيها فلا تكثر رؤوس أموالهم بل ينفقون عليها بل يؤثر على الجند لان أرزاقهم تأتي من الدولة وحينما ترخص أسعار الزرع تقل الجباية منه لفساد الحالة لاجتماعية للمحترفين به ، هذا المنطلق يدل على عمق فكر ابن خلدون في العلاقة بين البدو و الحضر و هذا ما يبدي ان هناك علاقة بين الحراك و الهجرة الداخلية أي العلاقة بين صعود فئات و نزولها في السلم الاجتماعي و تلك الهجرة التي تحدث بين الريف و المدينة ³.

ونستفيد من هذا القواعد التي رسمها الإسلام للحراك حيث انه يقر بوجود الفوارق بين الفئات الاجتماعية و يقر بحرية كل فئة في التحرك و الصعود في سلم التدرج الاجتماعي ولكنه يضع لهذه الحرية الضوابط التي تسيورها و تجعلها لا تخل بالهدوء الاجتماعي و السلام ذلك ان هذا الدين قوامه التسامح و التعاطف و التآزر بين أفراد المجتمع

¹ عبد العزيز رأس مال ، المرجع السابق نفسه ، ص 23 .

² المرجع السابق نفسه ، ص 24

³ المرجع السابق نفسه، ص 24 ³

ومن هذه الضوابط التي يضعها المفكرون الإسلاميون لتنظيم عملية الحراك الاجتماعي نذكر :

- أن لا يكون التحرك والتنقل في السلم الاجتماعي على حساب الآخرين .
- أن الغاية لا تبرر الوسيلة مهما بلغت هذه الغاية من السمو فإذا كانت قواعدنا تخل بقواعد الشريعة الإسلامية فهي غير مقبولة

4-2) المدارس الغربية والحراك الاجتماعي

الوضعية ينطلق كونت من مسلمة أساسية هي ان الإنسان لا يشكل البداية إنما هو وريث سابقه لذلك فقد تساءل كثيرا كغيره من المثقفين عن مسيرة التطور الاجتماعي ومكانة الطبقة العاملة والطبقة البرجوازية الصاعدة فيه وفي هذا التطور الى اين يدفعنا والى أين يتجه بنا تطور الإنسانية¹ وتعتبر الديناميكية الفكرة التصورية الرئيسية لعمليات التطور والتقدم الاجتماعي التي تعتبر جوهر الفكرة النظرية للوظيفية عند كونت حيث يتصور ان الديناميكا تبدأ أولاً بإدارة ومعرفة معدلات النمو والتغير لكن قد يظهر هذا التغير والتطور بصورة نسبية ولا يحدث بصورة فجائية كما رأى ان التطور والتقدم لا يسيران في خط مستقيم كما رأى بعد ذلك العديد من رواد نظريات التقدم الاجتماعي الذين يصنفون في إطار ما يعرف بالنظرية الخطية وخاصة أن كونت تصور بأن للتقدم عوامل و نتائج ومظاهر كما يحدث للتقدم بصورة عامة تذبذبات وتقلبات وذلك بفضل تدخل الإرادة الإنسانية التي بواسطتها يمكن تعديل مسار التغير والتطور ومعدلاته بصورة عامة

كما بلور نظريته السوسيولوجية عند تحليله لفكرة التقدم التي اعتبرها ممثلة في تصوره عن عمليات التغير الديناميكية التي تحدث في المجتمع واطهر ان التقدم يكون فيزيقيا أو أخلاقيا او سياسيا واعتبر ان أهم تقدم هو التقدم العقلي لانه يؤثر عليها كلها ، وهو المسؤول عن التغير في مجريات الأحداث في التاريخ كما ان التاريخ ذاته لا يتغير إلا بمجموعة من الأفكار العقلية إلى مسارات معينة لذا قال : " ان النمو والتقدم

¹ عبد العزيز رأس مال ،المرجع السابق نفسه ، ص28

العقلي يؤدي حتما إلى النمو والتقدم المادي ويكون الدافع الأول نحو تطوره بصورة مستمرة في كافة المراحل والعصور التاريخية ولا سيما في العصر الحديث"¹

وتبرز أهمية كتابات كونت عن التطور والتقدم الاجتماعي لأنها وضعت المعالم الرئيسية الأولى لنظرية التغير الاجتماعي التي تناولها بالدراسة والتحليل العديد من النظريات السوسيولوجية بصورة عامة ، فلقد تناول كونت مشكلات معدلات التقدم او مستويات التغير و دائريته كما ظهر ذلك عند علماء نظرية التغير الاجتماعي المعاصرين وعرض عددا من العوامل التي تلعب دورا أساسيا في زيادة التقدم الاجتماعي²

وتصور كذلك ان الاهتمام بدراسة وتفسير قانون المراحل الثلاث على أسس الفلسفة الوضعية يعتبر مسألة ضرورية وحيوية لان هذا التفسير يرد القانون الى الطبيعة الإنسانية ومعرفتها بسهولة ولا سيما ان التطور والتقدم لا يحدث فقط في المجتمعات البشرية ولكن يحدث في الذات والعقل الإنساني ومن هذا المنطلق عقد كونت مجموعة من الارتباطات التي تفسر عملة التطور والتقدم والمراحل العقلية والمادية وأنماط الوحدات الاجتماعية وأيضا المشاعر والأهداف السائدة والتي يبلورها في قانون المراحل الثلاث الذي يعد من أهم القوانين الاجتماعية التي طورت بعد ذلك العديد من النظريات السوسيولوجية التقليدية والمعاصرة ونظريات التقدم والتغير الاجتماعي كما ترجم كونت أفكاره السوسيولوجية الوضعية من خلال طرحه لمهمة ووظيفة علم الاجتماع واهتماماته من الناحية العلمية والعملية بدراسة المجتمع الواقعي الذي ينقسم الى قسمين رئيسيين هما الاستاتيكا والديناميكا الاجتماعية، ومن ثم يمكن ان نقول ان آراء كونت عن الاستاتيكا والديناميكا تعد بمثابة نظرية عامة عن طبيعة النظام الاجتماعي ذلك النظام الذي يشير بوضوح الى كل من الانسجام والتوازن بين ظروف وواقع الإنسان ونظمه وبنائه في المجتمع كما يتمثل ذلك خاصة في تصوره عن الإستاتيكا الاجتماعية بينما جاءت تصوراته عن الديناميكا الاجتماعية كنظرية سوسيولوجية تبرز عملية التقدم والتغير

¹ عبد الله محمد عبد الرحمان، النظرية السوسيولوجية الكلاسيكية، دار المعرفة الجامعية الازاربية، ط1، 2006، ص137.

² المرجع السابق نفسه، ص138.

الاجتماعي وان كان قد حرص على ان يوضح الحقيقة للنظام الاجتماعي في صورتيه الإستاتيكا والديناميكية من خلال تأكيد على فكرة الأنساق العامة او الارتباط الضروري بين عناصر المجتمع.¹

ومن هنا يظهر لنا كيف نظر كونت الى التحرك الاجتماعي الذي يطرأ على الفئات الاجتماعية عبر العصور فان التحرك عنده مبني على الانتقال من فكرة عقلية الى فكرة أخرى بحيث انه إذا أراد أي فرد من أفراد المجتمع ان يغير من أفكاره فعليه ان يساير الحركة السائدة في المجتمع ولا يخل بالتوازن الذي يسير عليه المجتمع، وهذه نظرة ترى بان الإنسان محكوم عليه ان يبقى في المكان الذي وجد نفسه فيه وان مكانة الفرد في المجتمع مكانة موروثه من مكانة عائلته وكذلك وظيفته الاجتماعية، ومما يؤخذ كذلك على كونت هنا هو نظرتة الى ان المجتمع يجب ان يتحرك بنفس السلم الاجتماعي هو تبريره للتدرج الاجتماعي الموجود محاولاً من وراء ذلك خدمة النمط الاجتماعي السائد في عصره²

اما الرائد الثاني للمدرسة الوضعية دوركايم فلقد ركز على ضرورة زوال التقسيم الطبقي في المجتمع لكن هذا لا يمكن ان يتم عن طريق الثورة الطبقيّة طبقاً للمفهوم الماركسي ورأى ان أحد العوامل الهامة التي تؤثر على زيادة وحدة الصراع الطبقي في المجتمع هي حقوق ميراث الثروة والملكية التي تؤدي بالضرورة الى تكديس الثروة والسيطرة عليها بواسطة مجموعة قليلة من الأفراد او طبقة معينة في المجتمع ولقد أكد دوركايم على ضرورة بناء برامج شاملة للرعاية الاجتماعية وغيرها من الإجراءات الأخرى الكفيلة بتحقيق ظروف الحياة المادية والاجتماعية لطبقة الفقراء ويتم ذلك عن طريق إعادة تنظيم الاقتصاد ولا يمكن ذلك عن طريق وضع الاقتصاد تحت سيطرة الدولة

¹ عبد الله محمد عبد الرحمن، النظرية السوسولوجية الكلاسيكية، المرجع السابق نفسه، ص 139

² المرجع السابق نفسه، ص 140

ولقد أكد في إطار نزعتة المحافظة على أهمية الطبط الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية والأخلاقية والنظام التربوي في حل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية والأخلاقية وهذا ما جاء في تصوراتة حول الاشتراكية والشيوعية وعلاقة الدولة بالفرد حيث جاءت أفكاره متممة بالطابع اليوتوبي كما رفض أيضا فكرة الصراع كأسلوب للتغيير والحل الجذري للمشكلات واعتبره مجرد نوع من فقدان اللامعيارية الانومي من ثم يجب ان يوظف الصراع كدافع للتغيير وليس محركا أو قوة إلزامية لحدوث التغيير والإصلاح مما اثر عموما في النظرية البنائية الوظيفية السوسيولوجية¹

ومما يؤخذ عليه هنا هو تعلقه بالجانب المادي من الحراك الاجتماعي دون تطرقه الى الحراك الثقافي ودفاعه عن السلطة محاولا إعفاءها من مسؤولية التدرج الطبقي ورفع المسؤولية عنها في مساعدة المحتاجين والفقراء مبررا ان ذلك يكون سببا في انكالمهم عليها

(ب) **المدرسة التطورية** تنطلق تطورية سبنسر من المقولة الأساسية التطور هو المفهوم الرئيس لفهم العالم ككل ومكانة الإنسان فيه كما أن تفسير الظاهرة يتم من خلال التوازن المتحرك لأنها في حالة تساند مستمر للحركة أي تتبع كل التغيرات والطوارئ الجديدة أثناء تبدل الظاهرة من شكل الى آخر ومن هنا فان العمليات الاجتماعية في المجتمعات الصغيرة تتحرك من حالة البساطة الى حالة التعقيد المنظم²، ولقد استمد هذا المنطلق من تطورية داروين والذي جعل له مبدا هو السياسة الاجتماعية واستمدها من مصدرين هما آراء سميت الاقتصادية والقائمة على عدم تدخل الحكومات في الحركات الثورية والاجتماعية إلا عند الضرورة القصوى وثانيا آراء داروين التي تؤكد على حتمية التغيير عن طريق هيمنة العوامل والقوانين الطبيعية على بقاء واستمرارية الكائنات الحية البشرية وهذا ما تبلور عموما في تصورات سبنسر عندما حرص بشدة على التأكيد ان علم

¹ عبد الله محمد عبد الرحمان ، النظرية السوسيولوجية الكلاسيكية، المرجع السابق نفسه ، ص242 241

² عبد العزيز رأس مال ، المرجع السابق نفسه ، ص29

الاجتماع يجب ان يوضح للبشر عدم تدخلهم في العمليات والقوانين الطبيعية التي تحدث في الواقع الاجتماعي والسبب يرجع الى ذلك الاعتقاد او الافتراض من قبل سبنسر لانه كان مؤمن بان الطبيعة الخارجية تستطيع عن طريق التطور والتغير المستمر ان تتخلص من الأشياء السالبة ولن يبقى فيها الا الاصلح والأقوى من المجتمعات والبشر ، ولقد سعى سبنسر الى ان يربط بين تحليله حول النظم الاجتماعية وما يحدث بالفعل لدى الكائنات الحية محاولا التأكيد على فكرته العامة بانه كلما زادت درجة التعقيد في المجتمع كانت هناك فرص ونتائج أكثر نحو التكامل الاجتماعي ومن ثم فلقد ركز سبنسر على توضيح بعض الحلول التي بموجبها تستطيع الدولة التدخل في الإدارة الاجتماعية بصورة او باخرى كان سبنسر لا يؤمن بضرورة أن الا تتخذ الدولة موقفا سريعا وحاسما للتغيير الاجتماعي الجذري ولهذا كان معاديا لتدابير الحكومة نحو الحد من الفقر اللامساواة مبررا تلك الإجراءات بأنها ضد الطبيعة الإنسانية ذاتها ، علاوة على ذلك استخدم سبنسر مفهوم الشخصية القومية ليشير الى ان كل فرد يجب ان يسعى لتحقيق رفايته بمجهوده الذاتي من ثم فان الجهود الفردية والجماعية للرفاهية سوف تكون مساهمة في خلق فروق بين المانحين والمحتاجين كما ان أساسيات الرعاية الاجتماعية في مجملها سوف تهدد من مستوى معيشة الطبقة العاملة لانها الوحيدة التي تدفع الضرائب الحكومية وتمول تلك السياسات ومن ناحية أخرى ان تلك التدابير سوف تشجع على المزيد من الانحرافات والحياة اللاأخلاقية في المجتمع¹

ولقد ابرز تيمان مقولة الآثار الخطيرة للحراك التي تكون بموجبه وجود نموذجين للمجتمع يرتبطان بهذه المقولة هما المجتمع الصناعي والمجتمع العسكري الأول يقع ضمن إطار ما يسمى نسق صيانة المجتمع داخليا والتعاون فيه اختياري وغاية التنظيم الاجتماعي تهدف الى الزيادة في الإنتاج وتوفير الرفاهية الاقتصادية للمواطنين أي الحراك الاقتصادي والاعتراف بالحقوق الشخصية الحراك الاعتباري وظهور

¹ عبد الله محمد عبد الرحمن، النظرية السوسولوجية الكلاسيكية، المرجع السابق نفسه، صص، 188187189

² عبد العزيز رأس مال، المرجع السابق نفسه، ص.30

التنظيمات الطوعية الحرة وبناء طبقي يمتاز بالمرونة بمعنى حراك اجتماعي مفتوح لكن بمواجهة ذلك تفقد المعتقدات الدينية طابعها التدريجي وقوتها المطلقة في المجتمع الثاني: يقع في إطار نسق النظام أي الحماية من الأخطار التي يتعرض إليها المجتمع من الخارج والتعاون إجباري ووجود سلطة مركزية ومستويات عليا للضبط الاجتماعي القائد العسكري يتمتع بقوة مسيطرة على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية يخضع فيه الأدنى للأعلى خضوعا تاما ومن ثم فإن الأمل في الحراك الصاعد يكون محدودا¹

ج) السوسيولوجية : ويمثلها سيميل عندما درس الجماعة الاجتماعية وأنماط التفاعل الاجتماعي والثقافي وتحديده لعديد من أنماط الجماعة والتفاعل الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية والتي بلورها في إطار تصوراته العامة حول الأشكال الاجتماعية والصورية التي توجد في الواقع ولقد طرح سيميل مجموعة معينة من أنماط الجماعة والعلاقات الاجتماعية التي تصاحبها وهذا ما ظهر في تحديده لما يعرف بالجماعة الثنائية والتي تتكون من شخصين فقط والجماعة الثلاثية التي تتكون من ثلاثة أشخاص وتصور ان الشخص الثالث في الجماعة يكون أكثر فاعلية في أنماط العلاقات والتفاعل داخل الجماعة ومكونات عملية التفاعل بها واعتبر ان الشخص الثالث صاحب التغيير السبي والراديكالي والجوهري داخل بناءات الجماعة وصور علاقتها وأنماط أشكالها كما حاول سيميل أيضا ان يؤكد على ان زيادة العدد في الجماعة هو الذي يعكس تعدد أنماط العلاقة ويفسر طبيعة أشكالها ومضمون ومحتوى أفعالها وبناءاتها ككل.²

ويبين ان مجال علم الاجتماع هو دراسة المحتوى كالتناسق والخضوع والتنظيم المتدرج وتقسيم العمل من خلال الصور المختلفة التي تنطوي عليها هذه العلاقات وكذلك يندرج تصوره في فهم المجتمع على ان الظواهر الاجتماعية مستقلة عن مظاهرها الفردية بمثل ما يطرحه دوركايم فالأفراد ليسوا ذواتا اجتماعية ، يؤكد سيميل على علاقات

² عبد الله محمد عبد الرحمن، النظرية السوسيولوجية الكلاسيكية، المرجع السابق نفسه، ص316

2 عبد العزيز رأس مال المرجع السابق نفسه، ص30

3 عبد الله محمد عبد الرحمن، النظرية السوسيولوجية الكلاسيكية، المرجع السابق نفسه ، ص317،

التفاعل التي تتضمنها ظواهر الحياة اليومية مثل نظرة الناس الى بعضهم وكلها آليات تنشط وتائر الحراك الاجتماعي والاعتباري في المجتمع والفكرة التي تثير الإعجاب لدى سيميل هي تلك التي تبين الصور العديدة للعلاقات الاجتماعية كالسمو والدونية والمنافسة وتقسيم العمل وتكوين الأحزاب وهي آليات مهمة للحراك نفسه متشابهة في كل مكان لكنها مشابهة في مضامينها¹

كما ناقش سيميل طبيعة الجماعة وبنائها في ضوء استخدام مفاهيم ومداخل علم النفس الاجتماعي وما يعرف بالمدخل او المنهج التحليلي الهندسي الاجتماعي social geometry method وهذا ما ظهر عندما حلل طبيعة التفاعل بين الجماعة الاجتماعية وخاصة الجماعة ثلاثية الأشخاص والدور الاجتماعي الذي يمكن ان يقوم به هذا الشخص داخل بناءات الجماعة ويقصد بها جماعة الشخصين والتي تحدث بينهما أنماط الصراع وأيضا التنافس والتعاون، ولقد استعمل سيميل بعض المفاهيم السوسولوجية المميزة في تحليله للدور الوظيفي والتفاعلي للشخص الثالث في الجماعة الثلاثية عندما أشار الى طبيعة هذا الدور الذي يؤدي الى نظام الحراك او التنقل الاجتماعي او النظام التسلطي الذي يحدث داخل بناءات الجماعة²

ان بحوث سيميل عن الصراع والمنافسة والعلاقات الرئاسية ودور الغريب والمدينة الحديثة تبين تلك الخاصية التي تتمتع بها هذه المفاهيم في إطار حركية المجتمع وجدلية التطور فيه وكذا العوائق إلى تعرقل عملية التغير الاجتماعي وتبين عمق دراساته للتفاعل الاجتماعي التي تنعكس في علم الاجتماع الجزئي وحركية الجماعة³

وان كان سيميل يستخدم النماذج المثالية في تحديد العلاقة التطورية والتفاعلية بين مكونات وبناء الجماعة ونوعية تغير الحجم وشكل العلاقات والتفاعل الاجتماعي ونمط الارتباط والتضامن الذي يتغير من الجماعات الصغيرة الى الكبيرة التي يتكون منها

³ عبد العزيز رأس مال، المرجع السابق نفسه، ص31

المجتمع الأكبر كما ناقش أيضا تغيرات العلاقات وأنماط السلطة والحرية التي يتمتع بها الأفراد داخل الجماعات لصغيرة والكبيرة

و أخيرا تكمن كتابات سيمل من خلال تحليله للصراع الذي يحدث بين البناءات الفردية والاجتماعية او ما يظهر فيما يعرف بثقافة الذات الفردية الثقافة الفرعية وكيفية تطور وازدهار الثقافة الموضوعية بعد ان تقلصت الثقافة الفردية و أصبحت في أدنى مستوى لها بالإضافة الى رؤيته السوسيولوجية للصراع الثقافي الذي حدث في المجتمع الحديث نتيجة لمجموعة من عوامل التحديث والتطور والتغير حرص أيضا على مزج هذه التحليلات برؤى فلسفية و سوسيولوجية وهو ما وضح في اهتماماته بنوعية وأنماط الجماعة الفردية والجمعية خلال العصر الحديث ولا سيما تركيزه على وجود نوعين من

الصراع بين حياة اكثر mor life وما اكثر من الحياة mort than life¹

(د) الفيبيرية : حرص فيبر في إطار تحليلاته عن نظرية التغير الاجتماعي على سبيل المثال أن يبين لنا كيفية تطور النظام والمؤسسات والقيم التربوية عبر العصور الى أن وصلت إلى ما هو عليه في العصر الحديث على ان كل بناء سوسيولوجي له طابع احتمالي فان البناءات الاجتماعية تفقد دلالتها مع الوقت ، او قد تختفي ان كان نشاط البشر الذي يتعلق بها يعطيها دلالة أخرى اما تحت ضغط الضرورات او طبقا للمصالح الجديدة او طبقا للتطور التكنولوجي والعقلانية البشرية او قد تحرم من كل دلالة وتندثر²

ان المجتمعات في العصر الحديث الذي يعتمد على العلم والشهادات والخبرة والتخصص وتقسيم العمل لخصائص عامة لظهور المرحلة العلمية العقلانية والتي افرد فيبر تحليلات موسعة عنها عندما ناقش قضية تطور الرأسمالية كنظام اجتماعي عام وشامل فلقد حرص فيبر بأسلوبه ومنهجه التحليلي التاريخي المقارن على ان يناقش قضية تغير التنظيم والمؤسسات التربوية ومحاو لا ان يوضح الخصائص والسمات العامة التي

¹ عبد الله محمد عبد الرحمان ،النظرية السوسيولوجية الكلاسيكية، المرجع السابق نفسه 317.

3 عبد العزيز راس مال، المرجع السابق نفسه، ص31

تقوم عليها مقومات الإنتاج البيروقراطي الصناعي وخاصة العنصر او القوى البشرية وكيفية تأهيلها بصورة عقلانية حتى تواكب عمليات التغيير والتحديث والحاجة الماسة الى تطور واستحداث مؤسسات وتنظيمات بيروقراطية لتواكب العصر الحديث¹

أما النشاط المجتمعي فانه عند فيبر حصيله اتفاق ضمني على القانون بين المجتمعات والجمعيات مثلا الجمعيات الرياضية او الخيرية او قدماء المحاربين وهذا النوع من التنظيم يدوم بدوام الأعضاء الذين يجدون منفعة فيه ويضيف ان ارتباطهم بها يتوطد بما تمنحه لهم من ترقية اجتماعية وحراك صاعد لكن الإنسان يجد نفسه في مؤسسة منذ الولادة من خلال التربية او من خلال ظروف الحياة لكنه يخضع لجهاز قهري في هذه البنية أساسه العائلة والمنظمات السياسية والمجموعات مثل القبيلة والمدينة والتنظيمات الدينية ، أما نشاط التجمع فانه يرتبط بسلطة محددة تمارس قهرا على الأعضاء

أما النشاط التفاهمي الذي يحدث صراع خفي ومفتوح ضمن فئات داخل المجموعة العرقية أو المجموعة الوطنية أو في اقتصاد السوق تحدث بين هذه الأنماط الأربعة التي حددها فيبر انتقالات مستمرة فهي ليست مستقلة ومن ثم فان آليات الترقية والصعود والهبوط أو البقاء في مستوى معين تستمر من خلال حركة المجتمع الكلية وداخلها وهذا يبرز من خلال طابع العلاقات الاجتماعية التي لا تأخذ فقط طابعا إيجابيا و إنما لها طابع سلبي أما الصراع فقد يكون عنيفا او يتخذ طابع المنافسة في الحب او لمزاحمة وتكون العلاقة سليمة فقط حيث ان السلم ينقل الصراع على صعيد آخر وحتى المحتوى الدال للعلاقة قد يتغير مع الوقت الى التضامن وقد يتحول بين الشركاء الى منافسة المصالح

ان نظام العلاقات الاجتماعية يبرز من خلال نمطين هما التجمع و التنشئة الأولى: يتحدد بالشعور الذاتي بالانتماء إلى نفس المجموعة وهو ذو نظام تقليدي او عاطفي او عرقي

¹ عبد الله محمد عبد الرحمان ، النظرية السوسولوجية الكلاسيكية، المرجع السابق نفسه،ص 292

الثاني: يتحدد بالربط بين المصالح من خلال نمط العقلانية المتعلق بالقيم و الأهداف ومن ثم يكشف فيبر عن مظهرين اجتماعيين: القوة والهيمنة الأول: يعني وجود حظ للانتصار داخل العلاقة الاجتماعية والإدارة الخاصة في مواجهة التحديات

الثاني: يعبر عن وجود حظ للعثور على أشخاص مطيعين لامر ذي محتوى محدد وهي أي الهيمنة تتأسس على لعلاقة بين القيادة والطاعة وقد تتعلق بإرادة شخص خارج على التجمع أو جهاز إداري

ان هذين المظهرين الذين طرحهما فيبر بذكاء يعتبران منظمين للحراك الاجتماعي في مجتمع مفتوح او مغلق تتجاذبه عدة أنشطة اجتماعية وللحظوظ دور أساسي في تحديد نوعية الحراك وآفاقه لدى عدد من علماء الاجتماع¹

ان فيبر لا يعتقد بوجود طبقتين اجتماعيتين متخصصتين بل يعتقد ان هناك طبقات تعتمد بالأساس على متغير المهنة

ان هذا التصنيف إنما ينبعث من نظرية فيبر عن الأدوار الاجتماعية ويعتقد فيبر أن التصنيفات الطبقيّة ترجع إلى عوامل متعددة أهمها التربية والتعليم والمهنة والدخل ولقب العائلة وانحدارها الاجتماعي؛ أما الصراع الطبقي فلا يحدث بين الطبقات بالنسبة لفيبر وإنما يحدث بين الأدوار الوظيفية، فان الصراع لا يكون بين الطبقة المتوسطة والطبقة العمالية كما يقول ماركس، وخصوصا وان الحدود الاجتماعية والمادية والنفسية بين الطبقات لست واضحة بسبب عامل الانتقال الاجتماعي وبسبب تحسن الأوضاع الثقافية والمادية والاجتماعية للطبقة العمالية لاسيما بعد شيوع ظواهر التحضر والتصنيع والتنمية الشاملة في المجتمعات الأوربية، ان الصراع الطبقي كما يعتقد فيبر يكون بين أبناء الطبقة الواحدة للوصول الى المراكز القيادية الحساسة ذلك ان العامل لا يستطيع ان يتناقس مع المهندس بسبب الهوة الثقافية والمهنية والاجتماعية والمادية التي بينهما لكنه

¹ عبد العزيز رأسمال، المرجع السابق نفسه، ص 33، 34

يستطيع التنافس مع العامل الآخر للوصول إلى درجة رئيس عمال وهكذا بالنسبة للمهنيين الآخرين¹

ومن الجدير بالذكر ان ماكس فيبر لم يكمل دراساته حول البناء الطبقي في المجتمع بسبب مرضه ثم وفاته فملاحظاته التي تعبر عن أفكاره كانت قليلة وغير متكاملة ، فهو لم يتطرق الى موضوع الانتقال الاجتماعي ولم يربط بين البناء الاجتماعي والبناء الطبقي ولم يعالج فوائد ومضار الطبقيية ولم يدرس العلاقة المتفاعلة بين البيئة الاجتماعية والطبقيية ومع هذا فالباحث يستطيع ان يفهم آراء فيبر الطبقيية من سياق نظريته الاجتماعية التي تتميز بالعلمية والموضوعية والشمولية

(هـ) **بارتو:** تركز أفكار بارتو السوسيولوجية على فكرتي النسق والتوازن الاجتماعي اللتان تعتبران جوهر القضايا العامة التي يقوم عليها علم الاجتماع عامة ، وسعى من خلالهما لنشر أفكاره حول ضرورة التوازن في المجتمع من اجل استمراره و بقائه وهذا ما يوضح مدى اعتناق بارتو نفسه الأفكار والأيديولوجيات والتصورات المحافظة والتي تندرج عموماً تحت النظريات البنائية الوظيفية الكلاسيكية

وتبرز أفكار بارتو الوظيفية من خلال إشارته الى فكرة اللاتجانس والتمايز الاجتماعي والتي تمثل من الناحية الواقعية أهمية ومكانة فكرة الرواسب الاجتماعية ، ووجد أنها تؤثر كثيراً في النظام او النسق الاجتماعي ، ولقد تبنى بارتو هذه الفكرة انطلاقاً من توجهاته الفكرية والأيديولوجية التي هاجم بها أفكار ماركس دائماً كما هاجمه عندما جعل الغرائز والعواطف هي الأساس في التغيير والتطور وليس العوامل المادية والاقتصادية بصورة عامة ، وفي إطار تحليل بارتو لفكرة اللاتجانس والتمايز الاجتماعي ، ركز على آراء و أفكار النظريات والأيديولوجيات التي نادى أصحابها بالمساواة ، والحرية ، والديمقراطية ، وغيرها من الأفكار التي لن تخفى حقيقة قائمة رواسب محددة تجعل بالفعل هناك أسباب لظهور هذه الأشياء في المجتمع والحياة البشرية عبر العصور التاريخية . فالسبب لوجود اللامساواة ، والحرية والديمقراطية تظهر من خلال وجود

¹إحسان محمد الحسن ، النظريات الاجتماعية المتقدمة ، دار وائل للنشر، عمان الأردن، ط1، 2005، ص285 290 291

حقائق أخرى ثابتة أيضا ، وهي التي تفسر سبب وجود اختلافات بين الأفراد من حيث الجسم و القدرات العقلية او الذكاء والخلقية وهذه الخصائص والصفات الجسمية والفيزيقية ، ما هي الا خصائص يتميز بها الجنس البشري عن بعضه البعض وهذا ما يترتب عليه دائما تقسيم المجتمع إلى طبقات اجتماعية ، تحرص دائما على تدعيم النظام الطبقي وفكرة اللامساواة الاجتماعية بين الأفراد والطبقات بل بين الشعوب والمجتمعات أيضا ¹ ومن هذا المنطلق ركز باريتو عند مناقشته لفكرة اللاتجانس والتمايز الاجتماعي ، على تحليل ومناقشة فكرة الديمقراطية وينتقدها بشدة وبكل ما فيها من أفكار ومعان وتطبيقات وأمثلة لوجودها في الحياة الاجتماعية ككل ؛ كما هاجم بضراوة أصحاب نظريات المساواة حيث أكد على ان سبب اللامساواة في المجتمع منذ القدم يرجع الى الاختلافات العقلية والخلقية والفسولوجية والجسمانية التي توجد بين الجنس البشري . ومن ثم فان التميز و اللامساواة في هذه الأشياء لا بد ان ينتج عنه نظم اجتماعية تقوم على اللامساواة ، والتميز والتقسيم الطبقي وغير ذلك من أمور بديهية يجب ان نلاحظها في المجتمع او الحياة الاجتماعية أينما كانت ومتى ظهرت عبر الزمان والمكان ، ولهذا انتقد باريتو أصحاب نظريات المساواة والديمقراطية والدعوة الى الحرية ووجد ان هؤلاء الناس يسعون الى تقديم تبريرات غير عقلية وغير منطقية ، خلال دعوتهم الى نشر نظرياتهم وخاصة انهم يناقشون قضايا وحقائق أبدية وأزلية وثابتة لا تتغير على الإطلاق . وبالرغم من تأكيد باريتو على هذه الآراء والأفكار وان المجتمع الطبقي أمر محتوم لا بد من وجوده باعتباره يشكل الحقائق الواقعية الثابتة الا أننا نلاحظ في نفس الوقت ان باريتو يؤكد على أهمية ان يكون النسق مفتوحا open system society أمام الطبقات الاجتماعية حتى يحدث ما يسمى بالحراك الاجتماعي social mobility أي يسمح بانتقال الأفراد من الطبقات الدنيا الى الطبقات العليا ومن والى كل من الطبقتين ، ويسمح بحصول أفراد الطبقات على الامتيازات التي تحملها أفراد الطبقات الاجتماعية الجديدة ، وهذا بالفعل ما ناقشه باريتو في دراسته لدائرة الصفوة والتغير الاجتماعي حيث يعتقد ان

¹ عبد الله محمد عبد الرحمان، النظرية السوسولوجية الكلاسيكية، المرجع السابق نفسه، ص 352.

المجتمع ينقسم إلى طبقتين اجتماعيتين متخاصمتين هما طبقة النخبة (الصفوة) وطبقة العوام وقسم طبقة النخبة إلى قسمين نخبة حاكمة تشغل مواقع الحكم والمسؤولية ونخبة غير حاكمة تشغل مواقع و أعمال حساسة وبارزة لا يمكن للمجتمع الاستغناء عنها أما طبقة العامة فتتكون من عامة الناس الذين لا يحتلون مواقع اتخاذ القرار والمسؤولية

ويرجع باريتو الحراك إلى رغبة النخبة باحتلال مواقعها القيادية والحفاظ عنها لأطول فترة زمنية ممكنة وعدم إتاحة المجال للعامة بمشاركتهم في القوة والمسؤولية بينما يريد العوام الوثوب إلى مراكز النخبة واحتلالها للسيطرة على زمام الأمور في المجتمع ، غير ان عملية الصراع بين النخبة والعامة تتمخض على نجاح بعض العوام في الوصول إلى مواقع النخبة وسقوط بعض النخبة إلى طبقة العوام فكلا من الأسود (أصحاب الصفوة الحاكمة) والثعالب (أفراد الفئة المحكومة) تتوزع قدراتهم وإمكاناتهم الفكرية والعقلية والجسمانية حسب ما حصلوا عليه من مجموعة الرواسب والغرائز والعواطف التي تجعل البعض منهم اسودا والبعض الآخر ثعالبا . وخاصة ما يتمتع به كل من المجموعتين من حصيلة الرواسب الأولى والثانية حسب تصنيفات باريتو لها فالثعالب تحصل على نسبة اكبر من الرواسب الأولى ، وتكافح بقوة من اجل الحصول على الدعاية والقوة الاقتصادية والمالية والحيل السياسية ، التي تجعلها تحصل على مكانة الصفوة الحاكمة في المراحل المستقبلية، عندما يتيح لها الوقت والفرصة لاحتلال الصفوة الأولى حتى تبدأ دورية الصفوة بين الفئة الحاكمة والمحكومة وهذه الظاهرة يطلق عليها باريتو ظاهرة دورة النخبة ،

ويعتقد باريتو أن أسباب عدم قدرة النخبة في الحفاظ على مراكزها هي :

- 1- تعرض النخبة للكبر
- 2-عدم كفاءة النخبة
- 3-إحالة النخبة للتقاعد
- 4-تعرض النخبة إلى فضائح

5-تعرض النخبة إلى التآمر من قبل العوام

ومن هنا يظهر لنا أن سبب الصراع بين النخبة والعوام يكمن في الرغبة في الحصول على مراكز القوة والحكم وان أطراف الصراع هي النخبة والعوام وان الصراع يقود إلى تحول المجتمع من مجتمع اقل حرية وديمقراطية الى مجتمع اكثر حرية وديمقراطية وإنسانية¹.

وفي الواقع لقد ناقش باريتو دائرة الصفوة circulation of elites في ضوء نظريته العامة عن التغيير الاجتماعي وحدوث اللاتجانس والتمايز الاجتماعي المستمر بين الأفراد والجماعات و الصفوات الحاكمة والمحكومة ، كما ان طبيعة الظروف الاجتماعية والدينية التي توجد في المجتمعات لا يمكن أن تظل كما هي في حالة من الاستقرار الاجتماعي المستمر ، ويمكن أن تلعب هذه الظروف دورا أساسيا في تشكيل الصفوة ودائريتها أو تغييرها بمرور الوقت ؛ ومن هذا المنطلق فان كثيرا من عناصر الفئة الحاكمة أو الصفوة لا تستطيع ان تسمح ظروفها الخاصة ورواسبها او مشتقاتها أن تحتفظ بالقوة والسلطة والهيمنة والمكانة التي تجعلها في مكان الصفوة وفي منزلة (الأسود) ، من ناحية أخرى فان طبيعة الظروف والعوامل المجتمعية والبيئية لن تسمح أيضا بجمود الحالة الاجتماعية واستقرارها كما هي عليه دائما ، نظرا لتغير هذه العوامل والتي تلعب دورا في تغير الصفوات والسماح لفئة الثعالب لان تسعى لتكون اسودا عندما يحين الوقت والفرصة والى حدوث ذلك لتشكل صفوة جديدة ولكن قد يدوم ذلك كثيرا لدائرية عملية الغير ذاتها فسوف تكون الصفوة الجديدة مصدرا من مصادر عدم الاستقرار الاجتماعي كما ان الصفوة السابقة لا يمكن ان تظل كما هي لأنها ستسعى إلى ان تعيد مكانتها وتضع نفسها في مكان الصفوة الأولى في المجتمع أيضا² .

وعموما لقد طرح باريتو أفكاره حول اللاتجانس والتمايز الاجتماعي باعتباره من الأفكار الهامة التي يؤكد على تحليلها علم الاجتماع عند دراسته لاسباب حدوث الظواهر

¹ عبد الله محمد عبد الرحمان ، النظرية السوسولوجية الكلاسيكية ، المرجع السابق نفسه،ص 353.

² عبد الله محمد عبد الرحمان ، النظرية السوسولوجية الكلاسيكية ، المرجع السابق نفسه، ص353

الاجتماعية واعتبرها ، أيضا جزء من عملية التغيير الاجتماعي . فالنظام الاجتماعي والتغيير الاجتماعي الذي يحدث فيه، يظهر نتيجة مجموعة من الظواهر السيكولوجية والاقتصادية والثقافية المتعددة ولا يمكن قصر عمليات التغيير الاجتماعي على بعض العوامل الأحادية السبب وهذا ما رفضه باريتو بصورة قاطعة كما حرص أيضا على اعتباره عالما اقتصاديا ان يوضح كيفية وجود اللاتجانس والتمايز بين أفراد جماعات المجتمع نتيجة لحصول كل منهما على عل العناصر المادية بصورة متفاوتة في ضوء الفرص المتاحة في الواقع

وهذا ما ناقشه باريتو في دراسته لدائرة الصفوة والتغيير الاجتماعي ، فلقد ركز باريتو على أهمية وشرط وجود للمجتمع مفتوحا ليسمح بالحراك الاجتماعي بين الطبقات الاجتماعية لان ذلك شرطا أساسيا من شروط التقدم والتطور الاجتماعي¹

(و) **تالكوت بارسونز الوظيفية** : يرى ان القيم الاجتماعية أي التوقعات التي يشترك فيها الناس قيما يتعلق بأنسب الوسائل لتحقيق الغايات المرجوة التي يمكن ان تؤثر على الجانب المعرفي عند لفرد من حيث أنها تحدد له مدى الموضوعات التي يدركها وأسلوب الاستجابة له كما انها تؤثر على الفرد من حيث انها تحدد له القيمة النسبية للموضوعات المختلفة وكذلك من حيث انها تفرض عليه شعورا بالمسؤولية عن أفعاله على أساس أثارها السلبية والإيجابية على المجتمع وقد قسم هذه التوجيهات الى (أ) تقديرية (ب) معرفية (ج) أخلاقية ويؤكد بارسونز على ان كون القيم مصدرا لصياغة تماسك النسق الاجتماعي ووحدته من ثم فهي تشكل ضوابط للإنسان وفعله في المجال الاجتماعي من الخارج الا انه يزيد عليها مجرد استيعاب الفاعل للقيم كما انها تتولى ضبطه من الداخل هذا بالإضافة الى انه لا يمنح القيمة دورا مستقرا فقط بل يمنحها دورا ديناميا حيث تعتبر القيمة مولدة للفعل خاصة الفعل المؤسس للنظام الرأسمالي² .

¹ عبد الله محمد عد الرحمان ، النظرية السوسولوجية الكلاسيكية، المرجع السابق نفسه،ص 365.

² امانى عزت طولان القرية بين التقليد والحداثة ، دار المعرفة الجامعية ، ط1، 1995، ص 43 44 .

كما يلاحظ على تحليلات بارسونز اهتمامه بفكرة التوازن أولاً عند تحليله للأنساق العامة للفعل الاجتماعي ، وثانياً دراسته للأنساق الفرعية للنسق الاجتماعي ككل ، فعندما اهتم أولاً بالتوازن داخل مكونات الفعل الاجتماعي حرص على ان يقيم صلة وثيقة او روابط تدعم علاقة الفرد بالعالم الطبيعي الذي يعيش فيه ممثلة في شرط التكيف والنسق الفرعي يشمل مجموعة من المعايير والقيم التي تشكل عالم الفعل ذاته اما شرط تحقيق الهدف فيعتبر مستلزماً ضرورياً لتشكيل نسق الشخصية وخاصة من خلال عملية التنشئة الاجتماعية و مجموعة نسق المعايير المجتمعية التي عن طريقها يتم صقل الشخصية الفردية وتوازنها في المجتمع ، اما شرط التكامل فيعتبر مطلباً ضرورياً لتحقيق أدوار المكانة status role التي تحدد طبيعة الأشكال والسلوكيات المقبولة للنسق الاجتماعي و أخيراً شرط حفظ النمط يعد من اهم المستلزمات الي يحتاجها النسق الثقافي ويتشكل هذا الشرط من الأفكار والمثل والقيم الاجتماعية التي تنتشر في جميع مكونات النسق الاجتماعي وخاصة لنسق الاجتماعي وخاصة نسق الشخصية ونسق الثقافة¹

ثانياً : اهتم بارسونز بفكرة التوازن عندما حلل علاقة النسق الاجتماعي بأنساقه الفرعية الأخرى (النسق الاقتصادي) (النسق السياسي) (نسق الضبط الاجتماعي) (نسق التنشئة الاجتماعية) وذلك بالطبع عن طريق وجود متطلبات الوظيفية الأربعة وهي (التكيف ، تحقيق الهدف، التكامل ، حفظ النمط) فالنسق الاقتصادي يعتبر من الناحية الوظيفية من الأنساق الفرعية الهامة التي تهدف الى استمرار النسق الاجتماعي الأكبر ، و باعتباره يقوم بدور وظيفي هام كما يعتبر بمثابة عنصر التكيف ويلبي جميع حاجات التنظيم الاجتماعي من العالم الخارجي وهذا ما ينطبق أيضاً على أهمية وجود النسق السياسي كشرط أساسي لتحقيق الهدف داخل النسق الأكبر نظراً لانه يقوم بعملية اتخاذ القرار السياسي وتعبئة الموارد بصورة عامة اما نسق الضبط الاجتماعي او الروابط المجتمعية تعتبر من أهم أنساق التوازن التي تهتم بدراسة مؤسسات الضبط الاجتماعي

¹ عبد الله محمد عبد الرحمان ،النظرية السوسولوجية المعاصرة ، دار المعرفة الجامعية الأزاريطة ، مصر ، ط1 ، 2005 ،

المتعددة والتي تقوم بدور وظيفي هام وتهدف إلى تحقيق (التكامل integration) او مستلزم وظيفي للنسق الاجتماعي وحرص على ان يركز على نسق التنشئة الاجتماعية ودورها في تحقيق التوازن داخل مكونات النسق الاجتماعي لأنها تقوم بدور وظيفي عن طريق تعليم الأفراد مجموعة من القيم والمعايير المجتمعية ، ولهذا وصف بارسونز تحقيق وظيفة النسق الفرعي في وجود شرط او مستلزم وظيفي هو المحافظة على النمط وخفض معدلات التوتر¹

كما يعتبر بارسونز تقسيم العمل أساس التماسك العضوي الذي يعني التباين من اجل الإنتاج وتبادل الإنتاج هذا إلى جانب انه اذا كانت هناك بعض ظواهر الانحراف او عدم الاستقرار السائد فان ذلك راجع إلى ان البناء الرأسمالي لم يكتمل بعد وسوف تلغى هذه الصراعات بمجرد نمو واكتمال هذا البناء²، فلقد حرص على ان يعالج فكرة التغير والصراع داخل الأنساق الاجتماعية ، وذلك من خلال معالجته لفكرة التوازن ذاتها فالأنساق الاجتماعية عندما تسعى إلى تحقيق الاستقرار يظهر نوع من التوتر tension او التمرد او الانحراف ولكن كل من الأفراد او الأعضاء في النسق الفرعي يسعى دائما لمقاومة ذلك الانحراف والتوتر ومعالجته بصورة إيجابية وهذا ما ظهر في تحليلات بارسونز لمجموعة من التوجيهات القيمية حيث ينشا الصراع بين محصلة هذه التوجيهات ووجود نوع من لصراع بين الدوافع الذاتية الشخصية ، وهذا ما حاول بارسونز ان يشير إليه من خلال ما يعرف بمتغيرات النمط paterant variable وخاصة الخصوصية في مقابل العمومية ، على سبيل المثال ، كما حاول بارسونز ان يؤكد على ان من مصلحة الأفراد ان يقابلوا التغيير ويسعون للمحافظة على النسق وذلك من اجل تحقيق مصلحتهم الذاتية وهذا ما جاء في تبريرات بارسونز لطبيعة النظام او النسق الاجتماعي السياسي وانتقاده لآراء هوبز بان اعتبرها آراء نفعية لا يمكن أن تقوم عليها مقومات التنظيم

¹ عبد الله محمد عبد الرحمان ، النظرية السوسولوجية المعاصرة ، المرجع السابق نفسه، ص 41 42 .

² اماني عزت طولان ، المرجع السابق نفسه، ص 44

الاجتماعي المستمر ولهذا طرح بارسونز مجموعة من التوجيهات القيمة value orientation التي توجه الأفراد نحو اعتناق عدد من القيم التي تدعم الاستقرار وتقاوم التغيير والانحراف وتسعى لامتثال النظام العام وبهذا أكد بارسونز ان القيم هي المتغير الأساسي في ضبط المجتمع كما أكد أيضا ان العمليات الأساسية التي تؤدي إلى وحدة المجتمع باعتباره كلا واحدا هي التكامل والتوازن ، ويذهب التفسير الوظيفي كذلك الى ان التدرج ضروري لمجتمع الذي ينطوي على تقسيم للعمل وحيث يظهر التدرج في توزيع المكافآت غير المتكافئة على الأوضاع المهنية المختلفة في المجتمع لكن لماذا لا تتساوى الأوضاع المهنية في المجتمع ؟ ذلك لان بعض الأوضاع اكثر أهمية من الأخرى ويستطيع كل مجتمع ان يؤكد أهمية الوظائف الهامة والحساسة بالنسبة له من خلال شغلها بواسطة الأشخاص الأكثر كفاءة في مقابل مكافآت عالية ، ومن المفترض ان الأوضاع التي تحظى بأعلى المكافآت سوف تكون موضع تنافس بين أولئك الذين يسعون لشغلها سواء كانوا أكفاء او غير أكفاء من ذا الذي سوف يفوز بهذه الأوضاع الوظيفية ان الفائزين بشكل عام هم أكثر المتنافسين قدرة وتأهيلا ومن ثم فان المكافآت غير المتساوية هي المسألة الضرورية واللازمة لحصر الأشخاص الأكفاء على شغل الوظائف الهامة وفي المجتمع تعتمد على التحديد الاجتماعي للوظائف ، تكون المكافآت غير المتساوية ضرورية لحصر هؤلاء الأشخاص المكافئين بشغل الوظائف الهامة على حسن أداء واجباته وبهذا فقد حاول ان يبني نظرية مماثلة أطلق عليها نظرية بدائل النمط حيث سعى جاهدا من خلال هذه النظرية الى تفسير النقلة الثقافية للمجتمعات المتخلفة من التخلف إلى التقدم وترتكز هذه النظرية على خمس متغيرات رئيسية حيث تتحول المجتمعات من الاعتماد على المراكز على أساس العلاقات والإعارات الشخصية والعائلية الى قياسها على أساس الإنجاز من سيادة الخصوصية إلى سيادة وسيطرة القانون والعمومية ومن السيادة العاطفية الى

العقلانية ومن عدم التخصص الى التخصص الوظيفي ومن التمثل إلي التغير الاجتماعي¹

لقد اختزلت نظرية بارسونز عملية التحول الاجتماعي الى مجرد تكيف آلي مع ضغوط داخلية وخارجية والنظرية على هذا النحو لا تفسح مجالاً للعمل السياسي الواعي والنضال الاجتماعي الفعال من اجل أحداث هذا التحول وربما كان ذلك هو السبب في ظهور تلك السيولة النقدية على الوظيفية بسبب تجاهلها الصراع في أحداث التغيير والتماسك على السواء ولزاما علينا ان نشير إلى ان بارسونز لم ينكر على الإطلاق الوجود الفعلي للصراع ففي سنة 1949 كتب يقول الصراع الطبقي حقيقة قائمة في الولايات المتحدة الأمريكية لكنه ما لبث ان أضاف قائلاً غير أنني اعتقد ان الصراع الطبقي لا يمثل السمة الأساسية للتدرج الاجتماعي في المجتمعات الصناعية الغربية ذلك لان هذا التدرج يؤدي دوراً تكاملياً داخل الأنساق الاجتماعية ولقد قصد بذلك بارسونز توضيح حقيقته التي طالما أكدها في كتاباته وهي ان كل مجتمع متقدم يضم في داخله عناصر هامة تؤدي الى صراعات وتوترات داخلية غير ان الإطار الذي يضم هذه القضية هو إطار محافظ إلى ابعد الحدود اذن يبدو الصراع وكأنه مجرد خلل طارئ يطرأ على أساليب الضبط الاجتماعي والتكامل المعياري وان الصراع يمثل ظرفاً شاذاً انحرافياً

(ز) التيار الماركسي: يستهل ماركس وانجلز البيان الشيوعي بموقفهما الواضح من مقولة الحراك الاجتماعي قولهما ان تاريخ الشعوب الى يومنا هذا هو تاريخ صراع الطبقات² فلقد ركزا على قضية الصراع الطبقي بين الطبقة الرأسمالية و الطبقة البرجوازية في المجتمعات الرأسمالية الحديثة بقولهما السابق قد أشارا الى ان قضية الصراع قضية أزلية موجودة منذ القدم في كل المجتمعات البشرية حيث كانت تنقسم هذه المجتمعات بصفة مستمرة الى طبقة تملك وأخرى لا تملك ومن ثم لا تختلف طبيعة المجتمعات

¹ محمد صبحي قنوص ، أزمة التنمية في المجتمع العربي ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، ليبيا، ط 1 ، 1992 ، ص 22 .

² عبد العزيز راس مال، المرجع السابق نفسه، ص 34 ²

الرأسمالية الحديثة عن أي نوع من المجتمعات السابقة عليها لكن تتميز المجتمعات الرأسمالية الحديثة عن تلك المجتمعات بما تملكه طبقة البرجوازية الرأسمالية وسيطرتها على جميع وسائل الإنتاج وعلى الرغم من ذلك تصور ماركس ان هذه الطبقة لم تعد قادرة على أحكام سيطرتها الاقتصادية والسياسية على أدوات وقوى الإنتاج ولم تعد لديها الكفاية اللازمة لتطور الإنتاج بالرغم من نشاتها لظاهرة السوق العالمية وخصائصه الاحتكارية كل تلك العوامل سوف تعجل بانهيار المجتمع الرأسمالي بالإضافة الى عدم اهتمامها أساسا بقضية توزيع الدخل بين الطبقات الاجتماعية على أساس المساواة والعدالة الاجتماعية بين الجميع وهكذا سوف يكون الطريق مفتوحا لقيام الثورة العمالية والتي تتميز عن غيرها من الثورات الماضية بأنها ليست ثورة أقلية ضد أخرى بل ثورة أغلبية محرومة ضد أقلية مالكة مسيطرة على كل شيء في المجتمع¹

هذه المسئلة في الفكر الماركسي يبني عليها التحليل بأسره فلا ينبغي انتظار وجهة نظر أخرى لا تتفق مع اتجاهها العلمي والنظري ثم يضيف ماركس وانجلز ان هناك على مر كل العصور أحرارا وعبيدا أسيادا وعمامة ، إقطاعيا وقنا ،سييدا في ورشة وعريفا أي أسيادا ومسودين ؛ ويمكن ان نتعدى هذا الإشكال بالتطرق إلى مؤشرات أساسية نلاحظ فيها ما يسمى بالحراك الاجتماعي

أولها دور الاغتراب الاجتماعي : نقل ماركس الاغتراب من شكله الطبيعي الى شكله الاجتماعي وقد اخذ مفهوم الغربة او الاستلاب مفهوم محدود وحصره بحياة الإنسان الاجتماعية في مرحلة واحدة هي المرحلة البرجوازية وشخصه بحالتي العامل والرأسمالي

فاصبح العامل بمثابة سلعة او اصبح العامل شيئا يستعمله الرأسمالي كيفما يشاء يبيعه ويشتره ، يسوقه ويستثمره وهذا ما له آثار سلبية على العامل نذكر منها

أولا : يغترب العامل عن ناتج عمله بفعل الملكية الخاصة

ثانيا : يفقد العامل شخصيته ويتحول الى قوة عمل مثل السلعة

¹ عبد الله محمد عبد الرحمن ، النظرية السوسولوجية الكلاسيكية ، المرجع السابق نفسه، ص 398

ثالثا: يفقد الإنسان علويته ويصبح اعتباره الاجتماعي منحطا
 إذن فالمال هو الاغتراب في شكله المطلق يشوه كل ما هو إنساني وطبيعي فهو عامل
 مهم في الحراك الصناعي بالنسبة للرأسمالي وعامل بؤس وفاقة بالنسبة للعامل.
 ان التناقض القائم بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج هو في حد ذاته السبب الأول
 الذي يظهر الصراع الطبقي في المجتمع الرأسمالي بين طبقتين هما البرجوازية
 الرأسمالية وطبقة البروليتاريا العمالية فالأولى تحاول بكل الطرق ان تحتفظ بالملكية
 الخاصة و وسائل الإنتاج ومقاييس التوزيع للدخل القومي والثانية تكون في حالة صراع
 مستمر مع الطبقة الأولى ولكن تتميز طبقة البروليتاريا بأنها طبقة مستمرة ثورية متقدمة
 تسعى إلى التنظيم الاجتماعي الجديد في المجتمع الشيوعي ذلك المجتمع الذي يتميز بدوره
 عن المجتمع الرأسمالي لانه يسعى بصفة مستمرة لتطوير علاقات الإنتاج من اجل
 الأغلبية من الأفراد وتوزيع الدخل القومي بصورة عادلة بين الطبقات دون استثناء¹

واستخدم ماركس في سبيل إثبات نظريته في الفعل لاجتماعي او الفعل الثوري
 نموذجا بسيطا جدا يمكن ان نسميه بالمذهب الآلي الرشيد حيث افترض ماركس ان الأفراد
 لهم أهداف أساسية يسعون لتحقيقها ويستغلون كل الفرص المتاحة لمتابعتها ، هذا ويرى
 ماركس ان الأفراد يتحركون نحو تحقيق غاياتهم بطريقة آلية وان لم ينكر في نفس الوقت
 ان للأفراد حاجات عاطفية وقيمة محددة الا انه يرى ان اتجاه التعبير العاطفي للأغراض
 الاجتماعية محكوم عليه بالفشل من خلال الممارسات العملية من قبل بعض الأفراد
 المؤثرين على المشاعر والأحاسيس الاجتماعية كما ان القيم هي الأخرى تعبر في بعض
 الأحيان عن الطبقة التي تسيطر بنفوذها على المجتمع .²

ويرى ماركس بان التفاعل يجب ان يتخذ - وخصوصا في المجتمعات الرأسمالية -
 أساليب ثورية حتى تتحقق مصالح الطبقة المقهورة التي طالما استغلت من طرف بعض
 أجزاء النسق الاجتماعي ويضيف ماركس ان تلك الأساليب الثورية هي الوسيلة الوحيدة

¹ عبد العزيز رأسمال ، المرجع السابق نفسه،، ص 35

² اماني عزت طولان ، ، المرجع السابق نفسه،ص28 .

القادرة على ان تمكن تلك الطبقة المقهورة من الغلبة ثم السيطرة حيث يقول : (ونظرا لان ثم تباينا حقيقيا وأساسيا بين المصالح الاقتصادية والمميزات الاجتماعية لكل من الطبقة المالكة والطبقة العاملة وحيث ان ثم استغلال من الأولى للثانية فان صراعا حتميا وضروريا لابد ان ينشب بين الطبقة المستغلة والطبقة التي يقع عليها عبء الاستغلال ولا بد ان ينتهي هذا الصراع بانتصار إحدى هاتين الطبقتين على الأخرى او اندثارهما معا ذلك ان كل طبقة من هاتين الطبقتين تحمل داخلها إمكانية تحولها الى جماعة سياسية تعي مصالحها وتتناضل من اجلها ¹ فان الطبقة الحاكمة المسيطرة قد كونت بالفعل النظم التي بواسطتها تستطيع ان تدعم مصالحها الاقتصادية وتحافظ عليها وحينما يعي افراد الطبقة المقهورة أنفسهم بوضعهم جماعة ذات مصالح مشتركة نابعة من موقف اقتصادي واحد فانهم سوف ينظمون أنفسهم بالضرورة ويعرف هذا الوعي في المفهوم الماركسي بالوعي الطبقي ومن ثم تتحول الطبقة المقهورة من طبقة موجودة موضوعيا (طبقة في ذاتها) الى طبقة ذات وجود ذاتي واع (طبقة لذاتها) ² كما ان هذا الصراع ليس أمرا عارضا او موقوتا بل هو ظاهرة تاريخية عايشها المجتمع الإنساني من قديم وسيظل يعايشها طالما ظل هناك تمايز وتفاضل طبقي في المجتمع .

لقد نظر ماركس إلى المجتمعات على أنها تمثل بناءات مستغلة بذاتها كل منها يتطور في ضوء قواه الداخلية المعينة بذلك نجد ان التغيير عند ما يتوقف على صراع دائم بين درجة تطور قوى الإنتاج من ناحية وعلاقة الإنتاج من ناحية أخرى ومن ثم فان الطبقات الاجتماعية وخاصة البروليتاربا تمثل وسيلة التنمية او التطور الاجتماعي الاقتصادي وبهذا تكون المحرك القوي للدولاب الاجتماعي والممثل البارز في مسلسل الحراك الاجتماعي داخل المجتمع .

¹ السيد عبد الحليم الزيات ، البناء الطبقي الاجتماعي مدخل نظري ودراسة سوسيوتاريخية ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، ط 1 ، 2003 ، ص 26 .

² محمود عودة أسس علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، ط 1 ، 1998 ، ص 212 .

الحراك الاجتماعي في الجزائر :

بعد أن تعرضنا للآفاق النظرية للحراك الاجتماعي و آراء العديد من المنظرين وتطبيقاتهم في مجتمعاتهم الخاصة بهم والنتائج العامة التي وصلوا إليها في معالجتهم لمسائل الحراك الاجتماعي الداخلي الأفقي والعمودي في المجتمعات الزراعية والصناعية سوف يتم التطرق إلى الحراك الاجتماعي في المجتمع الجزائري هذا المجتمع الذي ينتمي إلى المجتمعات الزراعية إلى حد كبير - هل يتسم بنفس الخصائص وهل عرف نفس الآثار العامة بالحراك ونفس اللاليات أم انه له خصوصيات معينة ؟
فيا ترى من أين نبدا في دراسة الأنموذج الجزائري من زاوية العائلة ام الملكية ام التعليم (الجهاز التعليمي ككل)

وسنحاول في هذه الدراسة أن نتعرض للحراك التاريخي والحراك الجغرافي المهني في الفئات الاجتماعية الجزائرية

أ) عرض تاريخي لحراك الفئات الاجتماعية :

أولاً: المرحلة القروسطية يصعب التحكم في هذه المرحلة وتوضيح سماتها السوسيولوجية لان الوثائق والمصادر التاريخية ضحلة لا تكفي للمرغوب كما أن الآراء تتضارب حول هذه المرحلة ولم تصل إلى اتفاق موحد حولها هذا إذا لم يطرح المشكل المنهجي أيضا فمن المميزات التي ميزت المجتمع الجزائري في هذه المرحلة حبه للحرية و الاستقلال ورفضهم للجور والظلم والتميز ولم يمكن تعاقب الغزاة المحتلين على أرضهم من إخضاعهم واستيعابهم¹.

وبالرغم من استعصاء الجزائريين على الغزاة وتميزهم كأفراد بخصائص نفسية ودينية عالية و توفرهم على كثير من الخصائص والفضائل والاستعدادات الفطرية الطيبة فانهم لم يمارسوها بشكل إيجابي بحيث تتحول إلى دواعي للتجمع والى دلائل للوعي المولد للمؤسسات والأنظمة الاجتماعية ولم تؤهلهم إلى بلورة وعي سياسي وطني للدفاع عن وطنهم و اكتفائهم بانتفاضة قبائل مقدامة وشخصيات كبيرة وهو ما

¹ عبد العزيز رأسمال ، المرجع السابق نفسه، ص56.

قد يفسر ان امتنا أنجبت أبطال حرب وتحرير اكثر من أبطال بناء وحضارة وان التحديات كانت دائما تبدو لنا اكثر جاذبية في الدعوة الى الانخراط في أعمال مشاريع تتطلب الجهد والنفس الطويل اعتمادا على المثابرة و الانضباط والانسجام¹.

لقد اكتفى الجزائريون خلال قرون من الزمان بنوع من الحكم الذاتي على مستوى العرش و الدشرة القائم على أساس بعض الفضائل الأخلاقية كالجماعة والتوزيع وفضلوا في بناء مجتمع كلي وتحقيق الوثبة النوعية التي تنقلهم من الفردي إلى الجماعي ومن البداوة و الترحال الى الحضارة والمدينة ومن القبيلة إلى الأمة ولعل السبب في هذا الفشل هو تلك الممارسات العنصرية والتمييز الذي مارسه الدول الاستعمارية التي أقيمت على ارض الجزائر والتي عملت على تهميش إهانة الجزائري ونهب خيراته بحيث لم تبق في مخيلته سوى تلك النظرية السلبية للدولة والتي تحولت مع الزمن الى عدااء غريزي وكره مزمن الى الانضباط والقانون و أنتجت حساسية مفرطة عند الجزائريين واستعدادا للثورة على كل مظلمة وجور وتحولت إلى قيمة ثابتة وخاصة نفسية تطلبهم وبمجيء الإسلام وهو الحدث الثقافي والروحي والاجتماعي الأهم في تاريخ الجزائر والذي اكتسبت معه مقومات هويتها من عقيدة إسلامية ولغة عربية وطبع مميز من العادات والتقاليد انتقل الجزائريون إلى وضعية جديدة اكثر طمأنينة و أمن فغاب التدخل الأجنبي من عالم المتوسط وزال التشتت والتمزق الذي خلفه العهد البيزنطي وما قبله فانسجمت الوحدة التاريخية والجغرافية مع الوحدة الدينية والسياسية ولكن سرعان ما عاودت النزعة الانفصالية والاستقلالية إلى الظهور عبر الزعامات المحلية والإقليمية وان كانت في إطار الإسلام ومن ثم بقي الجزائريون معزولين عن النقاشات في منطقة المتوسط والتي أنتجت دولا حديثة ومتحضرة².

¹ عبد العزيز رأسمال ، المرجع السابق نفسه،، ص57.

² محمد بوضياف ، الثقافة السياسية في الجزائر ، مجلة العلوم الإنسانية ، بسكرة ، العدد 11 ،ماي 2007 ، ص113 114.

وما يهمننا من خلال هذا الاستقراء التاريخي الملخص للتطور الاجتماعي للمجتمع الجزائري هو هل شهدت بعض الفئات الاجتماعية حراكا تصاعديا او تنازليا مهما ؟ هل كانت حظوظها متساوية ؟

تختلف الحظوظ الاجتماعية طبقا لعلاقات السيادة التي تماسها المدينة على الريف فإذا أخذت المدينة فالفئة الاجتماعية المسيطرة هي فئة التجار الكبار فالى جانب ثرائهم يشكلون أرستقراطية اقتصادية وسياسية وثقافية حيث أن التاجر الكبير هو شخصية سياسية مهمة لقوته المالية ويشكل محورا ثقافيا معتبرا .

كما أن الريف يضغط على المدينة باستمرار مما جعل حكام (تیهرت) المدينة الإسلامية التي قامت ما بين القرن 9 و 10 ميلادي في الجزائر يحثارون في كيفية التخفيف من حدة هذه الهجرة هذا ما يراه الجحاني ويضيف: " لا نعتقد أن حكام تیهرت استفادوا من هذه الاقليات في التخفيف من ضغط الريف على المدينة " وبلغت هذه الفئة الجديدة درجة كبيرة من النفوذ والقوة والثروة ولا بد من التنويه أيضا ان الطابع الديني هو الذي يميز المدن من الناحية الثقافية فهو الذي يؤطر كل الخلافات السياسية وأزمات الحكومات والتناقضات التي تنشأ فيها لكن يبدو ان القبائل البدوية والريفية كانت مستقلة ثقافيا عن المدن ، بجانب هذه الظروف الاجتماعية والثقافية كانت هناك عوامل أخرى طبيعية وسياسية خارجية حددت البنية الاجتماعية الداخلية يقول الأستاذ جاك بيرك: "في القرن 14 ميلادي ظهر مرض الطاعون في 1348 الذي انتشر في كل العالم آنذاك وهذا القرن كان سيئا بالنسبة للحضارة المتوسطة فهجمات الهالبيين خنقت و افسد نظاما ريفيا كان موجودا يعتمد على تربية الماشية وعلى تقسيم واضح بين الريفيين والمرتادين فإذا كانت قبائلهم المعتمدة على الجمال قد انتشرت فإنها أفقدت التوازن الموجود في القرى والمناطق الريفية"¹ .

بعد هذه التحولات التي أدى فيها العامل الخارجي دورا حاسما في إعادة تشكيل البنيات الاجتماعية داخل المدينة فقامت سلطة مركزية في المدن وقامت في المراكز

¹ عبد العزيز رأسمال ، المرجع السابق نفسه،، ص 58.

الحضرية سلطنات دينية ووراثية اعتمدت على القبائل المعفاة من الضرائب في ترسيخ نفوذها .

كذلك قامت سلطة محلية أو سلطة من المستخدمين في المناطق الوسطى التي تسكنها قبائل مقهورة تجبى منها الضرائب ويمارس عليها الاستغلال كما ان هناك قبائل تنتفض فوضويا و تقهر السلطة المركزية في بعض الأحيان إلى جانب هذا كله كان الشعب الصغير في المدن يقوم بهذه الانتفاضات حينما تتأزم أوضاعه الاجتماعية ويعاني من القهر والحرمان وتسلط بعض الحكام و كبار التجار الجشعين الذين يحتلون مكانة معتبرة في الدولة .

ثانيا : المرحل العثمانية :

كان مجتمع المدينة مقسما الى طبقة سائدة من الأتراك يمتلكون أراضى هامة وطبقة من الأهالي لا تتعدى المستوى الضروري للمحافظة على قوة العمل عدم المساواة الاقتصادية و لم يتوقف عند هذا الحد بل أدى الى علاقات استغلال جديدة بين الحاكمين والمحكومين لذلك قامت العديد من الارستقراطيات التي استفادت من علاقات الهيمنة وبقيت الفئات الاجتماعية في الريف معزولة وبذلك ازدادت الهجرة الريفية كلما انتقالا من الشرق إلى الغرب ، وتتمثل باقي الفئات الاجتماعية في الفئات الوسطى التي كانت تستعملها الدولة التركية الإقطاعية في القضاء على الإقطاعية المحلية ، وتتشكل غالبا من قبائل المخزن ، كما أدت سياسة الاستقطاع الضريبي إلى ظهور فئة اجتماعية جديدة في القبيلة تتفاوت في مستوى معيشتها مع الفئات الأخرى ، كذلك لا ينبغي إغفال ما للسلالة العرقية من أهمية في التركيب الاجتماعي وفي التركيب العرقي إلا أن هذه البرجوازيات العرقية لم تتمكن من الاندماج في المجتمع المحلي وارتبطت ارتباطا وثيقا بالسلطة السياسية في احسن الحالات تتحصل على امتيازات فيحصل لها حراك تصاعدي طارئ وسريع لم تكن تحلم به لكن في أسوء

الحالات تصادر ملكياتها وبذلك يتشكل لديها حراك تنازلي مفاجئ كما لا يفوتنا ان نذكر الصراعات والتناقضات التي تحدث بينها¹.

وتتشكل فئة التجار من المزابيين و يعيشون من منتوج تجارتهم ، انهم الأكثر ثراء ولكي يحافظو على مصالحهم فانهم يزوجون بناتهم من الأتراك أما الكراغلة فانهم لم يتحصلوا على مساواة كاملة مع الأتراك أما الفئة الأكثر سحقا فتمثل في الزوج والأسرى المسيحيين اما القبائل فهم يعملون باس للحصول على قوتهم .

ثالثا المرحلة الاستعمارية :

نحدد تحت هذه المرحلة ثلاث فئات اجتماعية تلك التي بقيت ثابتة في مكانتها الاجتماعية و تلك التي تحركت تصاعديا و بالمقابل تلك التي تحركت تنازليا (أ) **الثبات الاجتماعي:** إن فئة الخماسة هي الأكثر تعرضا للثبات الاجتماعي من غيرها من الفئات وذلك نتيجة للظروف القهرية التي مارسها الاستعمار عليها وتسلط الإقطاعية من الريف الجزائري كما ان هذه الفئة أكثر خضوعا للاستغلال السياسي والاقتصادي من قبل البرجوازية العقارية وتبعيتها السياسية مرتبطة بنوع العقد الذي ينظم علاقتها مع المالك فتشكل هجرتها الى المدينة والى الخارج أشكال النضال المباشر لذلك فهذه التبعية هي أساس الثبات الاجتماعي الذي تعرفه عبر الأجيال المتعاقبة .

(ب) **الحراك التنازلي :** أدت التشريعات القانونية دورا حاسما في الحراك التنازلي - الاقتصادي خاصة- بالنسبة للأهالي الجزائريين فقد صرح (بوجو) بان ملكية الفلاحين تنتزع بالمحراث والسيف ولكنه اغفل قوة القانون الذي يبرر هذا الانتزاع وهذه التشريعات تحمل كل سمات الملكية العقارية لذلك كانت هناك ثلاث أهداف لهذا القانون

¹ عبد العزيز رأسمال ، المرجع السابق نفسه،، ص60.

أولها : إدخال الملكية الخاصة لسكان لم يحضروا أنفسهم لها ، بل ينفرون منها

الثاني :منح المعمرين أقصى حد من الأراضي

ثالثا: فصل العرب عن روابطهم الطبيعية مع الأرض ، اي القضاء على العلاقات

العشائرية القوية ، والقضاء على خطر التمرد

بعد انتهاء العمليات الأولى من تنفيذ هذه القوانين وبسبب المشاكل والعراقيل التي

وجدتها في مجال التطبيق نفذ صبر المعمرين فبدأت آليات الصفقات التجارية تحتد ،

واخذ انتزاع الأراضي أشكالا خفية ومستترة بالحيل ، ومعلنة بالقهر .

هؤلاء المزارعين ازدادوا فقرا وخاصة بعد انتزاع أراضيهم في 1871 التي شارك

فيها ثلثا السكان ، أما الطليعة فقد بقيت قوية في ريائها ضعيفة في تجربتها الى جانب

الزارعين المسحوقين فان البرجوازية الريفية الصغيرة عرفت نفس الظروف وخاصة

الشريحة التي تكدح من جراء انتزاع أراضيها فلم يعد بوسع الأبناء ان يكسبو عيشهم

من أراضي الآباء ، وأدت أزمة 1929 دورا في انتزاع ملكية الفلاحين الفقراء وإفقار

المدن وذلك لمصلحة الأوربيين الأثرياء والمرابيين الجزائريين والتجار وكانت هذه

الأزمة سببا في انحطاط الحرفيين وفقرهم¹

ج) الحراك التصاعدي : ان درجات الحراك التصاعدي تختلف في أهميتها ، فإذا أخذنا

بعين الاعتبار تلك الحركات الثانوية التي جعلت الخماس السابق عاملا في القطاع

الصناعي بالمدينة فإننا نصل الى ان الطبقة العاملة قد تم إعدادها في مرحلة ظهور

العامل الموسمي او المؤقت الذي يحتفظ بعلاقة ملموسة مع الملكية الصغيرة ، أما اذا

انصب الاهتمام على الحركات التصاعدية الأساسية فان الفئة العسكرية الفرنسية هي

التي حظيت بامتيازات هائلة .

بعد هذه الفئة تظهر فئة هامة حصلت على امتيازات اقتصادية وسياسية معتبرة

هذه الفئة هي فئة الباشاغاوات الذين استفادوا من حراك تصاعدي هام بفعل علاقتهم

مع السلطة الفرنسية ومع العسكريين لذلك كان الجاه والاعتبار الاجتماعي المثابة

¹ عبد العزيز رأسمال ، المرجع السابق نفسه،، ص 63.

المكانة الرسمية أمام السلطات الفرنسية، وعلى العموم فإن البرجوازية العقارية هي المستفيدة الرسمية بعد الحرب العالمية الأولى من القحط الذي أصاب الجزائر فزاد ثراؤها وزاد ثراء التجار كذلك بفعل المضاربة والربا والقوانين العقارية وكانت هذه البرجوازية الأوروبية خاصة مهيمنة اقتصاديا وسياسيا وعقائديا، وتمارس سيطرتها عن طريق الصحف ووسائل الإعلام والجهاز التعليمي

هذه بصفة عامة الحالة المعنوية والاجتماعية التي وصل بها وعليها البناء الاجتماعي المتحرك الجزائري إلى القرن العشرين وما هو رسم التركيبة الذهنية التي خلفتها التفاعلات والأحداث التاريخية إلى ان جاءت ثورة نوفمبر 1954 وهي من دون شك اكبر عملية جماعية واحسن فعل مشترك قام به الجزائريون في الوقت نفسه وفي كامل التراب الوطني وبصناعة تلك الثورة صنع الشعب الجزائري في الحقيقة ذاته ولذلك أصبحت الثورة تمثل له اليوم اكبر مرجع له بعد الفتح الإسلامي

رابعا: مرحلة الثورة التحريرية: ان حدث الثورة التحريرية هام جدا على الصعيد السياسي والاجتماعي والثقافي وقد ادخل تغييرات كبيرة في البنية الاجتماعية طبقا للسياسة القهرية التي مارسها الاستعمار، وكذلك يظهر مقدار قرب او بعد كل فئة اجتماعية من الجهاز التربوي، وبذلك يتحدد موقفها من الثورة التحريرية، ثم النتائج السياسية المترتبة عن الثورة المسلحة.

لكن قبل ذلك لابد من استعراض الصعيد الاقتصادي من خلال برنامج قسنطينة: البرنامج الذي يدعي بأنه سيمنح ترقية اقتصادية واجتماعية للجزائريين فما هي النتائج التي تحصل عليها؟

أ) على الصعيد الاقتصادي كان مشروع قسنطينة في 1960نتيجة للتوتر الاجتماعي الذي سببته أزمة الرأسمالية في الجزائر وصعود حركة التحرير الوطني، وقد اتجه ثلاث اتجاهات في السياسة الاقتصادية التي تبناها: السياسة الزراعية، السياسة الصناعية، السياسية، السياسية البترولية¹.

¹ عبد العزيز رأسمال، المرجع السابق نفسه، ص 133.

أما فيما يخص السياسة الزراعية والتي فشل فيها فشلا ذريعا أقر المشروع بشراء الأراضي بالتراضي مع كبار المعمرين ، ونزع الملكية إذا لم تستثمر بالشكل المطلوب ، وتوزيعها على الفلاحين الجزائريين غير المالكين وكان الهدف المعلن والخفي للسلطة الاستعمارية هو إنشاء برجوازية صغيرة تصبح بمثابة العصا التي يرتكز عليها في ترسيخ الاحتلال الفرنسي السبب الذي جعل جبهة التحرير تقف سياسيا ضد هذا الأجراء ، فأخفقت السياسة الزراعية إداريا وسياسيا نتيجة لرفض الفلاحين الفقراء لهذا الأجراء .

أما فيما يخص السياسة التصنيعية فقد فشلت أيضا حيث ان نظرية المشروع أكدت على زيادة التشغيل بالمدن من اجل استيعاب البطالين ، فهي تحاول رفع هذه النسبة بحثا عن الاستقرار الاجتماعي ، كان قطاع البناء والأشغال العمومية من ناحية التشغيل يشكل القطاع المسيطر في هذه المرحلة وذلك لتلبية حاجات الفئة الأوربية في الجزائر أما لتلبية حاجات الجزائريين فانه يبدو قاصرا ومما ادى الى فشل هذه السياسة أيضا خوف المستثمرين الأجانب من فقدان استثماراتهم للغموض السياسي الأمر الذي جعلهم يعدلون عن الاستثمار .

أما فيما يتعلق بالسياسة النفطية ، فكانت أكثر نجاحا لأنها استبعدت الرأسمال الفرنسي و الأجنبي على العموم ، وكذلك وضعت الشركات الاحتكارية الكبرى تحت تصرف وإشراف الحكومة الفرنسية . وبذلك ظهر نوع من العقلانية في هذه السياسة النفطية ، مع أنها كانت تخدم في الدرجة الأولى الوطن الأم على العموم فإن السياسة الاقتصادية التي تمخضت عن مشروع قسنطينة كانت بمثابة إجابة سياسية عن مشروع اقتصادي.

(ب) **على الصعيد الاجتماعي** : يشكل الفلاحون الفئة الأكثر تحمسا للنضال ذلك طبقا لشروط هذه الفئة المتدنية ولأنها أكثر إحساسا بأهمية الترقية الاجتماعية الفعلية وأكثر تعرضا لعدم المساواة الاجتماعية مع المجموعة الحضرية لذلك يقول فانون (f:fanon) " إنه من الواضح في البلدان المستعمرة أن الفلاحين ثوريون ، فليس لديهم ما يضيعونه بل يربحون كل شيء فالفلاح المتأخر طبقيا والجوعان والمستغل

والذي يكتشف أن بسرعة أن العنف وحده هو المفيد ليست لديه أية وسيلة أخرى للتفاهم "

وبما أن المستعمر الفرنسي مارس سياسة تكديح واسعة لهذه الفئة فإنها كانت تشكل دائما الفئة الأكثر انتفاضا على المستعمر ، وهي تجمع ما تحت البروليتاريا التي تسكن في الأحياء القصديرية بالمدن الكبرى ، وضمت إليها فئة الحرفيين التي تشكل القاعدة الهامة في النضال الحضري بعدما رمي بها من سوق العمل وقضت عليها تجارة الجملة قضاء مبرما فهي فئة ما تحت البروليتاريا تشكل رأس الرمح القاطع كما يؤكد فانون

أما موقف البرجوازية الزراعية التي كان الاستعمار يريد استمالتها الى جانبه فقد كان مؤيد الحركة التحرير ، وذلك بهدف زيادة حيازتها فيما بعد الاستقلال (تطلع طبقي) وكذلك للمحافظة على مصالحها بالمدينة ، لكن الإقطاعية المحلية المنسجمة في تشكيلها الاجتماعية - تحالفت مع الاستعمار وذلك لتاريخها الطويل وتكتلها المستمر في الطليعة السياسية ضد كل الفئات الاجتماعية الأخرى ، أما الرأسمالية التجارية والصناعية فلم تكن مكانتها عظيمة ن، ولم تتمتع بأي تفوق سياسي .

وإذا كنا بصدد تمييز هذا الصعيد الاجتماعي على أساس جغرافي (ريفي حضري) فإننا نلاحظ بأن الحراك الداخلي يختلف بين المجتمعين : يلتزم المجتمع الريفي بتوفير الشغل لأفراده ويعتبر العمل واجبا اجتماعيا والبطالة خطأ أخلاقي ، في حين تنتفي المسؤولية الاجتماعية في المجتمع الحضري وتحل محلها المسؤولية الاقتصادية تبعا للنظام الاجتماعي الموجود في البيئة الحضرية التي تعطي الصورة الواقعية لمفهوم الترقية الاجتماعية وتحد من مفعول الأعراف الاجتماعية ، فالعوامل الاجتماعية التي تستقطب الإرادة الذاتي للأفراد في اختيار المهنة والتي ترتبط بالمستوى التعليمي الذي يصل إليه الفرد فكما كانت المهنة المطلوبة ذات اعتبار اجتماعي كلما كان المستوى الثقافي المطلوب مرتفعا يقول بورديو : " إن درجة الحرية في اختيار الشغل تزداد بصورة ذات دلالة كلما تطور مستوى التعليم "

كما يرتبط الاندماج بالعرف الثقافي أيضا ، فمن حصل على شغل يجب أن يعين على تعيين أقاربه في الحصول على شغل آخر في المؤسسة التي يعمل فيها ، وذلك طبقا لوضعيته الاجتماعية وعلاقته بالآخرين.

إن سر الانتقال من مرحلة الثورة إلى الاستقلال كان مرتبطا بآمال كل فئة وطموحاتها في الحصول على ثمرة جهدها ووطنيتها في الثورة التحريرية وعلى هذا الأساس فإن حراك ما تحت البروليتاريا والمزارعين لم يستجب لهذه الطموحات والآمال : " بالنسبة لابناء المزارعين فإن الصعود الاجتماعي نادر ، وهو يفترض القطيعة مع الوسط الاجتماعي العائلي بواسطة الهجرة نحو المدن ونحو فرنسا فالبؤس يفرض نفسه على ما تحت البروليتاريا كضرورة عامة لا تجعلهم يفكرون في أي مخرج

ويقول عبد العزيز رأسمال لا أتفق مع بورديو الذي يعتبر ان هذه الفئة ما تحت البروليتاريا لا تستطيع ربط التحسين في شروطها مع التحول الجذري للنظام ، لكن أقول أنها هي التي قاومت الاستعمار وهي التي مرت عليها ظروف أدت بها إلى الهجرة ، بذلك فمعاناتها اليومية تجعلها على العكس من ذلك ترى بأن رقيها لا يتأتى إلا من خلال القضاء على النظام الاستعماري برمته ، أما فئة أبناء الحرفيين والتجار ، فرغم أن آمالها في الترقية تنقلص إلا أن الإرث المهني كبير إن هؤلاء التجار الصغار يقدمون مجموعة هامة من المستخدمين ومن هذه الفئة يتشكل مستخدموا الإدارة الجزائرية بعد الاستقلال ، وبعض العمال في المؤسسات الصناعية لذلك فإن التاريخ الشخصي للأفراد وانتقالهم من مهنة لأخرى آليات الحراك الجيلي هي التي شكلت البنية الاجتماعية الانتقالية بعد الاستقلال وهنا لا أختلف مع بورديو الذي يصل أخيرا إلى ان الحظوظ في الصعود الاجتماعي هي معطيات ملموسة للتجربة الفردية¹

خامسا : مرحلة ما بعد الاستقلال : إذا كانت الظروف التاريخية ومقتضيات الحرب قد بررت انفراد حزب جبهة التحرير لقيادة الثورة على أساس أن الوحدة الوطنية هي القاعدة الأساسية للثورة فإن الجبهة قد نجحت في سحب هذا الواقع على مرحلة ما بعد

¹ عد العزيز رأسمال، المرجع السابق نفسه،، ص 138

الثورة وهذه المرة على قاعدة أن الحزب الواحد ضرورة من اجل تعزيز الوحدة الوطنية وتعبئة الموارد من اجل التنمية وتحييد المواقف المناهضة للاشتراكية، بحيث أن تعدد الأحزاب لا يخدم إلا البرجوازية ومجموعات الضغط الأجنبية.

ويمثل الحزب الدور الطلائعي الذي يتم من خلاله ممارسة الهيمنة والتوجيه ، باعتباره القائد والمنظم للأمة في اتجاه تحقيق بناء ديمقراطية حقيقية ورفاه اقتصادي وعدالة اجتماعية وهو بذلك يتواجد في كل دواليب الدولة ومتغلغل في كل مناحي المجتمع وهذا الانتشار يمكن الحزب من مصادر التعبئة و التأيير السياسي والأيدولوجي لمختلف شرائح المجتمع وبالتالي يتحكم في كل قنوات الترقية السياسية بل ويمنح الأدوار والمراكز ويحدد شروط شغل المناصب العليا في سائر مؤسسات الدولة متخذا من الولاء الأيدولوجي كمحدد أساسي ووحيد لتقييم أداء الفرد في المجتمع¹.

وبهذا يمكن ان نقول ان حركة التحرير الوطنية هي التي سمحت توضيح السيرورات والدوافع التي رافقت الحراك الاجتماعي منذ الاستقلال وإنها تسمح أيضا بتفسير لسيكولوجية الجزائري وهو يغادر الليل الاستعماري الطويل ، كما أنها تسمح أيضا بتفسير عملية إعادة بناء جزء مهم من المجتمع وموقف القضايا الوطنية التي تظهر منذ الاستقلال كما تسمح حركة التحرير الوطني بفهم احسن القرارات الوطنية المتعلقة بالتسيير من اجل التحكم في الاقتصاد من جهة ، وفهم تدوير القطاعات الاقتصادية وديمقراطية التعليم من جهة أخرى ،ففي المدن العائلات كثيرة العدد قد انقسمت من اجل احتلال مساكن الأرجل السوداء الذين غادروا البلاد والعائلات التي استقرت تبعثها عائلات أخرى من داخل البلاد ، والعائلات المنزلة قد حاولت ونجحت في الإقامة داخل المدينة دون أية مساعدة أو علاقة .

وهذا يعني انه كان هناك إعادة توزيع كامل للأدوار والوظائف الاجتماعية والعائلية ، أما في الريف فإن عددا كبيرا من الأشخاص المتنقلين لم يرجعوا إلى أماكنهم الأصلية وأن الأغلبية منهم قد فضلوا الذهاب نحو القرى وأماكن تكتل السكان غير أن السكان الريفيين

¹ محمد بوضياف، الثقافة السياسية ، المرجع السابق نفسه، 118 .

كانوا حقا يعيشون في بؤس وفقير شديدين ، وكان لابد من الانتظار لما يعادل مجموع سن فئة حتى يصبح مواليد 1962 في سن المدرسة أي سنة 1967 لكي تهدأ الأعصاب قليلا ، وفي هذه المرحلة أي في سنة 1967 / 1968 انطلقت العمليات الأساسية للتنمية من خلال ما نسميه عبارة الثلاثية الثورية ونجد ان البنية الاقتصادية للمجتمع قد منحت بعدا جديدا ، او وضعية جديدة من منظور التنمية وأن أطر الحركة الاقتصادية قد تضاعفت بسرعة وحول هذه الحركة الاقتصادية برزت أنواع جديدة من التصرفات الاجتماعية تهدف الى نيل أدوار ومراكز جديدة ضمن مجتمع السبعينات ، ومن خلال العشرية الأولى من الاستقلال ظهرت الى السطح مشاكل المجتمع وهي الأمية البطالة تدهور الزراعة وكانت الحلول هي التعليم سياسة التشغيل وفكرة الإصلاح الزراعي ، والتخطيط ظهر كضرورة لتنظيم وهيكله الاقتصاد لا سيما القطاع العام الذي اصبح بالنسبة للدولة وسيلة للتنمية الاجتماعية ولهذا ظهرت المشاريع الصناعية منذ 1964 ولقد حاولت الدولة هيكله القطاع الاقتصادي ابتداء من 1964 وذلك من خلال إنشاء الشركات الوطنية الأولى وعلى أساس هذه القاعدة الأصلية توسع قطاع الدولة أكثر فأكثر فالعمل أصبح منظما بطريقة إرادية بينما كان الاقتصاد في حاجة ماسة للإطارات و المسؤولين السياسيين بالأمس تحولوا إلى مسؤولي مؤسسات او إدارات ¹.

وفي سنة 1972 بدأت حركة جديدة لهيكله المجتمع وفي هذه السنة انطلقت الثورة الزراعية و التسيير الاشتراكي للمؤسسات ، انتهاء المخطط الرباعي الأول وبدأت الخطوط العريضة للمخطط الرباعي الثاني ، وكل هذه القرارات والعمليات كان منبعاها الحركة الاجتماعية السياسية للاستقلال وكذلك حركة التحرير الوطني السابقة له ، ان هذه الحقيقة تفرض حقائق أخرى على مستوى البناء الاجتماعي فنظام الأجور سيحدد شريحة اجتماعية من العمال تتوسع أكثر فأكثر ، وجماهير العمال كانت ما تزال في معظمها أمية وقليلة الكفاءة خلال المخططين الرباعيين ، إرادية العمل ظلت كبيرة وظهرت المرأة في الصناعة خصوصا في أعمال السكرتارية والتمريض والمخبر و أعمال التنظيف ، إن هذه

1 بوتفوشست مصطفى مراحل تكون البنية الاجتماعية في الجزائر ، أعمال الملتقى الوطني لعلم الاجتماع ، التغييرات الاجتماعية في الجزائر منذ الاستقلال ، الجزائر 28 29 30 افريل 1986 ديوان المطبوعات الجامعية ، ص1

التحركات البنوية الاجتماعية - الاقتصادية قد كانت مرفقة بتغيير على المستوى الفردي والعائلي وكذلك على مستوى الجماعات ، وعلى المستوى السيكو اجتماعي فإن إشكال التضامن في الفترة الثورية كانت مرتبطة بمراقبة اجتماعية عن طريق اكرهات واجبارات علنية¹

إن أشكال هذا التضامن الذي ظهر أثناء المعركة ستتفجر تاركة مكانها لفكرة الاستقلال الفردي التي تقوم على سلوك عدواني مهم وأثناء فترة ما بعد الاستقلال فإن تصرفات الأفراد قد أصبحت تحررية مع اتجاه للعدوانية واللفظية و الإشارية ، ونستطيع القول بان حركة الهيكلية الاجتماعية في أيام الثمانينات قد بدأت حوالي سنة 1972 فالشباب الجزائري الذي ولد في 1954 والذي قد بلغ سن 16 سيجد قواعد اجتماعية محددة وهذه القواعد التي بدأت تظهر ستفرض عليه شروطا ضرورية إذا كانت أطر الاندماج الاجتماعي في سنة 1962 ضعيفة جدا فإنها في سنة 1972 أصبحت تظهر على أنها أكثر بروزا فالمعطيات التربوية قد توسعت والعمليات الاقتصادية قد أخذت أهمية أساسية كما أن المعطيات الاجتماعية أيضا قد تنوعت و أخذت اتجاهات كثيرة ، وأمام وضعية أزمة السكن التي عرفت في سنة 1972 فإن ميكانيزمات التضامن العائلي أصبحت تلعب دورا بين أعضاء المجموعات ثم الشغل الذي وفر في إطار التخطيط الاقتصادي لم يسمح للتشغيل المأجور أن يوازي ميزانية العائلة

ولهذا فإن العائلات التي تمكنت من ازاحت هذا العائق المتمثل في موازنة الميزانية قد تم لها ذلك بفضل عمل عدد كبير من أفرادها وبالتالي الحصول على مداخيل كبيرة وفي العموم قد طرح هذا على المجتمع الجزائري في مجموعه علاقة جديدة هي (العائلة العمل الاستهلاك) التي هي في الأصل تختلف تماما عن طبيعة تلك العلاقة في المجتمع الجزائري في عام 1962.²

¹ ، بوتفوشت مصطفى، المرجع السابق نفسه ،ص2.

² . المرجع السابق نفسه ص3

ونتيجة لتداخل عديد من المؤشرات فإن التشكيل الاجتماعي وسير المجتمع سيتخذان شكلا ومضمونا جديدين، وابتداء من سنة 1972 يظهر وكأن جسد المجتمع الجزائري قد أخذ يتغير وسلخ من بشرته ويظهر كذلك وكأن المجتمع التاريخي تخلص عن درعه القديم ومنح نفسه درعا جديدا ومقاييس التطور الإيجابية منها والسلبية لمجتمع المستقبل هي التي سهلت هذا الانسلاخ وهذا لا ينبغي للتناقضات المتأصلة ضمن التطور والتي تعتبر أساسا للديناميكية أي محرك هذا التطور خاصة من خلال نتائج التعليم والتشغيل والزحف الريفي والتدفق الحضري ونظام الأجور واقتصاد السوق، كما أن هذا الانسلاخ قد ضاعف من سرعة أهمية النمو الديمغرافي وفئة الشباب هذه الفئة التي هي وليدة سنة 1972 والتي بلغت سن البلوغ والمراهقة ستمنح لنفسها مقاييس جديدة للعمل والنشاط الاجتماعي¹.

ومنذ ذلك الحين فصاعدا فإن البناء الاجتماعي سيتحدد ويتضح ويتسرع وأن حركة الهيكلية التي بدأت في 1972 ستتطور كلية في 1980 ففي هذه السنة فإن هذا الشاب الجزائري المولود في 1962 يمثل الفوج الأول الجيل ما بعد الاستقلال وفي هذه السنة نسجل بداية المخطط الخماسي، بداية إعادة الهيكلة للاقتصاد والمؤسسات وبداية تطبيق القانون العام للعامل وللأول مرة منذ الاستقلال منحت الأولوية للقطاع الاجتماعي وجملة الأوضاع والوقائع تشير بما فيه الكفاية بأن روابط اجتماعية عاجلة وأسس سوسيولوجية قوية وحاجات اجتماعية هامة قد التفت وتجمعت لكي تسمح لهذه الميادين من النشاط الاقتصادي والسياسي بالظهور²، ونلاحظ أنه في كل مرحلة تساهم الفئات الاجتماعية المختلفة في المؤشر المسيطر للمرحلة وعندما لا تساهم فإنها تعتني وتشارك مباشرة بواسطة الميزة للمرحلة وفي بين 1954 و1962 كل الشرائح والفئات الاجتماعية قد اعتنت بالحرب التحريرية وما بين 1962 و1970 كل الفئات الاجتماعية اعتنت بتسيير الحرية حتى ولو كان مستوى المصالح يختلف من فئة لأخرى وما بين 1970 و1976

¹ بوتفوشة مصطفى، المرجع السابق نفسه، ص4.

² المرجع السابق نفسه، ص4.

فإن الفئات الاجتماعية الأكثر اعتناء في اجتماعية الاقتصاد هم العمال الفلاحين حتى ولو كانت فئات أخرى مثل التجار الوسطاء والمقاولين قد استفادوا من اجتماعية الاقتصاد وما بين 1976 و1980 وأمام التعقيد المتزايد للسير الاجتماعي فإن النخبة والفئات المتواجدة في السلطة خاصة هم الأكثر اهتماما بإجراء الانضباط الاجتماعي وبتحديد مفهوم الدولة اما فيما بين 1980 و1985 فقد أصبحت أشكال التوازن واجتماعية المراحل السابقة موضوع تلائم بين الدولة من جهة والمؤسسات ومختلف الفئات الاجتماعية من جهة أخرى¹. واستمرت الأوضاع على هذا النحو الى غاية أحداث أكتوبر 1988 التي مثلت مرحلة انهارت فيها شرعية النظام السياسي الجزائري فقد طبعت بحركة اجتماعية مميزة ذلك ان مؤسسة الرئاسة و بحكم نزعتها الليبرالية لم تبق سياسة القبضة الحديدية التي مورست في الفترة الأولى بل خففت قليلا من سيطرتها على حركة المجتمع فازدهرت كثيرا من قوى المعارضة خاصة منها الإسلامية والبربرية، يضاف الى ذلك تحسن مستوى التعليم و إدراك كثير من شرائح الشعب حجم الرهانات والتحديات التي يواجهها المجتمع الجزائري لكن الخوف من القمع والممارسات البوليسية كانت تحول دون التعبير عنها والمطالبة بالحلول المناسبة لها إلى أن بلغ الاحتقان الشعبي مداه بسبب الفشل في السياسات التنموية وسوء توزيع الثروة داخل المجتمع وذكاء صراع الأجنحة في أعلى هرم السلطة مما مهد الى أحداث أكتوبر 1988 ودخول النظام في أزمة متعددة الأبعاد² ونلاحظ خلال هذه المرحلة أن المستوى العالي من الحراك داخل القوة العاملة يشكل إحدى الخصائص الهامة لطبقة عاملة في إطار التكوين أثناء فترة التصنيع السريع، ومن الملاحظ أن مستوى الحراك داخل القطاعات مرتفع نسبيا كما تبين المعطيات التالية

¹ بوتفوشت مصطفى المرجع السابق نفسه، ص 5/6.

² محمد بوضياف الثقافة السياسية، المرجع السابق نفسه، ص 119.

جدول (2) يبين الحراك داخل القطاعات (1986)

القطاع	نسبة الحراك
الفلاحة	55,1
الصناعة	59,7
البناء والأشغال	54,7
النقل والاتصالات	50,9
التجارة	68,8
الخدمات	61,9
الإدارة	42,8

Source : ons enquete main d œuvre et demographie. 1982

تثير هذه المعطيات الشك في الأفكار السائدة التي مفادها ان الصناعة تستقطب اليد العاملة الريفية الفلاحية ويمكن تفسير ذلك اعتمادا على تضافر عدة عوامل منها التوسع بوتيرة أسرع في قطاعي البناء والإدارة وضعف المستوى المطلوب خاصة في البناء مقارنة بالصناعة أضف إلى ذلك التلاؤم بين التجربة السابقة لهذه اليد العاملة الريفية ومميزات قطاع البناء .

أما فيما يخص الحراك عند عمال الصناعة انطلاقا من تغيير فرع النشاط ومكان العمل ففي سنة 1982 بلغ عدد العمال الذين شملهم الحراك في هذين القطاعين 471509 أي ما يعادل 41,7 بالمائة من مجموع اليد العاملة المعنية بالحراك ومن بينهم 35,1 بالمائة من عمال الصناعة الذين غيروا فرع النشاط لقد توجهوا إلى فروع عديدة منها الخدمات 26,7 الفلاحة والصيد البحري 35,9 الإدارة 15,3 التجارة 14,3 وتبرز لدينا نماذج ذات دلالة عندما نأخذ في الحسبان مكان العمل إذ بينما يظهر ميل واضح لدى عمال المدن للاتجاه نحو الخدمات والإدارة والتجارة فإن عمال الريف يتوجهون نحو الفلاحة والنشاطات المرتبطة بها¹

¹ العياشي عنصر ، نحو علم اجتماع نقدي (دراسة نظرية وتطبيقية) ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر ، ط1، 1999، ص 117 118

سادسا: مرحلة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة مهمة الرئيس بوتفليقة لم تكن سهلة، فقد ورث تركة ثقيلة متعلقة بتدويل الأزمة في الجزائر، وهو لم يسر على منوال سابقه - اليامين زروال - وفقاً لتصريحاته؛ إنما اعتمد في برنامجه السياسي على جبهتين:

- الجبهة الداخلية؛ من ناحية إعادة تنظيم المجتمع الجزائري وعلاقاته، والكشف عن أمراضه وعلاجها، وهيكلته سياسياً، وإعادة ثقة المواطن في الدولة وفي مؤسساتها، ومد الجسور المنقطعة، وجعل قوى الشعب الحية عنصراً قوياً في المعادلة الجزائرية المعقدة وليس كبش فداء فقط يُدبح في المجازر، أو ورقة انتخابية صرفة تُستغل في حينها! وإنما مشارك في صنع القرار السياسي وتقرير مصيره بنفسه.

- الجبهة الخارجية؛ من خلال استعادة دور الجزائر الريادي على الصعيد الدولي، ونقلها من مرحلة رد الفعل السلبي إلى مرحلة الفعل الإيجابي، وهو المسعى الذي لقي تأييداً دولياً منقطع النظير، وخاصة مساعيه لحل الأزمة الأمنية أولاً، والتقليل من الأزمة الاقتصادية ثانياً.

هكذا تبدو ملامح الجزائر من خلال رئاسة عبد العزيز بوتفليقة في عهده الرئاسية الأولى واضحة المعالم؛ من حيث التعامل مع الملف الأمني عبر ترقية الوثام المدني إلى مصالحة وطنية، والحوار مع العروش (البربر) عبر فتح قنوات الاتصال والاعتراف باللغة الأمازيغية لغة وطنية، وعودة رؤوس الأموال الأجنبية للاستثمار في القطاعات الاقتصادية المشلولة، ومحاربة جماعات الفساد عبر ورش إصلاح الإدارة وأجهزة الدولة والقضاء، وتوظيف التأييد الشعبي في تبني مواقف الرئيس من الملفات الكبرى التي تثقل كاهل البلاد والعباد، ومقاومة جماعات القوى الضاغطة، بل أكثر من هذا؛ فإن كل المؤشرات توحى باقتراب انتهاء ثقافة العنف والحقد التي سادت بين الجزائريين لسنوات طويلة بفعل التيار الاستتصالي المهيمن بشكل كبير على الساحة الوطنية إعلامياً وسياسياً، وإن كان لا يحظى بأي شعبية تذكر.

□ من المستفيد المباشر من الصراع؟:

ما لم يحسب له السياسيون حساباً في الجزائر؛ أن وضعاً كهذا الذي يعيشه الشعب وهو على أبواب انتخابات رئاسية مصيرية؛ من شأنه أن يساعد أصحاب المصالح المشبوهة التي تعمل على إثارة المشكلات والتأثير في مجريات الأحداث، وهي العناصر التي فقدت مكانتها في الساحة الوطنية بعدما لفظها الشعب الجزائري في أكثر من محطة انتخابية وسياسية، والتي تنتمي قلباً وروحاً إلى ما يُسمّى بالتيار الجمهوري العلماني الغريب عن مقومات الشعب الجزائري الأصيلة، وبدأت تستفيد من الوضع الجديد.. ومما يجري تداوله إعلامياً - في هذه الأيام - القول بأن الأمين العام لجبهة التحرير الوطني علي بن فليس يحاول أن يستفيد من دعم وأصوات أنصار هذا التيار المتنفذ والمنتشر في دواليب السلطة، والمتحكم في وسائل الإعلام الخاصة، وتُرجع الأوساط المروّجة لهذه الفرضية ذلك إلى كون المعارضين لترشيح الرئيس بوتفليقة من جناح بن فليس اصطفوا مع «الاستئصاليين»، وقادوا الحملة الإعلامية ضد الرئيس والمحيطين به؛ بالرغم من اعتراض جزء كبير من المناضلين «الشرفاء» والمتعاطفين مع الحزب على ذلك. واتهم علي بن فليس الرئيس عبد العزيز بوتفليقة بالوقوف وراء مؤامرة خطيرة تُحاك ضد استقرار البلاد؛ معتبراً أنها أكثر خطراً من تلك التي تستهدف حزبه في المدة الأخيرة، وهي التهمة التي حاول التيار الاستئصالي تسويقها في وسائل إعلامه.

2) الاسباب المساعدة على الحراك الاجتماعي في الجزائر

أ) التعليم: تخصص الدولة الجزائرية ما يقارب من 25 بالمائة من الميزانية العامة للتعليم وسوف تتأكد لدينا هذه المعلومة إذا علمنا ان التعليم الابتدائي وحده قد تطور منذ 1962 من 746937 الى 2018997 تلميذا سنة 1971 واذا انتقنا سريعا إلى السنة الدراسية 83 84 فسوف نلاحظ ان عدد التلاميذ الذين التحقوا بالمدرسة هذه السنة وحدها 560000 قارن هذا بمجموع التلاميذ سنة 1962 بحيث عدد الأطفال الذين يؤمون المدارس 4435000 تلميذ يضمهم 62627 قسما ويقوم بتعليمهم 156000 معلما مستخدمين 27 مليون نسخة كتاب التي توزعها الدولة مجانا على التلاميذ الجزائريين¹

ب) الخدمة الوطنية: يرى السوسيولوجيون ان الخدمة العسكرية تعتبر من أهم عوامل التغير الاجتماعي نظرا لأنها تتيح للمطالب بها حياة مختلفة عما اعتاده ومن ثم تتيح له فرصة الاحتكاك بنماذج بشرية لم يألف بها في وسطه العائلي و بالتالي لا بد وانه سوف يدخل في علاقات اجتماعية من نوع آخر مع هذه النماذج يأخذ منها سلوكيات معينة ويؤثر فيع بدوره وبشكل آخر فهي عامل أساسي في تذويب الفوارق التي خلفها الاستعمار كما تساعد على بلورة علاقات إنسانية واجتماعية من نوع جديد يتكامل فيها الأفراد من كل الطبقات ومن كل المناطق و تضي عليها ظاهرة المواطنة ولا شك ان هذا النوع من الحياة ولمدة سنة ونصف سوف ينمي عند الشباب علاقات نفسية واجتماعية مطورة من تلك العلاقات والصدقات التي تبلورت بينه وبين شباب آخرين ومن مناطق أخرى وهذا يؤدي إلى ما يسميه علماء الاجتماع بالتكامل الاجتماعي وذلك بسبب المشاركة الإيجابية للشباب في هذا المجتمع الجديد ولقد بلورت الخدمة بالمسؤولية في الدفاع عن الوطن في نفس الشباب والوعي السياسي بأهمية

¹ محمد السويدي المرجع السابق نفسه، ص 50 51

دوره في مجتمعه من حيث القيام بأعباء مجتمعه تستهدف الصالح العام وليست مهنية او شخص بذاته.¹

وتساعد الخدمة على تعميق الجانب العملي التطبيقي للإطارات الشابة التي اجتازت مراحل التكوين العالي و إثراء تجربتها سواء كان ذلك في ميدان العلوم الاجتماعية أم في ميدان الطب والهندسة والتكنولوجية ذلك من خلال احتكاكها بالميدان المتمثل في مختلف الشرائح الاجتماعية للمجتمع الجزائري ومن ثم تعميق التكوين النظري لهذه الإطارات في ضوء الواقع الجزائري المعاش ، كما تتيح للشباب الذي يتمتع بمسؤولية بمستوى معين من التعليم والتكوين اكتساب مهارة وتعلم مهنة من خلال خدمته ليخرج بعدها إلى الحياة مسلحا بمهنة تسهل عليه الاندماج في الحياة الاجتماعية ، كما أتاحت لعدد من المؤسسات عدد من الإطارات ذات تكوين عالي كما فتحت أمام المجند فرصة العمل في المؤسسة المعنية في المستقبل.²

(ج) النزوح الريفي : ان تحول بناء الأسرة الجزائرية من النظام الممتد إلى النظام النووي لم يكن ليبرز بشكل واضح وسريع إلا بعد ان نزلت الأسرة الى الوسط الحضري المختلف عن الوسط الريفي او من نموذج اجتماعي واقتصادي استهلاكي يقوم بالدرجة الأولى على العلاقات القرابة ويعتمد على الإنتاج الزراعي والحيواني إلى نمط اجتماعي فردي يقوم على الاقتصاد الصناعي والتجاري ويحكمه العمل المأجور في الزمان والمكان .

كما تسمح المدينة للعائلة بالتحرك في السلم الاجتماعي والاقتصادي من اسفل إلى أعلى او العكس كما قد تدفع إلى التحرك الأفقي (الجغرافي) فيغير من مكان أقامته تحت ظروف فرص العمل بعكس الحال في الريف الذي يجعله مرتبطا بقطعة ارض وبمجال اجتماعي معين³

¹المرجع السابق نفسه،،ص 59.

²محمد السويدي المرجع السابق نفسه،،ص 60 .

³المرجع السابق نفسه،ص 90

(د) الهجرة غير الشرعية: تشترك جميع عينات المهاجرين غير الشرعيين أو ما يطلق عليهم تسمية "الحرافة" القادمين في معظمهم إلى الجزائر من بلدان الساحل الإفريقي: مالي، السنغال، غينيا و ليبيريا، في اقتسام مرارة العيش تحت وطأة اللأمن التي تخيم على بلدانهم الأصلية و عنصرية سكان البلدان المستقبلة. ينقل قيس جيلالي في فيلمه الوثائقي "الفخ" شهادات بعض الشباب المهاجرين غير الشرعيين، ويتابع انتقالهم من مناطق تيزاويتين وتمنراست أقصى الجنوب إلى الجزائر: بوابة أوروبا. شهادات كل من يوسوفو، موسى، فابريس وآخرين.. كلهم تحدوا مشاق السفر برا هروبا من الواقع الاجتماعي والسياسي وانسداد الأفق ببلدانهم. ينقسم فيلم "الفخ" إلى ثلاثة فصول: الشهادات التي عبرت عن الأوضاع جد المتأزمة لهذه الفئة بالجزائر ومشاكل اندماجهم في المجتمع، ثم أسباب الهجرة، أين قام المخرج بالتنقل خصوصا إلى مالي إحدى أهم قواعد المهاجرين غير الشرعيين، حيث نقل بعض مظاهر الحياة البائسة (الفقر، البطالة و اللإستقرار السياسي) ثم فصلا أخيرا عنونه بـ" المأزق": أين يجد هؤلاء المهاجرين غير الشرعيين أنفسهم أمام حقيقة مرة، غير قادرين على مواصلة الطريق إلى أوروبا وغير قادرين على العودة إلى بلدانهم الأصلية. يصور الفيلم وضعية المهاجرين غير الشرعيين في صورة أشد بؤسا ربما حتى من لاجئ الحرب. يعيشون، في أفضل الأحوال، في بيوت قصديرية، ويبيت غالبيتهم في الشارع حتى في فصل الشتاء، أين تتراوح درجات الحرارة ما بين 6 و 8 درجات. يشتكي غالبية المهاجرين غير الشرعيين خصوصا من صعوبة تقبلهم في المجتمع الجزائري، مقارنة بمجتمعات مغربية أخرى. الرفض الذي يواجه أبناءهم في مواصلة الدراسة التي تستوجب تقديم شهادة الجنسية للأبوين و الاحتقار الكبير الذي يواجهونه من طرف المجتمع، بثتمه ووصفهم قرده على حد تعبير أحد المهاجرين غير الشرعيين. عن مراحل الإعداد لهذا الفيلم الوثائقي أكد المخرج "قيس جيلالي" بأنه واجه خصوصا إشكالية غياب رخصة العمل عبر مختلف الدول التي زارها: مالي و المغرب¹.

¹ فريد صادق زوزو، الأسرة الجزائرية بين التغريب والتقليد، <http://www.lahaonline.com>، 2008/05/17.

كما لم يخف في تصريح لـ "الجزائر نيوز" عن اندهاشه لتفتح هؤلاء الشباب المهاجرين غير الشرعيين لتقديم شهاداتهم. حيث يؤكد بأنه التقى بعض الشباب المثقف، بعض الفنانين الذين اضطرتهم الظروف السياسية الصعبة إلى هجرة بلدانهم سرا. حيث يضيف بأنه التمس تلهفا لدى هؤلاء للتعبير عن معاناتهم، عن سوء معاملتهم من طرف البلدان المستقبلية. في سياق متصل، يذكر بأن العرض الشرفي لفيلم "الفخ" تزامن مع صدور كتاب "ظلام الوجه" عن منشورات البرزخ بتوطئة الروائي المعروف باسمينة خضرة الذي تضمن ألبوم صور وشهادات خاصة بالمهاجرين غير الشرعيين، التقطها خلال مراحل الإعداد للفيلم عام 2007.. صور بالأبيض والأسود وشهادات تنقل مراحل رحلة ومأساة كل واحد من عمق الصحراء إلى حدود البحر الأبيض المتوسط¹

ه) التسلط الأبوي ومظاهره: يعتقد كثير من الآباء أن كل ما يحتاج إليه الطفل هو الشدة والحزم، وتدريبه على الطاعة والنظام، وإحاق العقوبة به بمجرد فشله في تنفيذ ما يوجه إليه من أوامر. ومن مبررات ظهور من هذا السلوك لدى الآباء أن:

-الأب لا يجد التقدير في حياته الخارجية، ويحاول أن يحصل على الاحترام والتقدير الذي يستحقه الأب من جانب أبنائه.- أو من أجل المحافظة على قيم لا تتسجم مع قيم المجتمع النازحين إليه، مثل الانتقال من العيش في البيئات الريفية إلى البيئات الحضرية.- وقد يكون له أسباب تاريخية أن دور الأب التسلطي هو الدور الذي كان سائدا في الماضي، والذي يسوده التمسك بفكرة أن واجب الطاعة مفروض على الأطفال²

¹ فريد صادق زوزو، المرجع السابق نفسه،

² المرجع السابق نفسه.

3 (الأسرة الجزائرية والحراك الاجتماعي: بين تقليد الغرب تقليدا أعمى، والاستفادة من تجاربه وحضارته المعاصرة تنبيه الأسرة الجزائرية.

فكثير من الأسر لا تستطيع التمييز بين مكتسبات الحضارة الغربية وسلبياتها؛ وتقليد الغرب ذلك التقليد الأعمى في أنماط حياته، وسلوكيات الغربيين اليومية، إذ أن فيه الكثير من الخلل؛ لأن منظوماتنا الأخلاقية تختلف جذريا وتتمايز عن منظومتهم تمايزا واضحا لكل مسلم يعتقد بالدين الإسلامي.

ولا ننكر هنا أنه يجب أن نستفيد كل الاستفادة من مكتسبات الحضارة الغربية التي لا تنافي قيمنا وأخلاقنا، لا سيما أخلاق الحياء والتواضع، وأخلاق الرضا والاحترام، أخلاق الآداب العامة، وأخلاق احترام الصغير للكبير، وتوقير الكبير للصغير، أخلاق الحب في الله، وغيرها.

نعم يمكننا الاستفادة من الغرب في طرق البناء والهندسة المعمارية، لكن لا نبني شققا وعمارات تكشف عن حياتنا، وتزيل هذا الخلق في تعاملنا مع الجيران مثلا، وفي الوقت نفسه لا نبني شققا مغلقة مكتومة لا ينفذ إليها الهواء إلا من ثقوب شرفات مكذوبة، فهذا غلو ينافي مقاصد الأبنية في أن الهواء يدخلها وينفذ إليها.

وما يخص موضوعنا في تربية الأبناء فإن كثيرا من التقاليد الغربية الماسخة دخلت عقر دارنا عن طريق التلفاز أو الأسواق الاستهلاكية التي أغرقتنا في الماديات وأبعدتنا عن قيمنا، وعاش الناس في غفلة تائهين عن مقاصد الزواج أساسا، ومقاصد العائلة تبعا في تربية الأبناء، وإعداد الإنسان الصالح الذي يكون خليفة الله في أرضه.

وتعيش الأسرة الجزائرية جهلا وغفلة عن مقاصد الأسرة في الإسلام، لا تعيش إلا لتبحث عن ضرورات المعيشة في المأكل والمشرب والملبس، وينعكس ذلك سلبا على الأبناء الذين يقلدون آباءهم أو ينتهجون لأنفسهم نهجا أصدقائهم في البحث عن جديد السوق من الملابس والأشرطة السمعية، وآخر أخبار التلفاز، وهم في غفلة عن صلاتهم

اليومية، ناهيك عن التخلق بأخلاق الإسلام من صدق وتواضع، بل إن النفاق والكذب والتكبر أصبح من سمات الكثير من أطفالنا خاصة بين أبناء الطبقة العليا وينشأ الأبناء لا يفقهون شيئاً عن الله تبارك وتعالى، ولا يعرفون معنى أن نصلي 5 مرات في اليوم، لا يهتم الفتيات والفتيان إلا جديد الموضة وآخر فيديو كليب، وآخر أخبار السينما، والتحضيرات النهائية لمباريات كأس العالم بألمانيا. فنعيش الأنموذج المثالي من خلال مسلسلات وأفلام تبثها الفضائيات، ولا نلبس إلا جديد الموضة بألوانه وزخرفته، وننام آخر النهار ونحن لم نحاسب أولادنا عن صلاتهم ذاك اليوم، وماذا فعل مع أقرانه في الشارع، وهل قرأ شيئاً من القرآن؟؟؟والحق إن الغرب لا يسير دون خطة يسترشد بها طريق استعمار جديد للعالم وهو في عقر داره، وما العولمة إلا مثال حي عن ذلك، "العولمة تعني الترشيد داخل إطارها المادي الغربي لكل المجتمعات، بحيث يتحول العالم في نهاية الأمر إلى سوق واحد متجانس يخضع لقوانين العرض والطلب المادية" إذ تحاول الكثير من الأسر الجزائرية أن تقلد الغربيين في أسلوب معيشتهم فإنها لا تقلدهم إلا في ثقافة العري وعدم الاحتشام من الغرباء، ومن باب أولى الأقربون، كذا ثقافة التفاهة التي تكرر حياة مادية، يعيش الناس من خلالها في غفلة عن مقصد وجودهم على هذه الأرض، وعن الإجابة عن سؤال: لماذا خلقنا؟ وفي الوقت نفسه تتعافل عن القيم الحقيقية للغرب والتي بها علا وسما، فمن أساسيات التربية عندهم أن الطفل يشب متمسكا بلغته مهما كانت، لغة أصيلة لا ركافة فيها، إضافة إلى اعتماد الترغيب والترهيب في مسألة العقاب، وخاصة الجسدي منه، كما لا يمكن تجاهل ما للترفيه عن النفس من مكانة حيوية، سواء في الألعاب الرياضية، أو الخروج مع الأبناء، وغيرها من أسباب الترفيه كل حسب إمكانياته؛ وهي التي انعدمت في أساليب التربية التي تعتمد على ألعاب مستوحاة من محيط الشارع، والتي تورث جيلا عبر جيل.

غير أن الأسر المنفتحة على الترغيب لا تستفيد من هذه المجالات!! وهنا السؤال المطروح. هل نحن مجتمع يأخذ مع ما يتفق وشهوته ورغباته الآنية فقط؟ وماذا عن اتجاه الكثير من أبنائنا نحو المخدرات، وثقافة الجنس، أو نقول ثقافة الصديق فقط،

وهو ما أنتج عندنا فكرة الأمهات العازبات، ولنا أن نتصور أبناء هؤلاء الأمهات؟! هذه الثقافة الغربية عن مجتمعنا المسلم، دونما التفكير في الثقافات النوعية التي تعود على الأفراد بالنفع والصلاح حتى ولو استوردت من عند غير المسلمين.

وإننا نجد الكثير من أبناء مجتمعنا لا تكاد تربطهم بدينهم سوى شهادة الميلاد، فثقافتهم الدينية ضعيفة إلى حدّ مخيف، وهو ما يرجع إلى حدّة الاحتكاك الثقافي مع الغرب ماضيا وحاضرا.. إضافة إلى القنوات الفضائية والإنترنت... فتعاطي المخدرات، وقصص القتل المريعة، وأحداث الانتحار، والاعتصاب، وغيرها مما في سجلات المحاكم وتقارير الشرطة، وما تنشره الجرائد على صفحاتها يوميا من أمور غريبة عن المجتمعات العربية التي ما كانت تعرف إلا القتل للنأر أو الشرف¹

¹ فريد صادق زوزو، المرجع السابق نفسه

1 نبذة تاريخية عن التعليم في الجزائر

لقد وضع الشعب الجزائري عبر العصور قضايا التربية والتعليم في الصعيد الأول من اهتماماته وترجع هذه الاهتمامات الى عمق المشاعر الدينية لدى هذا الشعب الذي أقام مؤسساته الثقافية ونظمه القضائية وعلاقاته الاجتماعية على أساس تعاليم الإسلام الذي أعطى للعلم صيغة مقدسة حيث جعل من طلبه فريضة على كل مسلم ومسلمة ولقد كانت شؤون التربية والتعليم جزءا لا يتجزأ من المسائل الكبرى التي تقتضى تشاور الجماعة ومشاركة سائر أفراد الأمة بالمداولات التي تتم بشأنها وذلك تماما كما كان الحال في الأمور الأخرى ذات الأهمية البالغة كالحرب والسلام وتقسيم المياه واستثمار الأراضي، وانطلاقا من إن التربية قضية حيوية بالنسبة للجماعة كلها فان التعليم كان يحضى بصفة تلقائية بدعم مادي هام ويتمتع لدى كل مجموعة بموارد خاصة هي وقف عليه مما أتاح للمدارس إن تنمو وتزدهر . إن هذا التعليم الذي كانت مضامينه مستقاة من المبادئ الدينية التي تتميز بالطابع العملي والتدريب على كل الجوانب المختلفة للحياة قد كان يتم في جو من الحرية والاستقلال ساعد على تبادل الأفكار وانتشار الإشعاع الثقافي كما منح للمدرسة والمعلم وضعا اجتماعيا مرموقا¹

أولا: التعليم قبل الإحلال الفرنسي للجزائر

عملت فرنسا منذ الغزو على محاربة الثقافة العربية، فقضت على المراكز الثقافية المزدهرة في الجزائر منذ قرون خلت، كذلك أغلقت نحو ألف مدرسة ابتدائية و ثانوية و عالية كانت موجودة في الجزائر في سنة 1830. و قد حمل أحد الكتاب الفرنسيين و هو يُولارَ فرنسا مسؤولية تأخر الجزائر في القرن العشرين، إذ يقول: "لقد أشاع دخول الفرنسيين إلى الأوساط العلمية و الأدبية ، اضطرابا شديدا فهجر معظم الأساتذة الأفاضل مراكزهم هاربين . و لقد كان يقدر عدد الطلاب قبل 1830 م بمائة وخمسين ألف طالب

¹ علي بن محمد ، معركة المصير والهوية في المنظومة التربوية ، دار الأمة للنشر والتوزيع، ط1 ، 2001، ص 8.

أو يزيدون؛ ومهما يكن من أمر فلم ينجح من المدارس القديمة سوى عدد قليل من المدارس الصغيرة، وحرمت أجيال عديدة من التعليم"¹

روجت الدوائر الاستعمارية في أوساط الأجيال الصاعدة، أن الجزائر قد بلغت في القرون الماضية أسفل درجات الجهالة و الهمجية، إذا لم يكن بالبلد أي تعليم منظم ولا حياة فكرية فلا عالم بينهم ولا كاتب أديب ولا شاعر.

فالأمة الجزائرية مؤلفة كلها من أميين يجهلون القراءة و الكتابة وقالوا إن اللغة العربية قد ماتت منذ زمن بعيد ودفنت مع اللغات الميتة الأخرى، وهذا من أجل تبرير سياستها التعليمية و دعم مطامعها الاستبدادية، موهمة الرأي العام أن من واجب الأمم الراقية أن تنتقد سكان الجزائر المساكين من آفة جهل شامل، وتأخر فاحش عن ركب الأمم المتمدنة، وذلك باسم الحق والإنسانية .

غير أن الحقيقة التاريخية لا توافق ذلك في شيء، و الواقع يدحض تلك الأباطيل، فما استوى الجهل على الجزائر في القرون السالفة، وما انقطعت بالجزائر مسيرة التعليم، و ما انعدمت المدارس، و لا قلت العناية باللغة العربية وعلومها و آدابها، في جميع العصور الإسلامية، و منها القرن التاسع عشر، فلم تزل و قنتئذ المساجد في المدن حافلة بالأساتذة و التلاميذ، ولم تزل الزوايا بالقرى جامعة للمشايخ و الطلبة، وكلهم يبذلون جهودهم في الإلمام بالعلوم ونشرها بين الجماهير. وحتى التعليم العالي، لم يكن مهملًا، في عهد الجزائر العثمانية، فقد كان له نظام خاص يتكفل به مجلس بعاصمة الجزائر مؤلف من المفتيين المالكي و الحنفي و من القاضيين المالكي و الحنفي، وكان ذلك المجلس يعين ناظرًا يقوم على التدريس و يقدم للداي بالجزائر، و للباي بقسنطينة و بوهران العلماء

¹ التعليم في الجزائر ، نقلا من موقع ويكيبيديا <http://ar.wikipedia.org/wik> ، 2008/05/18.

المترشحين لكراسي التدريس¹. إذ كان ذلك الناظر بمنزلة مدير التعليم العالي كما كان المجلس يقوم مقام المجلس الأعلى للجامعات العصرية.¹

و في السنوات الأولى من الاحتلال، استمر التعليم بالمساجد و المدارس والزوايا مزدهرا، و على نفقات الأوقاف، فوجد مثلا أن عدد الأساتذة بالمسجد الكبير بالعاصمة قد بلغ التسعة عشر أستاذا، منهم الشيخ المفتي **محمد بن الشاهد** مفتي المالكية، المتوفى 1792 **الشيخ العربي** الإمام المفتي بالمسجد الكبير و الشيخ **محمد بن الكاهية** و الشيخ **مصطفى بن الكبابي** القاضي و **اعزيز** و الشيخ **علي بن محمد المنجلاتي** مفتي المالكية سنة 1823، و **محمد بن إبراهيم بن موسى** ، مفتي المالكية سنة 1824 و الشيخ **بن الأمين** و **الحاج حمودة الجزائري** و غيرهم.

و إذا انتقلنا إلى عاصمة الشرق **قسنطينة** وجدنا بها في ذلك العهد علماء أجلاء قائمين بدروس مختلفة في العلوم العربية نخص بالذكر منهم الشيخ **محمد بن علي الطلحي** الذي كان مجلس درسه عامرا بمسجد سيدي مسلم الحراري و الشيخ **عامر بن شريط** و **عمار العربي**، الذي كان يدرس بمسجد القصبية و الشيخ **محمد المبارك** خطيب المسجد الكبير و مفتي المالكية².

أما الجهات الغربية ، فكانت **تلمسان** مقر العلوم يتوارثها الأبناء عن الآباء في بيوتات شهيرة مثل عائلة شعيب و عائلة المجاوي ، إلى أن أقل نجمها فهجرها العلم والعلماء إلى **وهران** و **مازونة** و غيرها.

و هكذا كان العلماء الجزائريون في السنين الأخيرة من عهد الجزائر العثمانية وأوائل الاستيلاء الفرنسي قائمين بواجبهم نحو **اللغة العربية** و الأمة يخدمون العلوم في مساجد العواصم وكذلك في المدارس التي بناها محبو العلم وأنصاره من الولاة و ذوي

¹ التعليم في الجزائر نقلا من وكبيديا ، المرجع السابق نفسه

² التعليم في الجزائر نقلا من وكبيديا، المرجع السابق نفسه

البر والإحسان، فكان بعاصمة الجزائر، عدد ليس بالقليل من المدارس، مثل **مدرسة سيدي أيوب** بالقرب من **الجامع الجديد**، و **مدرسة حسن باشا** في جوار **جامع كاتشاوة** فضلا عن الزوايا العديدة . ومن المدارس التي اشتهرت في القرن الماضي بحاضرة **قسنطينة المدرسة الكتانية**، و **مدرسة سيدي الأخضر** و نظيرتها بالناحية الوهرانية كمدرسة مازونة، التي نالت شهرة طائفة الذكر، منذ تأسيسها في القرن الحادي عشر للهجرة، ولم يكن التعليم وقتئذ مقتصرأ على مساجد المدن ومدارسها و زواياها فحسب، ولم يكن العلم منحصرأ في عواصم البلد فقط، بل كانت القرى تشارك في الحياة الثقافية و تأخذ نصيبها منها و ذلك بواسطة بعض الزوايا المنتشرة في جميع النواحي شرقا، وغربا، في الشمال، وبالجنوب في السهول والجبال ، حيث لا يسعنا المجال لإحصائها، وكان مستوى التعليم بهذه الزوايا على العموم جيد.

وكان العلماء بالمغرب الأقصى و بتونس يقدرون شهادات الطالب الجزائري حق قدرها و يعترفون له بقيمة دراساته بتلك المؤسسات ، فإذا قال ذلك الطالب بأنه تخرج من **مدرسة مازونية** أو **زاوية شلاطة** أو **زاوية الهامل** ، أو **زاوية ابن أبي داود** أو غيرها من المعاهد في الجزائر، قدرت دراسته و اعتبرت إجازته و ألحق بالأقسام العليا للتخصص بجامع القرويين بفاس أو **جامع الزيتونة** المعمور بتونس¹ .

تلك هي الوضعية التعليمية ولغتها العربية قبل الاحتلال ، و هكذا كان حال الشعب الجزائري من الناحية العلمية و الثقافية ، مساجد عامرة بالأساتذة والتلاميذ و مدارس زاهرة وزوايا حافلة بالطلبة ، وذلك بشهادة الأعداء (والفضل ما شهدت به الأعداء) وحسب المقالات و الدراسات والتقارير الصادرة عن مصلحة الاستخبارات العسكرية و على رأسهم إسماعيل أوربان، حيث يقول : **إن عدد العرب الجزائريين الذين يحسنون القراءة و الكتابة في سنة 1937/1836 يفوق ما يوجد في الجيش الفرنسي المحتل إذ**

¹ التعليم في الجزائر نقلا من وكيبديا ، المرجع السابق نفسه

عدد الأميين في الجيش الفرنسي المشار إليه كان يبلغ 45% و عليه كان عدد الأميين عند الجزائريين يقل عن تلك النسبة

وهكذا كانت التربية قبل الاحتلال شديدة الانتشار في الجزائر إذ كانت تمتد على طول البلاد وعرضها شبكة كثيفة من الكتاتيب والمدارس

ثانيا :مرحلة الاستعمار

ولقد أحب الاستعمار إن يسلك أوثق السبل إلى تحقيق أهدافه واستعباد أهلها إلى الأبد فأبدى تكالبا منقطع النظير في تقويض الركائز الأساسية للمجتمع محاولا طمس الهوية الجزائرية والقضاء عليها عن طريق المدارس المخصصة لأهل البلاد فشرع في تنفيذ هذه الخطة عند تطبيق القانون المتعلقة بالتعليم العمومي الفرنسي بموجب المرسوم المؤرخ في 13/2/1883 في عهد الجمهورية الثالثة يقول في هذا الصدد محمد عمارة كانت فرنسا قد شرعت في احتلال الجزائر سنة 1830 وأخذت في استعمارها لها لكنه لم يكن كغيره من أشكال الاحتلال ولم يكن استعمارا كالذي شهده او شهدته كثير من البلاد في افريقية واسيا فهو لم يقف عند اغتصاب المستعمر للدولة والإدارة والحرية والأرض والثروة التي كانت للجزائريين على أرضهم ووطنهم وإنما ذهب المستعمر الفرنسي فأراد سحق الهوية القومية للشعب وإلقاء عروبيته لأنها رمز مغايرتهم للفرنسيين وهو قد أراد ان يكونوا فرنسيين حتى لا يكون وطنهم مجرد مستعمرة وإنما الامتداد الإفريقي للوطن الفرنسي عبر البحر المتوسط كما ذهب هذا المستعمر إلى مسخ الإسلام حتى يزيل طابعه القومي العربي في البيئة العربية وينتزع منه عوامل المقاومة فيتحول من شوكة بطلق الاستعمار إلى قيد يشغل خطن المناضلين في سبيل الحرية والاستقلال)¹

وبهذا قال الكاتب الصهيوني ماكس نوردو (ان شمال افريقية سيكون مهجرا ومستوطنا للشعوب الأوربية وأما السكان الأصليون سيدفعون نحو الجنوب إلى الصحراء

¹ محمد بن أعمارة الأمة العربية وقضية التوحيد ، ، القاهرة ، 1966، ص 99.نقلا عن عبد العزيز رأسمال ، مرجع سابق ، ص130.

الكبرى الى أن يفنوا هناك) فسعوا الى فرنسا الجزائر لغويا بإحلال الفرنسية محل العربية وكتبوا بأخذ التقارير التي التي وضعت سنة 1847 ان الجزائر لن تصبح فرنسية حتى تصبح لغتنا الفرنسية لغة قومية فيها وللعمل الجبار الذي يتحتم علينا انجازة هو السعي وراء جعل اللغة الفرنسية لغته الدارجة بين الأهالي إلى ان تقوم مقام العربية وهذا هو السبيل لاستمالتهم إلينا وتمثيلهم بنا وإدماجهم فينا وجعلهم 1 ولقد صنع الفرنسيون كل ما خطر ببال مستعمر استيطاني غاشم لتحقيق هذه الأهداف فأغلقوا يوم احتلوا البلاد أكثر من ألف مدرسة وبعد قرن وربع قرن من احتلالهم سنة 1954 عندما أعلنت الثورة المسلحة ضدهم كانت الأمية في الجزائر 91 % اما الذين كانوا يقرؤون العربية فلم يزد تعدادهم عن 200 الف تعلم أغليبيتهم الساحقة في المدارس التي أقامها التيار القومي العربي كحركة التجديد والإصلاح كي يقاوم بها أهداف الاستعمار¹

ولهذا فان الاستعمار الفرنسي كان يضع في نفس المرتبة المعمر- رجل الدين – المبشر –المعلم - الجندي فكان المدرس الفرنسي من أكثر دعاة الاستعمار وكذلك فانه يعتمد على الجانب التعليمي أكثر من اي قطاع آخر في سيطرته ونفوذه على الأهالي،كانت وظيفة التعليم الفرنسي مزدوجة تقنية تحد قوة العمل حسب المؤهلات المختلفة وعقائدية اديولوجية تنشر عقيدة المصلحة العامة والتفاهم بين البشر وتقدم العقل والعصرانية والعلمانية من الأطفال الذين تابعوا الفرع النبيل وتلقوا هذا التكوين المزدوج. وبهذا أصبح تاريخ المدرسة في الجزائر منذ 1830 تاريخ المضايقة المتزايدة بينها وبين المدرسة الفرنسية الأم على مستوى البرامج اي فيما يتعلق التقنيات والعقائد المدرسة²

ومن الهياكل التعليمية التي كانت موضوعة تحت تصرف الجزائريين المسلمين قبيل 1880 نذكر

¹محمد بن أعمارة ، تحديات لها تاريخ ، ، المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر ، 1982ط1 ، دب، ص 250.

² عبد العزيز رأسمال ، كيف يتحرك المجتمع ، مرجع سابق ، ص 131.

1 الكتاتيب القرآنية والزوايا قدرت هذه الكتاتيب والزوايا ستة 1871 بعدد 2000 موزعة على القطر الجزائري شمالا وجنوبا فكانت بتعليم 28000 تلميذ تقريبا فكانت توجد في قسنطينة مثلا 30 مدرسة تحتوي على 1400 تلميذ سنة 1873 وكان في نواحي تلمسان حوالي 40 زاوية وفي الجزائر العاصمة لتعليم القراءة والكتابة والحساب

2 المدارس الدينية المسيحية تأسست ابتداء من 1878 مدارس يسيرها مسيحيون ولم يعرقل احد سيرها لتقوم مقام المدارس الرسمية فتحت أبوابها للتلاميذ المسلمين في بعض المناطق كالقبايل الكبرى سجل فيها 21 مدرسة مسيرة من طرف الآباء يدرس فيها نحو 1039 تلميذ قصد التمسح وتجريد بعض النواحي من ثوب العربية والدين

كان هذا التعليم يحمل طابع تبشيري تمسيحي سياسي مشجعا من طرف السلطات الاستعمارية

3 المدارس الحكومية الثلاثة أنشئت ثلاث مدارس حكومية بموجب المرسوم في 1850/9/30 كانت هذه المدارس المشيدة في تلمسان، قسنطينة والمدية أولا وحولت إلى العاصمة سنة 1850 تهدف إلى تكوين مرشحين إلى الوظائف الدينية والقضائية والتعليمية والإدارية فكلنا نعرف إن هذه المدارس الغير كافية لسد حاجيات سكان البلاد في شتى الميادين أصبحت مراكز وطنية ورغم انف مؤسسيها يكون فيها رجال الغد لغزو العدو بلغته وثقافته¹

4 المدارس المسماة بالعربية الفرنسية تأسست بموجب المرسوم المؤرخ في 1850/4/14 أربعون مدرسة ابتدائية لا أكثر تحتوي كل منها في غالب الأحيان على قسم واحد بنيت في فترة دامت 24 سنة تقريبا من 1850 الى 1873 اي اقل من مدرستين كل سنة الشيء الذي يدل على عدم استعداد المسؤولين الفرنسيين الى عمل اي مشروع لصالح المواطنين الجزائريين خلاف ادعاءاتهم المتكررة الباطلة الكاذبة ثم أغلق معظمها اثر

¹ الطاهر زرهوني التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال ، ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، ط1، ص 12.

حوادث 1871 لأسباب سياسية وانتقاما من الشعب الجزائري الثائر ضد الاستعمار الظالم ثم ألغيت نهائيا سنة 1883 اي السنة التي أحدثت فيها القوانين الفرنسية المتعلقة بإجبارية التعليم وكان عدد المسجلين لا يتعدى 4095 .

وابتداء من سنة 1883 شكلت لجنة من مجلس الشيوخ الفرنسي ترأسها جون فيري 1832-1893 كلفت سنة 1891 بدراسة القضايا السياسية والتعليمية وذلك اثر نزعة لتوسيع التعليم لفائدة الجزائريين وكما أطلق عليها الانطلاقة الجديدة وتفنيدا لهذه المزاعم إليكم جدولا فيه إحصائيات التلاميذ الجزائريين المسجلين في مدارسهم الابتدائية

جدول رقم (3) يبين عدد التلاميذ الجزائريين في المدارس الابتدائية

السنة	التلاميذ
1882	3174
1883	4095
1887	9064
1891	11347
1892	12263
1896	19885

المصدر كتاب التعليم في الجزائر الطاهر زرهوني ص 17

وإذا أردنا مقارنة أدق لناخذ على سبيل المثال إحصائيات سنة 1889 اي ستة سنوات بعد صدور المرسوم المؤرخ في 13/2/1883 والمتعلق بإجبارية التعليم الفرنسي اي بعد وقت كاف لتحضير الأحكام التطبيقية في الميدان نجد أنها كانت كما يلي :

عدد الأطفال ذكورا وإناثا الذين في سن الدراسة من 6الى 13 سنة 535399

عدد الأطفال ذكورا وإناثا المسجلين في المدارس الابتدائية 20631 اي بنسبة

2 % والبقية سيكونون في الشوارع¹

أصر المعمرون مواقفهم والعالم على أبواب الحرب العالمية الأولى ورفضوا كل المشاريع الهادفة إلى إنشاء مدارس خاصة بأبناء البلاد لكنهم كانوا من أنصار مؤسسي تعليم مهني او زراعي علمي تطبيقي لتكوين أعوان يخدمون مصالحهم فعكفوا على تحويل المدارس المتواجدة الى مدارس خيام écoles gourbis او ملحقات écoles auxiliaires يديرها ممرنون جزائريون تحت سلطة مدراء فرنسيين لمدارس فرنسية كانت نسبة القبول تعادل 4.3 % من مجموع الاطفال الذين كانوا في عمرهم 6 سنين سنة 1908 اي 83397 تلميذ فقط و5% سنة 1914 اي 27263 من 830000 في سن الدراسة و6% سنة 1929 اي 60644 من مجموع 900000 تلميذ²

أما مستوى التعليم الثانوي فكان لا يقبل من الجزائريين الا معدل 48 تلميذ قبل سنة 1900 و 150 تلميذ قبل سنة 1914 التي عرفت نجاح 34 جزائري في البكالوريا و129 في الليسانس وهذه الأرقام غنية عن التعريف

وحتى نعلم مرة أخرى فداحة النقص في تعليم أبناء الجزائر فعلينا ان نقارن بين الميزانيات المحدد للتلاميذ الجزائريين وبين التلاميذ الفرنسيين فكانت المقارنة بالفرنك الفرنسي القديم كما يلي :

¹ ، الطاهر زرهوني التعليم في الجزائر ، المرجع السابق نفسه، ص 16

² الطاهر زرهوني التعليم في الجزائر ، المرجع السابق نفسه، ، ص17

جدول رقم (4) يبين مقارنة بين مصاريف التعليم على الجزائريين والفرنسيين

السنة	تعليم الجزائريين	تعليم الفرنسيين
1907	1555000	7013000
1918	2171000	8579000
1920	6991000	32979000
1928	21003000	84344000

المصدر كتاب التعليم في الجزائر الطاهر زرهوني ص 17

ولنتعرف أكثر على الواقع الجزائري في قطاع التعليم مائة عام بعد الاحتلال علينا إن نتدارس الأرقام المحصورة في الجداول الآتية والمتعلقة بأعداد التلاميذ في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية¹

التعليم الابتدائي: جدول رقم (5) يبين عدد التلاميذ في التعليم الابتدائي

السنة	الجنسية	بنات	بنون	المجموع
1920	جزائرية	3454	37786	41240
	فرنسية	31422	32696	64168
1928	جزائرية	3603	51873	55476
	فرنسية	33655	32820	66475

¹ الطاهر زرهوني التعليم في الجزائر ، المرجع السابق نفسه، ، ص 27.

المصدر كتاب التعليم في الجزائر الطاهر زرهوني ص27

التعليم الثانوي

جدول رقم(6) يبين عدد الطلبة في التعليم الثانوي

السنة	الجنسية	بنات	بنون	المجموع
1920	جزائرية	40	405	445
	فرنسية	1764	4345	6110
1928	جزائرية	85	778	863
	فرنسية	3533	7316	10869

المصدر كتاب التعليم في الجزائر الطاهر زرهوني ص27.

التعليم العالي

جدول رقم (7) يبين عدد الطلبة في التعليم العالي

السنة	الجزائريون	الفرنسيون	المجموع
1920	47	1282	1329
1930	93	1967	2060
1938	94	2138	2232

المصدر كتاب التعليم في الجزائر الطاهر زرهوني ص28.

نلاحظ نخبة شعب كان يقدر بستة ملايين نسمة كانت لا تعادل إلا 20/1 من نخبة جالية كانت تقدر مجموعها ب 800000 فرنسي وإما عدد الطلبة فلم يرتفع إلا بواحد إي من 93 إلى 94 في ظرف تسع سنوات . ومن هنا تبين عند الجميع إن تربية النشء تحتاج عناية مستمرة ودعمًا أقصى من قبل الشعب كله وان العلم هو السلاح الأقوى لمكافحة الاستعمار بكل أنواعه وكما قال إمام النهضة الجزائرية الأستاذ عبد الحميد بن باديس (لن يصلح المسلمون إلا إذا صلح علماءهم لأنهم بمثابة القلب للأمة ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم) وهكذا قام الشيخ عبد الحميد بن باديس رفقة الشيخ إبراهيم بعد لقائهما 1913 جمعية العلماء يخدمون الإسلام بتبيين خصائصه ونشر علومه بالجزائر و أنشأت مدارس عديدة في ظروف شاقة بعد تكوينها¹

وكان شعارها في ذلك ما قيل عن المدرسة في البصائر عدد172 السنة الرابعة 19 أكتوبر 1951 (المدرسة هي جنة الدنيا والسجون نارها والأمة التي لا تبني المدارس تبني لها السجون)

وبهذا يقول الشيخ إبراهيم (للجمعية لأن بل للأمة الجزائرية أكثر من 150 مدرسة ابتدائية حرة رغم الاستعمار الفرنسي يتردد عليها أكثر من 50000 تلميذ من أبناء الأمة الجزائرية بنين وبنات يدرسون مبادئ لغتهم وآدابهم وأصول دينهم وتاريخ قومهم) وشيدت الجمعية معهدا ثانويا كخطوة أولى إلى التعليم الثانوي عمرته بألف تلميذ ومن الصعوبات التي لاقت الجمعية في إنشاء المدارس ، يقول الشيخ (جاء الدور الثاني لجمعية علماء المسلمين وهو دور التربية الإسلامية والتعليم العري الابتدائي الحر المعتمد على مبادئ العربية وآدابها ومبادئ التاريخ الإسلامي والتربية الإسلامية الصالحة وجاء معه الصراع العنيف مع السلطات الاستعمارية وقوانينها الجائرة استعدت الجمعية بالإيمان والعزيمة وتجاهل القوانين الاستعمارية وتوطين النفوس على المكروه الذي يصيبها في تعليم الدين والعربية

¹ الطاهر زرهوني التعليم في الجزائر ، المرجع السابق نفسه ، ص27.

ورغم الصعوبات والمشاكل العديدة التي اصطفتها الاستعمار نذكر منها إجبار الجمعية على طلب رخص عديدة قبيل تأسيس المدارس التابعة لها وصعوبة تمويل المشاريع المقررة ومعارضة الحكومة الاستعمارية ومعارضة المعمرين وأعوانهم واصل الشعب الجزائري الغيور على وطنه كفاحه وواصلت جمعية العلماء متتكرة للاستعمار بكل مساعيها وإعمالها و أقوالها مباشرة لرغبة الأمة إنقاذ ما يمكن إنقاذه من مليوني طفل عربي مسلم تشيد مدارس والجزائر على أبواب ثورة أول نوفمبر 1954 الخالدة وقامت الجمعية بمساع حميدة في السنوات المتوالية مع الحكومات العربية باسم الأمة الجزائرية بإرسال إلى الشرق العربي مئات من الطلبة الجزائريين للدراسة على نفقة الدول في انتظار تأسيس كلية للأدب العربي في الجزائر¹

ثالثا: مرحلة الثورة التحريرية

اندلعت الثورة الجزائرية 1954 ونسبة أبنائها المسجلين في المدارس الحكومية لا تفوق 15 % (سجل 293127 من 1990000) وقام المعمرين بتنظيم حملات تستهدف مكافحة الثقافة العربية والإسلامية فأصبحت اللغة العربية من جديدة عربية في وطنها وأصبحت موضوعة في المؤسسات التعليمية والحكومية في درجة أدنى من اللغات الأجنبية ويعدل تلاميذ الثانويات عن اختيارها طلبا من المدراء الفرنسيين أما على المستوى الابتدائي فكانت لا تدرس إلا في المؤسسات الحكومية حدا قليلا توجد في الأحياء المسماة بالعربية لمدة ساعتين أو ثلاثة في الأسبوع

أما على مستوى التسجيل فمن بين 460000 طفل وطفلة في سن الدراسة لم يسجل الا 104000 سنة 1958 أي سنة تطبيق مشروع قسنطينة الذي وضع لأسباب سياسية معروفة باسم إجبارية التعليم العمومي فكانت النسبة المئوية تقدر ب22.7 من البنين و18.2 من البنات بناء على المعطيات الديمقراطية الرسمية اذا قارنا عدد المسجلين بعدد

¹ الطاهر زرهوني التعليم في الجزائر ، المرجع السابق نفسه، ص28.

السكان في ذلك الوقت أصبحت النسبة المئوية اضعف من تلك التي ذكرت فلم تكن نسبة المسجلين في وهران الا 10% وفي مستغانم الا 4 % وتلمسان 5 % وتيارت وسعيدة 3%

اما التعليم على المستوى الثانوي فكان عدد التلاميذ المسجلين سنة 1958 ئيلا كما يظهر في الجدول التالي مقارنة بعدد التلاميذ الفرنسيين

جدول رقم (8) يبين عدد التلاميذ الفرنسيين والجزائريين

الولايات	الجزائريين	المعلمين	مجموع الجزائريين	الفرنسيون	المسجلون	مجموع الفرنسيين	الجموع الكلي
	البنون	البنات		البنون	البنات		
وهران	700	223	923	5460	4219	9697	10602
مستغانم	333	81	414	915	114	1095	1472
تلمسان	753	219	972	321	338	659	1631
تيارت	99	21	120	225	125	350	470
المجموع	1885	544	2429	4826	11747	11747	14171

المصدر كتاب التعليم في الجزائر الطاهر زرهوني ص32.

ومن هذا القبيل تم سنة 1962 قبول 305000 جزائري في المدرسة الابتدائية من بين 700000 طفل سجل 1500000 في سن الدراسة وكانت نسبة الأمية تبلغ في ذلك الوقت 90 % والأغلبية الساحقة من المدارس العمومية مسيرة من طرف معلمين فرنسيين تركوها عمدا وبصفة جماعية لانهم لم يقبلوا فكرة الاستقلال

وفي أول دخول مدرسي تم في أكتوبر سنة 1962 في الجزائر المستقلة تم آنذاك اتخاذ قرار من طرف وزارة التربية يقضي بإدخال اللغة العربية في جميع المدارس الابتدائية بنسبة سبع ساعات في الأسبوع وقد تم توظيف 3452 معلما للعربية و16450 للغة الأجنبية منهم عدد كبير من الممرنين قصد سد الفراغ المدهش الذي أحدثه عمدا أكثر من 10000 معلم فرنسي غادروا البلاد بصفة جماعية زيادة على 425 معلم جزائري من مجموع 2600 انقطعوا عن التعليم ليلتحقوا بقطاعات أخرى وأسندت لهؤلاء المعلمين المبتدئين مهنة التدريس بعد ان تدرّبوا في ورشات صيفية¹

وفي 1962/12/15 شكلت لجنة وطنية حددت الخيارات الكبرى الوطنية في التعليم تلك التي تمثلت في التعريب والجزارة وديمقراطية التعليم والتكوين التكنولوجي ،ولقد استلزمت هذه الإجراءات مجهودات جبارة لتوفير العدد الكافي من المعلمين لان اللغة العربية كانت غريبة في وطنها في عهد الاستعمار ومحكوم عليها بالهجر حيث انها لم تدرس كلغة أجنبية لمدة ثلاث ساعات في الأسبوع إلا في مدارس قليلة العدد موجودة بأحياء كان يطلق عليها آنذاك اسم الأحياء العربية كما شرع في تطبيق مبدأ ديمقراطية التعليم بفتح أبواب المؤسسات لكل من كان في سن الدراسة وحتى الذين سبق وان حرموا من حقهم في التسجيل حيث لوحظ أحيانا ولا غرابة في ذلك تلاميذ في السنة الأولى من التعليم الابتدائي وهم في سن التاسعة والعاشره اذ لم تعط لهم الفرصة قبل الاستقلال ليلتحقوا بالمدرسة في الوقت المناسب ولكي نتأكد من هذه المجهودات

¹الطاهر زرهوني التعليم في الجزائر ، المرجع السابق نفسه ، ص41

نتفحص هذه البيانات في الجدول التالي التي تشير إلى سلك التدريس سنة 1962-1963 في التعليم الابتدائي

جدول رقم (9) يبين سلك التعليم الابتدائي سنة 1962-1963

السنة	النوعية	بالعربية	بالفرنسية	الأجانب	المجموع
1962	معلمون	161	4	856	2265
	مساعدون	1547	83	3643	4093
1963	ممرنون	1634	23	4855	744
	المجموع	3342	110	9334	7102
					3286
					9366
					7256
					19908

المصدر كتاب التعليم في الجزائر الطاهر زرهوني ص43.

وبعد سنتان أخريان 65-66 زاد عدد التلاميذ في التعليم الابتدائي العمومي وإثناء الموسم 66-67 كان مجموع التلاميذ 1370357 منهم 513115 إناث و857242 ذكور وارتفعت نسبة الانتساب إلى 52%¹

وفي 1970 بلغ عدد التلاميذ المسجلين 1851416 منهم 700924 إناث و1150492 ذكور أي 37.85% بنات و 62.15% بنون وبلغت النسبة إلى 57.20% وارتفع عدد المعلمين في التعليم الابتدائي إلى 43656 معلما موزعين على 26338 بالعربية أي 6046% و17318 بالفرنسية أي 39.54% و38162 معلما جزائريا و5494 معلما

¹ الطاهر زرهوني التعليم في الجزائر ، المرجع السابق نفسه، ص44

أجنبيا يشتغلون كلهم في 6467 مدرسة تحتوي على 34000 قسم تقريبا أي 54 تلميذ في القسم¹

وأثناء المخطط الرباعي الأول شهد التعليم تطورا كبيرا رسمت له بناءا على مبدأ تعميم التعليم الابتدائي أهداف ترمي إلى تسجيل 2600000 تلميذ في المجموع أثناء السنة الدراسية 73-74 وبلغ نسبة مئوية تعادل 75% على المستوى الوطني وانجاز 400 قسم و2000 سكن وظيفي سنويا وتكوين 48000 معلم لتغطية الحاجيات العادية السنوية زائد 1200 معلم كل سنة لجزارة المناصب المشغولة من طرف المعلمين الأجانب أي تكوين 24000 في المجموع في مدة المخطط و8000 أستاذ للتعليم المتوسط و1000 أستاذ من حملة الليسانس الثانوي² ، وبهذا أصبح التعليم وإصلاحه الشغل الشاغل لكل المواطنين وموضع نقاش في جميع الأوساط ولذلك رات وزارة التربية الوطنية في نهاية المخطط 70-73 ان تربط بين الأهداف الكمية والكيفية للمخطط والعمل بمقتضى إصلاح شامل على أن يسري أولا هذا الإصلاح من حيث المبدأ على الفترات الرباعية الثلاث التي تبدأ من 1974 وتنتهي سنة 1985 وهذه التدابير المتعلقة بإصلاح جذري يرمي الى إعادة بناء النظام المعمول به آنذاك مع مراعاة المحيط الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للبلاد ويضع تعليما أساسيا مدمجا يجعل من الصلة بين التربية والتكوين والتشغيل صلة إجبارية ومنطقية ويستهدف تعليما شاملا يسمح بالتحديث ويسهل تطبيق التقنيات الجديدة

وفي بداية المخطط الرباعي الثاني 74-79 وما ادخل عليه من تعديلات ضمن مشروع أولي لإصلاح التعليم الابتدائي الذي زكي فعلا ولم يشرع في تطبيقه الا خلال الخطة الثانية 47-77 ولم تصدر النصوص ذات الأهمية القصوى الا في افريل 1976 ولم يشرع في تنصيب المدرسة الأساسية الا ابتداء من الموسم الدراسي 80-81

ورسم هذا الإصلاح في خطوطه العريضة التالية

¹ الطاهر زرهوني التعليم في الجزائر المرجع السابق نفسه، ص47.

² ، المرجع السابق نفسه، ص51.

1) من الجهة البنيوية لقد اعتمد إصلاح التعليم المدرسة الأساسية كقاعدة تدوم الدراسة الإلزامية فيها سنوات وتوفر بواسطتها تربية عامة بوليتكنية .

2) ترتبط بهذه المدرسة الأساسية التي تعتبر بحق الحجب الأساسي لبناء التعليم الجديد مؤسسات تعليمية ثانوية عامة ومؤسسات تكوين مهني

وهذه المؤسسات الثانوية تحتوي على بنية تعليمية ثانوية تتفرع إلى فرعين :

تعليم ثانوي عام

تعليم ثانوي تقني

3) العناية التربوية الخاصة

4) إعطاءهم الأولوية في التوجيه

5) فرع التكوين المهني

وبهذا ارتفعت إعداد التلاميذ في الابتدائي سنة 76-77 من 2782044 الى 2972242 سنة 78-79

- وفي المرحلة من 1985 الى 1989 نلاحظ التطورات التي مرت بها البلاد وواكبتها فيها المنظومة التربوية مما يميز هذه الرحلة : انتهاء فكرة المخططات والتفكير الاشتراكي سنة 1986 والتخلي عنه نهائيا سنة 1988
- إصلاح التعليم الثانوي في السنة الدراسية 1985/1986 وإنشاء جذوع مشتركة متفرعة
- إحداث شعب تقنية كالبيوكيمياء ، الإعلام الآلي ، الكيمياء الصناعية ، والزراعية وذلك ابتداء من إصلاح 1986
- إنشاء عدة متاحف وتخفيف التوقيت الخاص بالمواد التقنية دون التغيير في أهدافها

- الارتفاع الكبير في ميزانية التربية مقارنة بالميزانية العامة للبلاد واليك الجدول التالي مبينا هذه المقارنة
- جدول رقم (10) يبين المقارنة بين ميزانية الدولة وميزانية التربية¹

السنوات	1985	1986	1987	1988	1989	المجموع
ميزانية الدولة	76.52	88.40	65.21	68.84	71.73	730.5
ميزانية التربية	9.45	10.82	11.37	10.29	10.32	42.25
النسبة	12.35	12.25	17.45	14.95	14.40	14.10

المصدر كتاب التعليم في الجزائر الطاهر زرهوني ص53.

وبعد تداعيات أحداث أكتوبر 1988 التي انجر عنها توقيع البلاد على جملة من الإصلاحات الهامة اقتصاديا وسياسيا التي تجسدت في دستور 23 فيفري 1989 والتي كانت سببا في:

النقصان في الاعتمادات المالية المخصصة لقطاع التربية وذلك بسبب التحولات والأحداث وتوجيه تلك الاعتمادات الى قطاعات أخرى كقطاع الأمن وتغطية المؤسسات والهيكل التي خربها الإرهاب²

فلم تحز البنية التحتية بما فيها المنظومة التربوية الا على 2283.48 من مجموع 184489.75 أي بنسبة 12.35 أما المنظومة التربوية فلم تحز الا على 1202.4 أي بنسبة 6.5 واليك

¹ الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، وزارة التربية الوطنية .

² المجلس الوطني للتخطيط، تقرير انجاز المخطط الخماسي الثاني، 1986/1986 ، أكتوبر 1990.

الجدول رقم (11) يبين كيفية توزيع الاعتمادات التالية للتربية في سنوات (1990—
2002)¹

السنوات	ميزانية الدولة	ميزانية التربية	النسبة
1990	333.35	27.10	8.13
1991	458.15	30.46	6.65
1992	737.8	54.75	7.42
1993	648.55	63.69	9.82
1994	137.50	60.72	7.85
1995	1760.60	72.53	4.12
1996	1794.52	92.77	5.17
1997	1627.32	106.42	6.54
1998	1219.75	117.82	9.66
1999	1670.76	124.30	7.44
2000	1726.22	177.25	7.17
2001	2472.22	177.25	7.17
2002	3266.37	143.72	4.40
المجموع	18489.75	1202.4	6.50

المصدر موقع وزارة التربية:

¹ من الانترنت ، موقع وزارة التربية ، إحصائيات 2003.

وفي المرحلة الراهنة اي من 1999 الى يومنا هذا فإننا نذكر أهم الانجازات والأحداث التي جرت للمنظومة التربوية

مرحلة 2003 --- 2007

• استمع مجلس الوزراء إلى عرض يتعلق بالدخول المدرسي 2006 - 2005

وتجلت منه العناصر الهامة التالية :

أ - المعطيات المتعلقة بالدخول المدرسي 2006 - 2005 :

التعدادات المرتقبة : 7.612.000 تلميذ مسجل موزعين كما يلي :

-الطور الابتدائي : 4.209.000 تلميذ

-الطور المتوسط 2.253.000 : تلميذ

-الطور الثانوي: 1.149.000 تلميذ

يسجل انخفاض قدره حوالي 200.000 تلميذ مقارنة بالنسبة الدراسية 2004-2005 .

الهيكل القاعدية : تتوزع كما يلي :

17307 -مدرسة ابتدائية (مع 2495 قاعة جديدة

3981 -إكمالية (منها 137 جديدة

1495 -مؤسسة تعليم ثانوي (منها 68 جديدة

ويضاف إلى ذلك الهياكل الموجهة إلى تحسين ظروف الاستقبال وكذا الصحة

والنظافة في المحيط المدرسي :

-شبكة واسعة من المطاعم المدرسية : يرتقب استلام 406 مطعما و 11 داخلية

ابتدائية في ولايات الجنوب خصوصا من أجل تدرس البنات وسيسمح هذا برفع عدد

المستفيدين الذي سيفوق المليون تلميذ مقارنة ب 1.600.000 تلميذ في 2004 .

في مجال النقل المدرسي يرتقب التكفل بالاحتياجات التي تم إحصاؤها والمتمثلة في

1.300 حافلة لفائدة 884 بلدية

1185 -وحدة كشف الأمراض والمتابعة الصحية (منها 40 وحدة جديدة

-سيتطلب تأطير التلاميذ فتح 6.000 منصب ميزاني إضافي زيادة على المناصب التي يشغلها 340.000 مدرس و 153.000 إداري .
 بخصوص ملف التكوين : سيتم الشروع في برنامج واسع أثناء فترة التشغيل ولرفع مستوى المدرسين ابتداء من هذه السنة وسيتواصل الى غاية سنة 2015 . والبرنامج هذا سينطلق يوم 11 أكتوبر 2005 مع 10.000 مدرس متطوع .
 ب - تطبيق إصلاح المنظومة التربوية :
 سيشهد تطبيق الإصلاح هذه السنة إصدار جيل جديد من الكتب المدرسية وعددها 34 تعني :

-السنة الثالثة ابتدائي : 6 كتب

-السنة الثالثة متوسط : 11 كتابا

-السنة الأولى ثانوي : 17 كتابا

في المجموع يرتقب إنتاج أكثر من 42 مليون كتاب بالنسبة للدخول المدرسي المقبل منها 34 مليون كتاب موجه لتغطية المستويات المعنية بالإصلاح .
 وستشهد السنة المدرسية المقبلة كذلك تطوير تعليم تمازيغت الذي سيدخل للمرة الأولى إعتبارا من السنة الرابعة ابتدائي .

وخلال هذا الدخول المدرسي سيتم كذلك الشروع في إعادة هيكلة التعليم العام والتكنولوجي وإعادة تنظيم مساراته من خلال وضع جذعين مشتركين كبيرين في السنة الأولى ثانوي : الفرع المشترك للآداب والفرع المشترك للعلوم والتكنولوجيا وكذا التعميم التدريجي للتعليم التحضيري إثر إعادة هيكلة التعليم الإلزامي إلى مرحلتين متميزتين : تعليم ابتدائي يدوم خمس سنوات وتعليم متوسط يدوم أربع سنوات

- لدى تدخله إثر هذا العرض دعا رئيس الجمهورية الحكومة إلى توفير الشروط والوسائل الضرورية الهادفة إلى :
- جعل إلزامية تـمدرس كافة الأطفال الذين بلغوا سن التـمدرس ذكورا كانوا أم إناثا حيثما تواجدوا عبر التراب الوطني أمرا ملموسا وذلك بمكافحة السلوكيات والأعمال التمييزية المدرسية التي قد تتعرض لها لسبب أو لآخر البنات في سن التـمدرس لاسيما في المناطق الريفية .
مواصلة العمل من أجل تقليص ظاهرة التسرب المدرسي بقدر معتبر .
وذكر رئيس الجمهورية كذلك بالـعناية القصوى التي يوليها إلى مواصلة إصلاح المنظومة الوطنية للتعليم في كافة المستويات بروح المثابرة .
ومن جهة أخرى أعطى رئيس الجمهورية التعليمات حتى تمنح خلال هذه السنة كذلك إعانة التـمدرس الخاصة بمبلغ 2000 دينار جزائري عن كل تلميذ التي قررها رئيس الدولة بمناسبة الدخول المدرسي 2000 2001 -والتي جدد العمل بها كل سنة وذلك لإعانة الأسر ذات الدخل المتواضع . ستنشمل هذه الإعانة حوالي 3 ملايين تلميذ بمبلغ إجمالي قدره 6 ملايين دينار جزائري وينبغي أن توضع تحت تصرف المستفيدين في أقرب الآجال
- حاليا و بعد 2003، سمحت الدولة بالتدريس للمنهج للأمازيغية (في مناطقها) و قامت بفتح دفتر شروط، للمدارس الخاصة.¹
- طالبت بعض جمعيات الأولياء مؤخرا بمسح الفرنسية من المقررات السنوية و استبدالها بالإنجليزية و الإسبانية عامة، من جهة أخرى أرادت الدولة تعليم المتمدرسين الجدد الفرنسية في عامهم الأول، بحجة تلقائيتهم الفطرية. لدى الجزائريين حساسية لمسائل تعليم أولادهم، و غالبا ما يتوجه الميسورون للمدارس الخاصة، التي تتعرض لضغط الإدارة بخصوص دفتر الشروط الإلزامي.

¹ التعليم في الجزائر ، من وكبيديا ، المرجع السابق نفسه.

- تم تطبيق منهاج جديد في التعليم وهو نظام المقاربة بالكفاءات بدأ العمل به ابتداء من السنة الدراسية 2003/2004 م وستكون كل المؤسسات قد أنهت مجمل التغييرات مع بداية السنة الدراسية 2008/2009 م وهو نظام مستورد من كندا له إيجابيات كثيرة لكن المآخذ عليم أيضا ليست هيئة
- مظاهرات طلابية للأقسام النهائية، 20 جانفي، 2007. مطالبين بتخفيف للمستوى الساعي للمواد المدرّسة.¹

1التعليم في الجزائر ، من وكبيديا ، المرجع السابق نفسه.

2) أهداف التعليم الرسمي في الجزائر

انه من الضروري تحديد بصفة دقيقة وصياغة بشكل واضح أهداف التعليم وهذه الضرورة ملحة بشكل اكبر في التعليم الفصل المواد اذ ان معرفة المادة تقتضي التحكم في عدد من الأهداف البيداغوجية التي وان كانت غير واضحة لكنها يعبر عنها في نصوص المواد أو المعارف إلا أن الغموض وعدم التفاهم حول طبيعة هذه الأهداف ودقتها هو الشيء الغالب .

ويمكن الحصول على الأهداف والمحتويات انطلاقا من تحليل التراث الثقافي والثقافة المعاصرة من المواد ومن الحياة الاجتماعية الراهنة بحيث يوازي هذا التحليل الحاجيات الأساسية للمجتمع وطموحات الأفراد والقيم المختلفة للمواقف المشتركة ولمختلف الاختصاصات والعلوم , هذه العناصر , هذه المفاهيم , هذه الكفاءات والمهارات هذه القيم التي ينبغي إكسابها للمعلمين تكون مادة التدريس

أما الأهداف الأخرى التي تكون متعلقة بمادة أو بعلم معين أو لموقف أو مشكل ما فانه لا ينبغي إهمالها اذ يمكن ان تكون هامة لحل مشكلات أعمق والوسع او هي مفيدة في حد ذاتها

ومما لاشك فيه ان التعليم يهدف إلى تحقيق أهداف أساسية هي : تنمية القدرات الذاتية

التكيف مع التغيرات المجتمعية الداخلية والظروف الخارجية

إكساب المعارف والمهارات الأساسية في الحياة المتسارعة¹.

وفي تقرير اليونسكو "التعليم ذلك الكنز المكنون" تم وضع أربع غايات للتعليم

هي :

¹ بوحنة قروي التعليم في ظل ثورة المعلومات ، ، مجلة العلوم الانسانية ، العدد 5، سبتمبر 2005 ، بسكرة، ص 169.

نتعلم لنعرف : هي عبارة عن جمع لقدر كاف من المعلومات والمعرفة الثقافية تعمق عمليات التعلم الذاتي ضمن ممارسة العلم مدى الحياة ، تنمية الملكات الذهنية العقلية .

تعلم لتعمل : مهارات الحوار في ظل المعلومات ، التعامل مع الواقع الافتراضي ومتطلبات الحياة وسرعة التجاوب ، العمل الجماعي ، التعليم بالمشاركة ، التعلم بالمراسلة .

تعلم لتكون : الغاية العامة إتاحة الفرصة للموهوبين والقيادات باستخدام نماذج محاكاة مثلا الشعور بالمسؤولية ، سهولة اكتشاف الأخطاء ، التذوق الفني والجمالي .

تعلم لتشارك الآخرين : اكتشاف الأنا من خلال الآخر ، التخلص من العنف والمعاصرة ، تقوية روح الفريق وتوعية الطالب بالأساليب العالمية في إدارة البحث والنقاش

القدرة على تحويل المكتسب الى الوضعيات الجديدة والمواقف في شموليتها وتنوعها وتعقدتها

القدرة على معالجة هذه الوضعيات بصفة ملائمة¹

الهدف العام للتعليم هو جعل المتعلم قادرا على حل المشكلات الحقيقية لذلك يكون التقويم بوضع ذلك المتعلم أمام مشكلات حقيقية يكون معنيا حقيقيا بحلها

أما في الجزائر فقد كانت التشريعات الخاصة بالتربية وتحقيق أهدافها ترجمة للواقع المعيش في فترة كل قانون من قوانين التربية

يحصر الأمر 35/76 الغايات من التعليم في الجزائر في

1 تنمية شخصية الأطفال المواطنين وإعدادهم للعمل والحياة في نطاق القيم العربية الإسلامية والمبادئ الاشتراكية

2 اكتساب المعارف العامة العلمية والتكنولوجية

¹بوحنة قوي التعليم في ظل ثورة المعلومات ، المرجع السابق نفسه - ، ص 169.

3 الاستجابة إلى التطلعات الشعبية إلى العدالة والتقدم

4 تنشئة الأجيال على حب الوطن

5 تلقين التلاميذ مبدأ العدالة والمساواة بين المواطنين والشعوب وإعدادهم لمكافحة كل أنواع وأشكال التفرقة والتمييز

6 منح تربية تساعد على التفاهم والتعاون بين الشعوب وصيانة السلام في العالم على أساس احترام سيادة الأمم

7 تنمية تربية التجاوب مع حقوق الإنسان وحياته الأساسية¹

وبهذا يشير الفصل الأول منها الى المبادئ التي تقوم عليها التربية في الجزائر فيذكر منها العدل والمساواة بين المواطنين مما يتيح حرية التحرك داخل السلم الاجتماعي في جو يسوده التفاهم والاحترام وتعمل التربية أيضا على تهيئة جو التفاهم والتعاون بين الشعوب وصيانة السلام في العالم وذلك على أساس احترام سيادة الأمم كذا حماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية للمواطن لكون التربية مصلحة عليا من مصالح الأمة وبهذا فصلت الامرية بالتأكيد في المادة الأولى ان التشريع في ميدان التربية والتكوين لا يتكون سوى من أحكام هذا الأمر ومن النصوص التي تأسست عنه وفي هذا الفصل إعلان على تجاوز الفترة السابقة التي اتسمت بمحاولات عديدة قلقة ، فمقومات التربية وخطوطها العريضة إذن تنبع من السياسة العامة للدول حيث تقوم هذه الأخيرة بتسخير التربية لتحقيق هذه الأهداف ولما كانت الشخصية الجزائرية تقوم على الإسلام عقيدة والعربية لسانا والاشتراكية منهجا كان دور التربية هو تجسيد هذه المبادئ في برامج ومناهج لتكوين الفرد الذي يؤمن بهذه المبادئ ويعمل على تحقيقها .

¹ عبد الرحمان بن سالم ، المرجع في التشريع المدرسي الجزائري ، مطابع عمار قرفي ، باتنة ، ط2، 1994، ص 59.

فالعقيدة الإسلامية من أهم مقومات التربية في الجزائر وقد سعت الجهات الوصية على نشر تعاليم الإسلام في المدرسة الجزائرية انطلاقاً من أن الإسلام هو دين الدولة في الجزائر وهو الدين الذي يمج الجهل ويحث على التعليم ويضع العلماء في موضع الورثة للأنبياء كما تجد العربية مكانها باعتبارها لغة القرآن ورغم أن التعريب خطأ مسيرة معتبرة متجاوزاً كل العراقيل التي يحاول البعض وضعها في طريقه فإن الجهود لا تزال مبذولة للوصول به إلى مكانته اللائقة به في وطن ينتسب إلى دين الإسلام الذي يمجد العربية .

أما في مسألة النهج الاشتراكي فإن التربية كرسست جهداً في تكوين الفرد المؤمن بالمبادئ الاشتراكية والمجالس المنتخبة وتساوي الفرص , وتلك الأسس تعبر عن مرحلة زمنية مرت بها الجزائر سادت فيها فلسفة سياسية معينة وكانت فيها القيادة لحزب واحد هو حزب جبهة التحرير واعتمدت فيها الاشتراكية منهجاً للتغيير وعرفت فيها نظام الاقتصاد الموجه وأساليب التعبئة الجماهيرية لجمع الطاقات حتى تلتف حول أهداف كل مخطط وكانت المدرسة أداة لإعداد المواطن المؤمن بتلك الإيديولوجية والحامل لمبادئها

ولقد جاء في المادة الثالثة من وثيقة المشروع التمهيدي للقانون التوجيهي للتربية الوطنية من دستور 1996 وما دعمه في مشروع رئيس الجمهورية الذي ألقاه يوم 26 نوفمبر 1996

تقرير انه يتعين على المنظومة التربوية أن توفر أفضل الشروط لتحقيق تربية متوازنة تهدف إلى :

1 إدراج القيم والمبادئ الإنسانية للإسلام في السلوكيات والوضعية الحياتية العادية

2 التحكم في اللغة الوطنية في وضعية التعلم والتواصل والإنتاج

3 تطوير اللغة الأمازيغية والعمل على توسيع تعليمها

4 معرفة التاريخ الوطني وتاريخ الحركة الوطنية في تفاعلاتها مع تاريخ الإنسانية في الدفاع على الحرية وحقوق الإنسان

5 معرفة وتطوير التراث الثقافي الوطني

6 اكتساب تكوين تاريخي وعلمي وتقني وتكنولوجي يساعد على تنمية روح الإبداع والتكيف مع التطور المستمر للمعرفة

7 التحكم في اللغات الأجنبية بشكل يسمح بمبادلات واستغلال التوثيق التقني وكذا الاستفادة من منتوج الفكر الإنساني

8 تحقيق تربية متوازنة في مختلف مجالات المعرفة والفنون الرياضية وبشكل يسمح بايقاض اهتمامات خاصة ذات العلاقة بحاجيات الأفراد¹

وهذا ما يبلور الفترة التي كانت سائدة في تلك المدة حيث كان يسود الفهم الخاطئ للدين الإسلامي وتنامي الحركة الامازيغية فكان من الجهات الوصية إدخال كل هذا في اهتمامات التربية الوطنية محاولة بذلك راب الصدع الذي وقع في البلاد ، مع تكريس اللغة العربية كلغة رسمية في الإدارة ما يدل على توجه الحاكم في ذلك الوقت وشدة بغضه للمتفرنسين

¹نصر الدين جابر ، الطاهر الابراهيمي النظام التعليمي في الجزائر في ظل المتغيرات ، الشأن الداخلي وتحديات العولمة ، ، اعمال الملتقى الدولي والنظام التربوي في الجزائر وباقي الدول العربية ، العدد الاول ، ديسمبر 2005 ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، ص 128-129.

3 (مطالب التربية و التعليم في الجزائر

عندما تضع أي فئة من المفكرين التربويين منهاجا معيناً لفئة من التلاميذ تعيش في مكان وزمان معينين ، فان على هؤلاء المفكرين ان يدرسوا حالة التلميذ والمعلم والمادة المقدمة في ضوء الثقافة العامة للمجتمع ثم دراسة المشاكل التي تواجه تلك الفئة من الناس واحتياجاتهم وأهدافهم وغاياتهم وهذه الدراسة تتم في ضوء الأهداف التربوية التي يسعى المجتمع إلى تحقيقها ويمكن أن تجمع الأسس التي يقوم عليها المنهاج في ما يلي : 1 الأسس التاريخية ، 2 الأسس الفلسفية ، 3 الأسس الاجتماعية ، 4 الأسس النفسية على ان ما يهمننا في هذا البحث هي الأسس الاجتماعية فمن العوامل الرئيسة التي يجب مراعاتها عند إعداد المناهج هي دراسة حاجات المجتمع الثقافية والاجتماعية المختلفة لتحقيق الحياة المناسبة لجميع الأفراد ، ويجب عند إعداد المناهج دراسة المشكلات الخاصة بالمجتمع وتحديد الخبرات التعليمية التي للتلاميذ سواء كانت هذه المشكلات اجتماعية كزيادة السكان أو اقتصادية كسوء استغلال الثروات الطبيعية و البشرية أم سياسية كتحريك الأرض ، وعلى المناهج ان تعرف التلاميذ بها واتخاذ اتجاهات معينة نحوها . كما و ان أي قرار بشأن المناهج يجب ان يتم في ضوء القيم الاجتماعية التي تمثل معايير ومثله العليا التي يسير على هديها ومن هذه القيم احترام كل فرد في المجتمع ، وتكافؤ الفرص بين الأفراد ، وتنمية كل فرد تبعاً لاستعداداته والإيمان بقدرة الإنسان على حل المشكلات والتعاون بين الأفراد لخدمة الصالح العام

المطلب النوعي في التربية : الإنسان اليوم وقبل أي وقت مضى تلزمه تربية نوعية وشاملة يكون من ابرز أهدافها تكوينه وجدانيا لان تربية القرن الماضي أثبتت ما ترتب من مشكلات وعلى رأسها العنف بكل أشكاله وأثاره الوخيمة وهذا يعود الى الاهتمام الزائد بالجوانب العملية في التربية والتقصير في مكونات البناء الروحي والأخلاقي ، لكن في ظل التربية التي توازن بين الجانبين يجب العمل على صقل قواه العقلية وقواه النفسية والجسمية وتمكينه من التعبير بحرية على أفكاره وتصوراتهِ ورغباتهِ وطموحاتهِ وحاجاته

المعنوية هذا إلا في عالم يتم فيه قانون أنه لا حياة حقة للكائن البشري إلا إذا قامت على مناهج تتجه فيها التربية إلى تنمية شخصية الفرد داخل المجتمع الإنساني وهو مطلب حيوي لا نطن ان مجتمع يستطيع التخلي عنه وخاصة في الأونة الأخيرة .

المطلب النوعي في التعليم: تلاميذ المدارس المختلفة وطلاب المراكز المهنية والمعاهد والجامعات في حاجة ماسة الى التعليم النوعي والمتطور حيث يأتي من أهم أهدافه اطلاعهم على أساليب التحكم في المعلومات والمفاهيم والقضايا المطروحة أمامهم وتمكينهم من استعمال الأجهزة والأدوات في إطار علمي صحيح وسليم ومتقن¹

ومادام التعليم يقوم على مناهج لا تعمل في فراغ بل لها أهداف ومحتويات ووسائل وطرائق تقترن بالخيارات والأنشطة والتقويم وهي ما تتكامل لتولد نظام التعليم عليه أصبح من الضروري تمكين جميع الأفراد وتدريبهم ليصلوا إلى درجة إتقان العمليات التعليمية خصوصا تلك التي تتم بواسطة الكمبيوتر والانترنت إضافة إلى دمجه في عالم الاتصالات ليكونوا على دراية بما يحدث من تجديسات وتطورات في المجال التعليمي ومطلب كهذا بات كحتمية تواجهها جل المجتمعات وبالتالي لا يمكن التأخر عن توفيره ولو بالقدر المحدود وذلك في السنوات المقبلة من هذا القرن. **المطلب النوعي للاستثمار في التربية والتعليم:** إن تطوير التربية يأتي من تجويد التعليم وكلاهما يتوقف على توظيف آليات منها :

المناهج التربوية والدراسية المنظمة والهادفة .

العلوم النظرية والتطبيقية المبسطة والقريبة من المدارك

الأجهزة التكنولوجية التعليمية الحديثة

الأنساق التعليمية المفتوحة

¹ احمد الحلواني التربية العربية والديمقراطية ، ، اعمال الملتقى الدولي حول العولمة والنظام التربوي في الجزائر وباقي الدول العربية ، العدد الاول ، ديسمبر 2005 ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، ص 30/29.

المطلب النوعي لثقافة الإبداع في التربية والتعليم: كي ينشأ الإبداع وينمو كان لابد من توافر بيئة نفسية وثقافية واجتماعية تسودها قيم نوعية بواسطتها يتم إعداد الإنسان المبدع بكيفية يصبح فيها متمكنا من الإسهام في مناشط الحياة وقادرا على التكيف مع المواقف والصعوبات والتحديات التي يفرضها العصر¹.

يعد حسن التعامل مع الكائن الأدمي في غاية الأهمية سيما إذا أدرجت هذه المسألة ضمن مناهج تربوية تقوم على مده بثقافة تكون لديه روح الحوار والانفتاح على مختلف القنوات داخل المجتمع كما تقوده إلى التوازن معنويا وماديا ومنها وصوله إلى تقديم حلول إبداعية للكثير من المشاكل وتماشيا مع هذا الطرح الذي يجمع ويوفق بين :

الإبداع الفردي

الإبداع الجماعي

ثقافة الإبداع

المجتمع الذي يشجع الإنسان على الإبداع

سوف تتجلى القيمة الفعلية للإبداع الذي يفترض ان يتم التخطيط والترتيب له في المجال التربوي .

إن السمة الرئيسية في القيم المسمدة من التربية والتعليم أنها توجد علاقة وطيدة بين الثقافة والإبداع ، وتسهل بالتالي انتشارها واستمرارها عبر الأجيال ومطلب من هذا القبيل أصبحت غالبية المجتمعات تهدف إلى تكريسه وتنميته ، لان الحياة غدت تعتمد على الإبداع والابتكار والاختراع في ميادين متعددة ومنها على وجه الدقة ميدان التربية والتعليم

¹ احمد الحلواني، التربية العربية ، المرجع السابق نفسه ، ص 30.

وكانت هذه المطالب نتيجة لتفاقم المشكلات بجميع أصنافها ودرجاتها والتي تعرفها وتواجهها الشعوب الحديثة سواء في عالم الشمال او في عالم الجنوب لقد دعت بدورها مختلف القوى الفاعلة ان تركز جهودها واهتماماتها وتحركاتها صوب إيجاد السبل الكفيلة لتكون في مقدمتها المناهج التربوية التي يجب ان تنقل إليها الحاجات المرغوبة فيها كمتطلبات نوعية للأفراد والجماعات مع العمل الجاد والمتواصل لضمان تحقيقها على النحو الذي يضع توازنا وتكافؤا قيميا وماديا للتشكيلات الإنسانية القائمة داخل المجتمعات المتقدمة منها والنامية والمتخلفة ويحدد محمد جواد رضا المبادئ التي التي يتوجب على المخططين التربويين ان يهدفوا إليها ضمن نقاط عشرة¹ هي :

1 تحقيق حالة التوازن العقلاني بين التوجهات الدينية ومستلزمات التفكير العلمي لابد ان نغرس في أذهان أطفالنا وشبابنا ان المشكلات الاجتماعية لها أسبابها المادية وان حل هذه المشاكل لا يتم إلا بإخضاعها لمنطق العلم تحت القيادة الأخلاقية للعقيدة الدينية .

2 التربية العربية يجب ان تكون تربية ديمقراطية حتى الآن استخدمت المؤسسات التربوية العربية أداة للتلقين وعدم التسامح ، حرية الفكر لا تمارس في الصفوف بل هي محجورة أحيانا كثيرة حتى على مستوى الجامعات الطريقة الوحيدة لمواجهة النزعة الاوتقراطية هي بالتربية على الفكر الحر واحترام الرأي الآخر اتفقنا معه ام لم نتفق .

3 التربية العربية يجب ان تلتزم بتقوية روح الإبداع عند الأفراد وبتبصيرهم بان الماضي يمكن ان يصدر من مصادر الحكمة ولكن الماضي لا يمكن ان يوفر لنا حلولا لمشاكل الحاضر

4 التربية العربية يجب ان تكون حرة ، حرة بمعنى أن الحقيقة يمكن ان تكتشف فقط لا ان تلقن ، التلقين يلقي حرية الفهم ومعرفة الأسباب ن التلقين هو طريق معبد الى الرق العقلي وهذا هو اخطر ما يواجه العرب ويتهددهم اليوم

¹ احمد الحلواني التربية العربية ، المرجع السابق نفسه ، ص 30.

5 التربية يجب ان تعزز صورة الفرد عن نفسه ككائن حر وصاحب سيادة على نفسه وحياته كائن يدخل في علاقة تعاقدية مع الآخرين علاقة موجهة نحو الحفاظ على القيمة المتكافئة لكل الأطراف الداخلة في هذا التعاقد

6 التربية العربية يجب أن توجه نحو تربية الأفراد على رفض المحسوبية وإسقاطها من تفكيرهم والاعتیاد على ان ما يأخذونه يكون حقا يحصلون عليه بالكيفية والعمل ليس معروفا يتفضل به عليهم ولا امتیازا يستمتعون به لأسباب لا عقلانية هذا هو الطريق الى بناء الاستقلال الذاتي داخل الفرد

7 الاجيال العربية الجديدة يجب ان تقاد من خلال التربية الى اكتشاف الأسس البايولوجية والأخلاقية للمساواة بين المرأة والرجل وهم يجب ان يعانون على تقبل إنسانية الإنسان ذكرا كان ام أنثى

8 المؤسسات التربوية العربية يجب ان تثبت للأجيال الناشئة ان القومية العربية هي حقيقة وليست ادعاء وذلك بإعطاء الأطفال والشباب العرب حقوقا تربوية متكافئة عبر الحدود السياسية .

9 التربية العربية يجب ان توجه بوتيرة متعاطمة نحو التدريب التكنولوجي لتعزيز حركة التصنيع النمط التربوي الذي شاع حتى الآن هو بطبيعته اللفظية الورقية bokish عقبة كبرى في طريق التصنيع والتنمية الاقتصادية

10 التربية العربية المعاصرة لها مسؤوليات عظيمة إزاء تنمية الإيمان بالعدل الاجتماعي وجعله هدفا أخلاقيا لكل فرد باطلاع الطلاب على حقائق الدخل القومي وتوزيع هذا الدخل ومستوى الدخل والعلاقة الطردية بين الدخل وضرورات العيش الأساسية ووضع القوة العاملة لتنوير الشباب بهذه الأمور الحيوية وما يتصل بها بحيث تستطيع أن تزيد من وعيهم بمسببات الظلم الاجتماعي وسبيل التحرر منه¹

¹ احمد الحلواني التربية العربية ، المرجع السابق نفسه ، ص30.

غير أن المتفحص للسياسات التربوية العربية عموما يجد ان المواطنة والديمقراطية والعلومة بوصفها قضايا تربوية معاصرة ما زالت تراوح مكانها من الناحية الإجرائية فعل الرغم من الإقرار بحقوق الإنسان التربوية على نطاق واسع وصيغة مبادئ و صدور تشريعات مدرسية بيداغوجية تعزز كلها ميثاق حقوق الإنسان في المواطنة والديمقراطية والاعتراف بالرأي الآخر وتضمن المنظومات التربوية بعدها الإنساني إلا أن القراءة السوسيو تربوية تكشف عن الشكل الكبير لقيم الطاعة والولاء والاستعباد والعنف والتحيز الأيديولوجي وفق ثقافة التواصل وضبابية جديدة في الحقوق والواجبات وإقصاء الآخر كلها مظاهر تعمل بعمق في اتجاه مضاد للمواطنة والديمقراطية والعلومة وحتى الإقليمية في ظل تجزئة الجغرافيا والتاريخ وحتى اللغة في الأوطان العربية

ونماذج التحديث التربوي التي تسن ترسانة من القوانين تعزز المنظور الحدائي للوطنية والديمقراطية وزفي الوقت نفسه تعيق بممارسات بيداغوجية وفرز بيروقراطي أيديولوجي أي تقدم نحو الارتقاء بالوطنية والسلوك الاجتماعي الديمقراطي وإشاعة الثقافة الديمقراطية هي نماذج كثيرة لا يسمح المقيم بسردها .

في الجزائر وفي ضوء استمرار المشروع التربوي الحدائي لجون فيري الذي بدا في الجزائر المستعمرة ومن غير الإعلان عن ذلك استمرت مدارس الجزائر المستقلة في تكريس قيم الحداثة المؤطرة للمواطنة من خلال مبادئ (الجزارة ،التعريب ،التكنلجة ، تكافؤ الفرص والإلزامية والمجانية والتعميم) وهي منابع وجدانية ومعرفية لمواطنة بوصفها انبعاث للهوية المتعدى عليها أيام الاستعمار فقد كانت ذات حضور مكثف في البرامج التربوية على المستوى الابتدائي والثانوي منذ الاستقلال تتجسد من خلال التربية البدنية والدينية والتاريخ والجغرافيا واللغة..... الخ

فكانت هذه المبادئ والمواد تعمل على إنهاء الأمية وثقافة السيطرة والاستعباد التي مني بها الشعب الجزائري زمن الاستعمار وتنقل شعوره نحو استشعار الحرية وتمثل قيمها في مشروع الوطنية والتربية على المواطنة والتعايش السلمي وكما هو مشروع

لتوسيع الانتماء الوطني وترقية الشعور للنحن المدنية ، فهو مشروع من اجل توليد المجتمع الديمقراطي بتربية الوعي بالحقوق والواجبات وتحمل المسؤولية وحماية الوطن كملكية جماعية وترقية ثقافة المؤسسات والمشاركة الجماعية في الإنتاج الوطني ولا سيما فيما يلقن لتلاميذ من ثقافة مدنية وديمقراطية بشكل مكثف مبكرا منذ السنة الثالثة ابتدائي من خلال التربية المدنية وهو ما يتناغم مع المشروع الديمقراطي التربوي بمفهوم الديمقراطية الاجتماعية لإعطاء التربية على المواطنة بعدها العلمي الوظيفي ادمج التعليم منذ 1970دمجا كليا على مستوى الهياكل والتكوين والأمة لاسيما زمن الاشتراكية من اجل المساهمة في الإنتاج والثقافة

وقد تم تنويع الإصلاحات الدمجية في الأيديولوجية الاشتراكية بصدور الأمر 16 ابريل 1976 المتعلق بإصلاح التربية والتكوين والقاضي بتوحيد التعليم من حيث نمطه ولغته وإدارته ومركزيته وهو ما سمح بأدلة المبادئ والمحتويات التعليمية وممارسة الإقصاء الثقافي وإعادة مفهوم الوطنية لتمارس كما لو كانت ولاء للسلطة الأيديولوجية الاشتراكية وهي السلطة التي اختزلت التربية على المواطنة في استرجاع الثقافة الوطنية واستحضار رموز التاريخ بشكل أيديولوجي مبهم وهو ما ساعد النخبة الحداثية على ممارسة الفرز الأيديولوجي واللغوي بقوة اسم الوطنية والوحدة وهو ما يتعارض مع المشروع الديمقراطي بوصفها المشاركة الجماعية وتكافؤ الفرص وتأمين الحقوق والواجبات والتنوع الثقافي وذلك له أثره البارز في التمايز الطبقي والإقصاء الثقافي ونمو الإحساس بالتهميش لفئة عريضة من المجتمع مما أدى به إلى الغضب فمارس الممانعة بكل ما يستطيع بما في ذلك استعمال العنف¹

ومن القوانين المتوجة لمبدأ الديمقراطية وحق الأخر وحرية التعبير عن الرأي المنشور الوزاري (50م،ت،ا، 87/20 المؤرخ في 1987/11/10 الذي محتواه كالتالي:
" ولما كان العقاب الجسدي هو هاجس التلميذ وكان مستعملا كوسيلة تربوية في التعليم

¹ محمد بوضياف ، الثقافة السياسية ، المرجع السابق نفسه ،ص115.

في كثير من البلدان منذ قرون الزمان وربما مازال مسموحا به في بعض البلدان المتخلفة والمتطورة الى يومنا هذا، ومع تطور الفكر التربوي وصدور حق الطفل وبروز الأفكار التحررية والمعادية للعنف بجميع أشكاله بدا المعلمون ينفرون من استعماله وقد ترتب عن استعماله حوادث خطيرة أدت في بعض الحالات ببعض التلاميذ إلى عاهات مستديمة ومعيقة كما استدعى بالمعلمين المخالفين الى التفرير او إلى السجن او أحيانا إلى الفصل عن الوظيفة .

ويشير هذ القرار الوزاري في مادته 73 فيقول إن التأديب البدني أسلوب غير تربوي في تهذيب سلوكيات التلاميذ وتعتبر الأضرار الناجمة عنه خطأ شخصي يعرض الموظف الفاعل إلى تبعية المسؤولية الإدارية والجزائية التي لا يمكن أن تحل المؤسسة محل الموظف في تحملها¹

ويشير المنشور الوزاري كذلك فيقول : ان العقوبات البدنية يعتبرها القانون جنائية يتابع عليها ويعاقب كل من يرتكبها وأنها لا يمكن ان تكون وسيلة تربوية يلجا إليها باعتبار ان العملية التربوية الناجحة أساسها التحفيز والثقة والاحترام المتبادل بين المعلم والمتعلم وكل تصرف معاكس لذلك دليل على ضعف شخصية المربي وعدم قدرته على التحكم في زمام الأمور

وان العقوبات تكون سببا في فقدان الثقة بين المعلم والمتعلم وتؤدي إلى المساس بكرامة الطفل وشخصيته ،ولا تدخل الحوادث الناجمة عن العقاب البدني في عداد الحوادث المدرسية لان المعلم هو المتسبب فيها عمدا وبهدف معين ومقصود هو إلحاق الضرر والأذى بالطفل وهذه المخالفة يعاقب عليها القانون اذ تقول المادة 124 من القانون المدني

¹ عبدا لرحمان بن سالم ، المرجع في التشريع المدرسي الجزائري ، المرجع السابق نفسه ،ص 65.

ما يلي : كل عمل ايا كان يرتكبه المرء يسبب ضررا للغير يلزم من كان سببا فيه بالتعويض¹

ومن هذا القانون نلاحظ مدى أهمية الجانب الروحي لدى المربي الجزائري الذي يرفض أي إساءة للتلميذ ولو كان القصد من وراءها قصد مشروع وحاولت التركيز على تكريس روح الحوار وتقبل الآخر والمساواة تمهيدا لجعل التلميذ هو محور العملية التربوية

¹ عبدا لرحمان بن سالم ، المرجع في التشريع المدرسي الجزائري ، المرجع السابق نفسه ، ص 60.

4) إصلاحات التعليم

أ) إصلاح 1960 إذا كنا مقتنعين ان التعليم بدا تخلى عن فعليا عن العلاقات التي كانت تربطه بالفترة الاستعمارية فالنقائص والثغرات ظلت طاغية عليه وتمثلت التغيرات التي عرفتها هذه السنة في الشعب الأدبية وزيادة في توقيت اللغة العربية والفرنسية وتوزيع الفلسفة على اللغة العربية واللغة الفرنسية مؤقتا وأما الشعب العلمية فقد أصبحت أكثر وضوحا وأكثر دقة مما كانت عليه وتجدد الإشارة إلى ان تعريب الفلسفة والتاريخ والجغرافيا كان لأسباب بيئية سياسية ووطنية وأجبرت أساتذة هذه المواد الجزائريين الناطقين باللغة الأجنبية على التكيف والتحول إما إلى أساتذة في موادهم المعربة بعد فترة تكوينية قصيرة وأما أساتذة في اللغة الفرنسية او الى شغل مناصب إدارية وهذا ما وقع حقا والقضية ما زالت مطروحة بالنسبة لأساتذة المواد العلمية كالفيزياء والكيمياء والعلوم التقنية والطبيعية التي هي في طريق التعريب على مستوى التعليم الثانوي برمته

ومن المبادئ التي يعتمد عليها في تطوير المنظومة التربوية وفي إصلاحها والاختيارات الأساسية التي يعتمد عليها من تعريب للتعليم تعريبا شاملا وديمقراطيته وجزارته وطابعه العلمي هذه المبادئ لم تكن معمقة ومدققة فقط من الجانب النظري لكنها أصبحت مطبقة سارية المفعول

هذا ولا يحق لنا ان نتعرض لهذا الإصلاح دون الإشارة الى مشاكل الموظفين الذين كان التعليم في حاجة إليهم لتطبيق هذا الإصلاح لأنه رغم التزايد الملموس في عدد الأساتذة لا يزال هذا العدد غير متكافئ مع عدد التلاميذ كما ان عدد الجزائريين منهم لا يمثل الا نسبة ضئيلة جدا من العدد الإجمالي إلى جانب ذلك نلاحظ التزايد المستمر لعدد التلاميذ واكتظاظهم في الأقسام¹

¹ الطاهر زرهوني التعليم في الجزائر، المرجع السابق نفسه، ص 73.

(ب) إصلاح 1976 :

صدرت في سنة 1976 نصوص في غاية الأهمية أقامت منظومة تربوية على ان تكون مرآة و أدوات نشاطه أسندت إليها النهوض بعملية التحرير الكامل لطاقت الشعب السائرة على درب التقدم وان تؤدي الرسالة الخطيرة التي حملها الشعب إياها والتي تتمثل في جعل الأجيال تتلقى أمانة الدفاع على اغلي مكاسب الثورة المتمثلة في العدالة والحرية والعلم والثقافة¹

من هذه النصوص نذكر الأمر رقم 35/76 المؤرخ في 16 افريل 1976 والمتعلق بتنظيم التربة والتكوين ومختلف النصوص التطبيقية كالمرسوم رقم 69/76 المؤرخ في 16 افريل 1976 المتعلق بمجانية التعليم والتكوين والمرسوم رقم 72/76 المؤرخ في 16 افريل 1976 والمتعلق بتسيير مؤسسات التعليم الثانوي وإدارتها

أما الهدف الذي عين لتكوين الموظفين التابعين للتربة في إطار تطبيق هذا القانون فكان تلقينهم المعلومات اللازمة لعملهم والتكوين عملية مستمرة لجميع المربين على جميع المستويات ومهمته ان يتيح الحصول على تقنيات المهنة واكتساب أعلى مستوى من الكفاءة والثقافة والوعي الكامل بالرسالة الملقة على عاتق المربي والالتزام السياسي الدائم بمبادئ الثورة²

¹ الطاهر زرهوني، التعليم في الجزائر، المرجع السابق نفسه، ص 77 ،

² المرجع السابق نفسه ، ص 77.

ج) إصلاح 1980

وكان منطلق هذا الإصلاح هو ان العمل التعليمي عمل استثماري يهدف الى تجنب كل ما يؤدي الى إهدار الجهد والمال وهذا كان سبب عدم تحقيق الامال والمرامي التي انيطت بإصلاح التعليم سنة 1976 وجعل حلوله تصطدم بالواقع مما الجاه في العديد من الحالات الى ان يؤخر بعض المطالب او القوانين التي كان من المفروض تطبيقها ومن هنا فان هذا الإصلاح يقوم على :

إن إصلاح النظام التربوي وتحسين مضامينه يستوجب مراجعة شاملة لكل جوانبه العلمية والتربوية والظروف التي تجري فيها ويستوجب عل الخصوص العمل على تحقيق ما يلي :

(1) تطوير المناهج وتحسين الكتب ورفع مستوى المعلمين والمشرفين على العمل التربوي

(2) توحيد التعليم وتنظيمه وتقويته وجعله مستجيبا لمتطلبات التنمية

(3) -إحلال اللغة العربية محلها في النظام التعليمي باعتبارها لغة تعليم وتفكير وعمل

(4) وضع سياسة واضحة وعميقة لتعليم اللغات الأجنبية باعتبارها روافد مساعدة في الاتصال بالثقافات المعاصرة

(5) النهوض بالتعليم التقني ودمجه بالتعليم الأكاديمي

(6) التوسيع في نسبة القبول في المرحلة الأخيرة من التعليم الأساسي تحقيق لالتزامات الدولة في ديمقراطية التعليم

(7) توفير البنيات المدرسية الكافية والملائمة في الاتجاهات التربوية الجديدة

(8) جازرة الإطارات العاملة غي ميدان التعليم والتكوين¹

¹ الطاهر زرهوني، التعليم في الجزائر، المرجع السابق نفسه، ص 77.

(د) إصلاح 2003

ويهدف هذا الإصلاح الى تجديد طريقة التدريس وإبدال المحور الرئيسي لعملية التعليم فبدل ان يكون المعلم هو المحور الرئيسي وهو رئيس القسم يملي المعلومات على تلاميذ يكون دورهم الاستماع فقط أصبح الاعتماد في هذا الإصلاح منصبا على التلميذ وجعله هو الذي يدير الدرس وهو محور العملية التعليمية وهذا ما يسمى بطريقة التدريس بالكفاءات ، وهذا سعيًا من الوزارة بان يكون إصلاح المنظومة التربوية يهدف الى تحديد غايات التعليم حتى يكون أكثر ملائمة لحاجات الأفراد والمجتمع المفترضة والى تحقيق أهداف التكوين واستخدام أحسن الوسائل وأنجع الطرق فان مقارنة الكفاءة إستراتيجية محكمة الآليات لتحقيق الهدف نتساءل ، لماذا نعتد بالمقارنة بالكفاءات ؟

أولا : لأن : البرامج المطبقة حاليا لم تجدد منذ عقود خلت و أصبحت لا تواكب التطورات العلمية و المعرفية الحديثة .

- عرف المجتمع تغيرات جذرية في مختلف الميادين الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية و السياسية .

ثانيا : لأن :

- اعتماد النظرية التربوية القائمة على تلقين التلاميذ مجموعة من المعارف لم تصبح مجدية في ظل تعقد الحياة المعاصرة
- إعداد الناشئة لخوض غمار الحياة يتطلب اعتماد مقارنة تربوية جديدة تسمح باكتساب القدرات و الكفاءات الضرورية و المناسبة
للاندماج في المجتمع و المساهمة في ازدهاره¹ .

وتقوم هذه المقارنة على مفهومين رئيسيين هما

¹ مديرية التربية ولاية غرداية تقرير حول اعتماد المقارنة بالكفاءات في بناء المناهج الجديدة ،
http://www.oulloum2006.jeeran. 2008/5/18 www.google.com.

1 القدرات : 1-1 بعض التعاريف :

* هي مجموعة الاستعدادات التي يستعملها الشخص في
وضعيات مختلفة و يعبر عنها بفعل مثل : يتواصل ، يحل
، يعالج ، يعد ، ...

فهي ليست قابلة للملاحظة و لا للتقويم . لكن يتعلق الأمر
بمحور تكوين يمكن للتلميذ أن يطور فيه مؤهلاته

* استعداد غير قابل للملاحظة و التقويم ، يستعمله الشخص
في وضعيات مختلفة ... ترتب القدرات في عدة صنافات
مثل : صنافة بلوم المشهورة .

* هي تمكن حقيقي لإنتاج معرفة ، مهارة ، أو موقف . فهي
تثبت أن للشخص استعداد أو ملكة .

* هي استعداد ينمى في ممارسة معينة . إن التنسيق بين عدة
قدرات يكون ضروري لتأهيل و ممارسة كفاءة . و من
جهة أخرى فإنها تعرف من قبل البعض كمهارة أفقية أو
عابرة لوضعيات مختلفة أو كمهارة عامة جدا¹ .

تعريف عام :

* استعداد مكتسب أو يتعين اكتسابه و تنميته بالتعلم و يسمح
للتلميذ بالنجاح في استغلال بعض الأدوات الفكرية مثل :
الفهم ، التحليل ، التركيب ، حل مشكلة ، اقتراح فرضية ،
التجريب ، التوثيق ، التمرن اليدوي ، التبليغ بالأسلوب
العلمي إلخ

¹ مديرية التعليم الأساسي بوزارة التربية ، منهاج الأولى متوسط مادة العلوم الطبيعية والحياة ، افريل 2003.

1-2 الكفاءات :

1-1-2 أصل معنى المصطلح:

- لغويا : تأتي من الكلمة اللاتينية للقرن XII بمعنى السلطة .
- حسب علوم التربية : هي القدرة على القيام ببعض المهام.
- حسب الباحث (Le Boteref) : فهي حسن تصرف معترف به (Savoir agir reconnu) .

2-2-2 بعض التعاريف:

- * هي مجموعة معارف و مهارات منظمة و منسقة لأجل القيام بصفة مكيفة بنشاط غالبا ما يكون معقدا
- في الوضعيات الحقيقية تترجم الكفاءة بسلوكيات فعلية تسمى بالأداءات .
- * هي تنظيم مجموعة من المعارف و المهارات و الاستعدادات و محتويات التجارب من أجل القيام بصفة مكيفة بنشاط غالبا ما هو معقد .
- في الوضعيات الحقيقية ، تترجم الكفاءات بسلوكيات فعلية تكون قابلة للملاحظة .
- * هي مجموعة من المهارات و المواقف المطلوبة للقيام بوظيفة معينة . ليس الكفاءة مرادفة للمهارة . تضم الكفاءة مهارات و مواقف .

* هي التحكم في المعارف بدرجة عالية و معترف بها ،
حيث تسمح بالقيام بمهارة في وضعية معينة و معقدة .

* هي مجموعة القدرات و المعارف الضرورية لحل
وضعية إشكالية .

* هي معرفة ديناميكية و فعالة أو معرفة كامنة
(savoir potentiel) قابلة للتجديد في عدد كبير من
الوضيعات المختلفة من نفس العائلة ¹ .

3-2-2 تعريف عام :

* الكفاءة هي حسن التصرف الناتج عن تجنيد و استغلال
موارد (معارف ، قدرات ، مهارات ، مواقف) بصفة
منسقة و مدمجة لأجل حل وضعية إشكالية متفاوتة التعقيد
.²

¹ Bernard procher(inspecteur de leduction national)avec c.le templier et i. Rak du referentiel a l evaluation
edition foucher.paris.1996.

²Construire la formation (outils pour lenseignants et le formateurs c e p e c sous le direction de pierre
gillet.collection / pedagogies e s f editeur 2 edition paris 1992.

2-3 خصوصيات القدرات و الكفاءات :

جدول رقم 12 يبين خصوصيات القدرات والكفاءات

الكفاءات	القدرات	المقاربة الخصوصيات
خاصة بمادة واحدة	تتعلق بكل المواد	المجال
هدف نهائي	هدف عام	مستوى الهدف
مطلق	نسبي(تنمى مدى الحياة)	مستوى التحكم
غير قابلة	غير قابلة	القابلية للملاحظة و التقويم

المصدر: مديرية التربية ولاية غرداية

وينطلق هذا الإصلاح من أن

1الطفل يحمل مكتسبات قبلية وما على التعليم إلا تهذيبها وتطويرها

2البعد الإنساني أي ان هذا الطفل إنسان له القدرة على التعامل مع المعلومة وله الحق في توجيه طريقة تعلمه

3 الدراسات الحديثة التي أثبتت ان الرؤيا والمشاركة داخل الصف التعليمي لها اثر ايجابي أكثر من السماع دون حركة او مشاركة

4 تشهد الجزائر جدلا حادا حول إصلاح التعليم، منذ ان اختار الرئيس عبد العزيز بوتفليقة السيد بن زاغو رئيسا لها، بين التيار الوطني والإسلامي من جهة، والتيار اليساري والعلماني من جهة أخرى، وارتفعت حرارة هذا الجدل مع تقديم اللجنة تقريرها النهائي، حيث، تسربت أنباء عن بداية تطبيق توصياته خلال العطلة الصيفية ، استعدادا للدخول الاجتماعي في شهر (أيلول) سبتمبر ، دون مروره

عبر المؤسسات الدستورية، ومناقشته في البرلمان من طرف نواب الشعب. ويتهم أعضاء من لجنة إصلاح المنظومة التربوية، المدرسة الجزائرية بأنها مصدر لتخريج الإرهابيين الذين شكلوا الجماعات المسلحة التي تمارس العنف والتقتيل منذ عشر سنوات، لان مناهجها ذات طابع عتيق وديني وكتبت باللغة العربية بينما الفرنسية مصدر للحدائثة والتتوير.

ويفتح تقرير بن زاغو الباب واسعا أمام إعادة فرنسة المدرسة الجزائرية، من جديد بعد تعريب كل مراحلها منذ استقلال البلاد عام 1962. ويريد التقرير بقرار إداري فرض الفرنسية علي الجزائريين وإقصاء الانكليزية وغيرها من اللغات الأجنبية، علي الرغم من ان الفرنسية تعاني الكثير من المشاكل، بشهادة أهلها، وحتى الفرنسيين أنفسهم عندما يريدون ان يكسبوا طابع العالمية يكتبون بالانكليزية. ونظمت تنسيقية المدرسة الأصلية والمتفتحة تجمعات شعبية حاشدة، وصفت فيها تقرير لجنة إصلاح المنظومة التربوية، بتقرير العار، وقالت التنسيقية ان الأمة لن تسمح بان يجد تقرير العار طريقه الي ساحتنا التعليمية، انه استسلام لهيمنة الفرانكفونية ويجسد الهزيمة التربوية، لن يمر هذا التقرير العلماني، فالمدرسة الجزائرية هي أمل الشعب ومستقبله، ولن نتركها تسقط في أيدي الدوائر المشبوهة باسم إصلاح مزعوم¹.

¹ محمد مصدق يوسفى ملف الجزائر - وزير التربية علي بن محمد يخوض معركة التعريب ، تحالف علماني يعتبر العربية لغة المتخلفين ويريد احلال الفرنسية في التعليم ، ، www.google.com، 2008/01/30.

5 هيكلية المنظومة التربوية الجزائرية

بعد التذبذب الذي عاشته المنظومة التربوية الجزائرية منذ 1962 الى بداية السبعينات وبعد الاعتماد على النصوص الفرنسية خاصة ما تعلق منها بالتشريع المدرسي وبعد الوقوف على النتائج غير المرضية التي أفرزتها المدرسة الجزائرية إن ذاك وبعد التفكير في هذا وذاك أصبح من الضروري إدخال تغيير جذري على المنظومة التربوية بعيدا عن منطق الارتجال والمعالجات الظرفية شكلت وزارة التربية الوطنية لجنة من المختصين في الإحصاء والتخطيط والتربية وميادين أخرى بداية من سنة 1972 وبعد دراسة الوضع التربوي من مختلف جوانبه خرجت بتصوير اعتبر آنذاك مدخلا لإصلاح التعليم في هذا المدخل ظهرت بوادر المدرسة الأساسية ويرتكز هذا التصور على معالجة السلبيات الملاحظة على المنظومة التربوية مثل :

افتقار المدرسة إلى نصوص تشريعية جزائرية

انعدام فلسفة تربوية وتعليمية وتكوينية مصرح بها

هيكلية المنظومة التعليمية غير الواضحة

طول المسار المدرسي

ظاهرة ارتفاع نسبة الرسوب

ظاهرة ارتفاع نسبة التسرب والعودة إلى الأمية

نظام ازدواجية الأفواج التربوية

شعب معربة ومزدوجة

ازدواجية لغة التعليم وطغيان اللغة الفرنسية

انغلاق المدرسة على نفسها¹

ضعف مستوى المعلم والأستاذ وحاجتهما الى التكوين

وجود نوعين من التعليم عمومي وحر نبع عن هذا التصور الجديد للمدرسة الجزائرية نصوص جزائرية خالصة تمثلت في الأمر 35/76 المؤرخ في 16/04/1976 والمراسيم المحدد لكيفية تطبيقه ينص هذا الأمر في مادته الأولى على ان يتكون التشريع في ميدان التربية والتكوين من أحكام هذا الأمر ومن النصوص التشريعية ومن النصوص التنظيمية التي صاحبتة والنصوص التطبيقية المتعلقة به وإذا حللنا هذا الأمر وجدناه يتكون من العناصر الأساسية التالية

وسنقتصر على ما يهمننا منها²

هيكلية النظام التربوي المادتين 17-18

تحديد التعليم التحضيري المادتين 19-20

تحديد التعليم الأساسي من 24 الى 32

تحديد التعليم الثاوي من المادة 33 الى 42

ومن هنا نستنتج ان النظام التربوي يتفرع الى أربع مستويات التعليم التحضيري

التعليم الأساسي التعليم الثانوي التعليم العالي

التعليم التحضيري : تعليم اختياري يقع تحت وصاية وزارة التربية الوطنية ويستغرق مدة سنتين ويدخل فيه الأطفال التي تتراوح أعمارهم بين 4-6 سنوات وتتم الدراسة فيه باللغة العربية

¹ عبدا لرحمان بن سالم ، المرجع في التشريع المدرسي الجزائري ، المرجع السابق نفسه ، ص 58

² عبدا لرحمان بن سالم ، المرجع في التشريع المدرسي الجزائري ، المرجع السابق نفسه ، ص 59

وتكون مهامه

مساعدة الأسرة على تربية الولد والعمل على ازدهاره بواسطة التدريب المدني اللائم

تربية حواسه لإيقاظ فضوله الذهني

إعداد الأطفال للالتحاق بالمدرسة

وله أهداف تتمثل في

مساعدة الأطفال على نضج طاقاتهم وقدراتهم

تحضيرهم للحياة الاجتماعية

مساعدتهم على التعرف على مكونات البيئة

تحفيظهم سوراً من القرآن الكريم

تدريبهم على مختلف الأنشطة

تنمية الذوق الجمالي لديهم¹

التعليم الأساسي : ويتم في المدرسة الأساسية التي تعتبر البيئة التعليمية القاعدية التي تكفل لجميع الأطفال تربية أساسية قاعدية واحدة لمدة تسع سنوات تسمح لكل تلميذ واصله التعليم إلى أقصى ما يكون نظراً لمواهبه وجهوده كما تهيئه في نفس الوقت الى الالتحاق بوحدات الإنتاج او بمؤسسات التكوين المهني²

ان هذه المؤسسة تؤمن لكل فرد القدر الأدنى والضروري من المعارف والمواهب السلوكية التي تهيئه للاندماج في المجتمع وتجعله قادراً على استثمار إمكانياته الفكرية

¹ الطاهر زرهوني ، التعليم في الجزائر ، المرجع السابق نفسه، ص129.

² عبدا لرحمان بن سالم ، المرجع في التشريع المدرسي الجزائري ، المرجع السابق نفسه ،ص، ص65/64.

والوجدانية أنها تكفل لجميع الأطفال نموا منسجما وتكوينا علميا يجعل منه قوة نشيطة تحقق التغيير الاجتماعي وتصنع التطور الاقتصادي المنشود

ويرجع تنظيمها الى الإصلاح الذي جاء في 1980 حيث أقيمت سنواتها على

التوالي

السنة الأولى 1980-1981

الثانية 1981-1982

الثالثة 1982-1983

الرابعة 1983-1984

الخامسة 1984-1985

السادسة 1985-1986

وهي تتكون من ثلاث أطوار

الطور القاعدي 1-3 ويعمل على إكساب التلميذ

وسائل التعبير الأساسية – التربية الجمالية

المواد الاجتماعية

طور الإيقاظ 4--6: ويعمل على تقوية المعلومات المكتسبة في الطور الاول ادراج

النشاطات الجديدة

أدراج اللغة الانجليزية

طور التوجيه 7-9 ويعمل على تعميق المواد المكتسبة في الطورين الاولين والتوسيع

فيهما

تجسيد المعارف المكتسبة وتطبيقها واقعيا

إدراج اللغة الامازيغية كلغة اختيارية¹

وظائفه

الارتفاع بمستوى تعليم المواطن وذلك خلال 9 سنوات من سن 6 سنوات إلى 15 سنة

التقريب بين التعليم النظري والتعليم التقني بما يقدمه من تطبيق في الورشات والمخابر

تنشيط القدرات الابتكارية

أهدافه

مساعدة الأطفال على التمكن في اللغة العربية

مساعدة الأطفال على استيعاب الأسس الرياضية والعلمية

مساعدة الأطفال على دراسة الخطط الإنتاجية

مساعدة الأطفال على استيعاب أسس العلوم الاجتماعية

تعليم التلاميذ تذوق الجوانب الجمالية

تعليم التلاميذ بعض اللغات الأجنبية

التعليم الثانوي

وهو عنصر هام في بنية المنظومة التربوية لأنه يشكل حلقة وصل بين التعليم

الأساسي الذي يزوده بنصف عدد التلاميذ المنتميين الى السنة التاسعة والتعليم الذي ينهل

منه الأغلبية من طلابه وهو يشتمل على التعليم الثانوي العام والتعليم الثانوي المتخصص

والتعليم الثانوي الخاص

¹ الطاهر زرهوني ، التعليم في الجزائر ، المرجع السابق نفسه ،ص، ص 124/122

وتختم الدراسة في التعليم الثانوي العام والمتخصص بشهادة نهاية الدراسة الثانوية التي تدعى باكوريا¹

مهامه

مواصلة المهمة التربوية

دعم المعارف المكتسبة

التحضير للتعليم العالي

التخصص التدريجي

التحضير لالتحاق بالعمل

أهدافه

إكساب التلاميذ المعارف الضرورية لمتابعة الدراسات العليا

تنمية قدرات التحليل والتعميم والتكيف

تنمية روح البحث

تنمية التعليم الذاتي

¹ المادة 77 من المرسوم 76 المؤرخ في 16 افريل 1976 والمتعلق بتنظيم وتسيير مؤسسات التعليم الثانوي بالجريدة الرسمية رقم 33 المؤرخ في 1976/04/23.

ويشمل شعبتين من كل شعبة تفرعات :

آداب

آداب وفلسفة

آداب ولغات أجنبية

علوم

علوم تجريبية

رياضيات

تقني رياضي

هندسة مدنية

هندسة ميكانيكية

هندسة كهربائية

هندسة طرائق

التعليم العالي يتم في الجامعات وهو يمثل نهاية المرحلة التعليمية ويضى فيها 3-4-5 سنوات

وهو مقسم الى نوعين من التكوين تكوين طويل المدى وتكوين قصير المدى.

لدى الجزائر 10 جامعات، 7 منها مركزية، أهمها جامعة الجزائر جامعة وهران و جامعة قسنطينة ، عدد من المتقنات أيضا توظف الدراسات التطبيقية.

غيرت بعض الجامعات مناهجها كمرحلة تمهيدية، نظام L.M.D الجديد، لم يفز (رغم قوته) برضى جميع الطلبة حاليا.

مشاكل التعليم بشكل عام راجعة للبيروقراطية، تدني المستوى الثقافي للمسؤولين أنفسهم، خلقت وضعية لا يحسد عليها لا الأستاذ، و لا الطالب الجامعي، الذي يتخرج بحاصل ثقافي دون المتوسط. كما أن مستوى الجامعات في المجالات التقنية ضعيف و محدود، هياكلها غير الموازية للحركية السريعة في العلوم.

من بين الوظائف التي اخترعتها الدولة لخريجي الجامعات و للحد من البطالة، مدراء تسيير للمراحض العامة (أسالت كثيرا من الحبر)

الإضرابات، (اعتقالات أيضا) لأساتذة التعليم الثانوي و الجامعي ليست راجعة للأجور فقط، بل كرفض مباشر لوصاية الدولة (رقابة) على التعليم، يريد الأساتذة من خلالها حرية إختيار رؤساء الجامعات ديمقراطيا، بدل التعيين الإداري¹.

وظائفه

نشر العلو

ترقية العلم

تعليم المهن الرفيعة

¹ التعليم في الجزائر ، نقلا من وكبيديا ، المرجع السابق نفسه.

6) ركائز و مبادئ المنظومة التربوية في الجزائر:

الأصالة : وهي ان كون المنظومة التربوية معبرة عن أصالة حقيقية لهذا الشعب أي ان تتمكن المدرسة من صياغة قيمها من خلال قيم الشعب ، وان تستنطق تاريخه كله من خلال جميع حقبه وان تعبر عن حضارته وان تجعل هذه الحضارة قادرة على التفاعل الدائم مع معطيات الحياة والعالم الخارجي وان تستطيع ان تحاور من مركز قوة الحضارة العالمية التي نعيشها لان الحضارة التي ورثناها حضارة عظيمة ولا بد ان نمدها بواقع العصر¹

الحدثة ان كل مدرسة مطالبة ان تقوم بالدورين الوظيفيين وهما المحافظة ن ودور التغيير كل مؤسسة مدرسية في العالم يتعين عليها ان تلعب هذين الدورين في إن واحد ن اذا أرادت ان تكون منظومة حية ندور الحفاظ ودور التغيير ولا ينبغي ان لا يقع الانحراف إلي شاب نظرتنا إلى الحدثة أنها مجرد اقتناء الوسائل العصرية حيث إننا نعتقد أنا ننشئ مدرسة مسايرة للعصر بمجرد إننا نقيم فيها الوسائل العصرية من مختبرات وأجهزة الإعلام الآلي ووسائل أخرى متطورة ، ان الحدثة سلوك وهي فكر نشط وهي منهج في التعامل مع الواقع فالحدثة إبداع ن وهي حالة نفسية وعقلية تكون عند المتعلم والمعلم والمفتش والمسير والمربي عموما لخلق واقع في المدرسة الجزائرية يتميز بالمرح الجري والتحليل العلمي والقدرة على نقد الأفكار وترجيح بعضها عن بعض²

العقلانية ان المدرسة الناجحة هي التي تتجنب ان تملي السلوك او تفرضه او ان تدرب على الاستجابة التلقائية والآلية لان الطفل ليس الة نبرمجها كما نشاء ، الطفل كائن حي ينبغي ان لا ندربه على رد المواقف المسجلة في ذاكرته بل ينبغي ان ندربه على إحداث المواقف وعلى تبني ما يناسبه منها ان العقلانية تستلزم منا ان نمكن الطفل الجزائري

¹ علي بن محمد ن معركة المصير والهوية ، المرجع السابق نفسه، ص 35.

² ، المرجع السابق نفسه، ص 36.

بصفة تربوية من القيم الحية الخالدة وان نغرس فيه المبادئ التي تجعله يتخذ الموقف المناسب له في الوقت المناسب ، وهذا الموقف المناسب لا يمكن ان يكون الا في صالح الوطن وفي صالح الحضارة وفي صالح الثقافة وفي صالح التقدم والسير الى الأمام¹

الفاعلية ان المنظومة التربوية في أي امة من الأمم المتخلفة هي اكبر جهاز إنتاجي ولكي يكون هذا الجهاز الإنتاجي ملبيا لمطالب الأمة التي تنتظر منه الكثير ينبغي ان يكون فعالا ن وعندما نقول فعالا يعني ان يكون له مردود في مستوى التضحيات المادية والمعنوية الكبيرة التي تتحملها الأمة من اجل تعليم أبنائها

تاتي هذه الفاعلية عن طريق الكفاءة والكفاءة ليست وحيا يوحى وإنما هي جهد يبذل هي عمل دائم هي استمرار في الفعل الايجابي ، يأتي عن طريق الجدية التي هي من تقاليد المنظومة التربوية ويمكن ان تغيب الجدية في أماكن أخرى لكن المنظومة التربوية مسئولة ليس فقط عن الجدية داخل هياكلها بل على إحداث روح الجدية في المحيط الخارجي لأنها هي التي تفعلها وتثبتها وتنشر قيم التمسك بها²

ومن أهم المبادئ التي ترمي إليها المنظومة التربوية الجزائرية وتجعلها تحقق الأهداف التي جاءت بها الإصلاحات المتتالية

¹ ، علي بن محمد ن معركة المصير والهوية ، المرجع السابق نفسه ص 37

¹ المرجع السابق نفسه ، ص 39

ومن أهم هذه المبادئ

مجانية التعليم

ويرجع هذه الى المرسوم الوزاري 67/76 المؤرخ في 16/04/1976

المتضمن مجانية التعليم والتكوين

هذا المبدأ من مبادئ ديمقراطية التعليم فاذا كان التعليم حقا من حقوق الطفل وإذا كان التكوين كذلك حقا لكل مواطن جزائري فان هذه الحق يتجسد ميدانيا وبالفعل في مجانيته حتى لا يكون المقابل النقدي عائقا ومانعا للتمتع بهذه الحق ولهذا أسس التشريع الجزائري هذه الحق وجعله على عاتق الدولة ومن مجمل التكاليف التي تتكفل بها ومن مزايا التشريع الجزائري في هذه الميدان انه جعل مجانية التعليم مطلقة في مختلف المستويات من التعليم التحضيري الى التعليم العالي والتخصصي ، وبالإضافة الى التعليم فان متطلباته هي الأخرى تكون على كاهل الدولة مثل اللوازم والوسائل والنقل والإطعام والإسكان داخل المؤسسة ، ويعتبر هذه تشجيع كبير على التعليم والتكوين ، وينص هذه المرسوم في هذه البيان على كون التعليم مجانا في كل المستويات¹

يستفيد من مجانية التعليم كل التلاميذ المسجلين رسميا في مؤسسة التربية والتكوين وغيرهم من الكبار الذين يواصلون تعليما او تكوينا

علاوة على مجانية التعليم يمكن ان يحصل تلاميذ التعليم الأساسي وتلاميذ التعليم الثانوي بأقل ثمن على الوسائل التعليمية واللوازم المدرسية والخدمات الاجتماعية التي تعين على حسن سير النشاطات التربوية

¹ عبدا لرحمان بن سالم ، المرجع في التشريع المدرسي الجزائري ، المرجع السابق نفسه ، ص 62.

إجبارية التعليم

ويعود هذا المبدأ إلى المرسوم 66/76 المؤرخ في 16/04/1976 المتضمن إجبارية

التعليم

ان هذه المرسوم يشرع إجبارية التعليم في الجزائر خاصة في التعليم الأساسي ورغم ان التعليم لم يكن إجباريا لا على الدولة و لا على ولي التلميذ الا ان الأبواب كانت مفتوحة على مصراعها كي تستقبل جميع الأطفال الذين هم في سن الدراسة والأولياء أصلا يشعرون بنوع من الإجبارية الأدبية المسطرة عليهم تلزمهم بتسجيل أبنائهم في المدرسة بحكم أنهم كانوا ممنوعين من جهات عديدة من الوطن إبان الاستعمار من نشوة العلم والمعرفة و يقول المرسوم بهذا الصدد :

ان التعليم إلزامي إجباري لكل التلاميذ الذين يبلغون سن التدريس اي السنة السادسة من العمر خلال السنة المدنية الجارية

ويجب على الأولياء والآباء والأوصياء بصفة عامة الذين يكفلون أطفالا في سن القبول المدرسي ان يسجلوهم في المدرسة الأساسية التابعة لقطاعهم الجغرافي المدرسي

ويجبر السلطات البلدية بإجراء التبليغ للسلطات التربوية على مستوى الولاية بكشف دقيق لعدد الأطفال الذين يبلغون سن الدراسة في السنة الدراسية القادمة حتى تتخذ مصالح التربية على مستوى الولاية كل التدابير الضرورية لاستقبال هذه العدد من الأطفال

وتطلب من مدير المدرسة الابتدائية ان يقوم بعملية تسجيل قبل كل سنة دراسية الأطفال الذين يبلغون السن القانونية في السنة الدراسية المقبلة

ويوضح المرسوم مفهوم إجبارية التعليم في ما يلي

تقتضي إجبارية التعليم مواظبة التلميذ للمدرسة وفقا للتنظيم الجاري به العمل وتراقب هذه المواظبة يوميا ويلزم المعلم بإخطار الإدارة بكل تغيب يلاحظ على احد التلاميذ حتى يقوم

بإخبار الأولياء ويطلب منهم توضيح أسباب التغيب ويتعين على الأولياء تبرير اي مخالفة لإجبارية التعليم

وتنذرهم بتسليط عقوبة في حالة تكرار مخالفة إجبارية التعليم .

التعريب: هناك نظرتان متطرفتان للمنظومة التربوية في الجزائر، فهناك نظرة الجماعة التي تري ان الجيل الجزائري الحالي منكوب لان المدرسة الجزائرية، عربته وأعطته قيم دينه الإسلامي، وهناك نظرة متطرفة أخرى، مقابلة تماما وعلي النقيض منها تري ان الجيل الجزائري منكوب لأنه لم يتلق في المدرسة قيم العروبة والإسلام، و كلا النظرتين فيها تطرف ومبالغ فيها، المدرسة الجزائرية ليست بالحد ولا بالقدر الذي أرادوا ان يصوروه، هي مدرسة جزائرية نبتت في صلب المجتمع الجزائري، واستوعبت قيم المجتمع عقيدة ولغة ودينا وحاولت ان تتخطي الصعاب لان المدرسة الجزائرية نشأت من عدم، المدرسة التي كانت موجودة قبل الاستقلال هي مدرسة فرنسية في الجزائر، وقد ناقشنا هذا الموضوع بالتفصيل، فلا الجيل الجزائري الآن منكوب بعدم إسلاميته وعروبه، ولا الجيل الجزائري منكوب الآن بإسلاميته وعروبه، فكلا النظرتين فيها تطرف ومبالغة، وموضوع المدرسة الجزائرية مطروح بشكل غير صحيح، وهناك خلط واضح وما يقال ليس واقع المدرسة الآن، فهي حاليا مدرسة معربة من السنة الأولى الابتدائية الي البكالوريا، تعلم التاريخ العربي والإسلامي والامازيغي، وتعلم التربية الإسلامية وتحفظ القرآن وليس عندنا مشكلة في المدرسة الحالية، لكن توجد أقلية لم ترض عنها وتريد ان تفسدها.¹

معركتنا في الجزائر هي تطوير مدرستنا لأنها ينبغي ان تتقدم وتتغير ولكن من منظور ثوابتها الموجودة حاليا. المدرسة الجزائرية ليست معربة، المدرسة الجزائرية، تعلم باللغة العربية من السنة الأولى الابتدائية الي البكالوريا، اذ لا يوجد في الجزائر شعبة البكالوريا غير معربة لا تقنية ولا فيزيائية ولا علمية ولا رياضية ولا أدبية، إنما الآن

¹ علي بن محمد معركة المصير والهوية ، مرجع سابق ، ص

هناك جماعة غير راضية عن المدرسة تقول ان المدرسة ضعيفة، ونحن أيضا نقول ان المدرسة ضعيفة وتحتاج الي إصلاح، ولكنهم يقولون ان المدرسة ضعيفة لأنها تعلم باللغة العربية وهي مدرسة تخرج الإرهابيين لأنها تعلم التربية الإسلامية. المدرسة الجزائرية منسجمة مع المجتمع حقيقة في حاجة الي تعميق وتطوير وإصلاح¹

التركيز على التكنولوجيا العلوم والتقنية

منذ الاستقلال، جعلت الجزائر التقدم تقني رئيسي ، خصوصا في الفولاذ و صناعات الكيماويات النفطية. على أية حال ، الجزائر ما زالت عندها نقص حاد من العمّال المهرة وبشدة معتمدة على التقنيات الأجنبية . التدريب العلمي يجري أساسا في جامعة هواري بومدين للعلوم والتقنية ، تأسست في 1974 ؛ جامعة وهران للعلوم والتقنية ، تأسست في 1975؛ جامعة عنابة (تأسست في 1975)، جامعة البليدة (تأسست في 1981)، جامعة بومرداس (تأسست في 1981)، جامعة قسنطينة (تأسست في 1969)، جامعة وهران بالسانية(تأسست في 1965)، جامعة تلمسان (تأسست في 1974)؛ و جامعة فرحات عباس بسطيف (تأسست في 1978). في 1987 - 1997 ، طلاب العلوم و الهندسة وصل تعدادهم حتى 58 % من تسجيلات الجامعات و الكليات. يشغل مكتب الحكومة الوطني للبحث العلمي 18 مركز بحوث في علم الأحياء ؛ علم الأجناس البشرية؛ علم المحيطات والثروات السمكية ؛ علم الفلك ، الفيزياء الفلكية ، وعلم فيزياء الأرض ؛ الطاقة المتجددة ؛ المناطق القاحلة؛ نقل التقنية؛ وحقول أخرى²

¹محمد مصدق يوسفى المرجع السابق نفسه .

التعليم في الجزائر نقلا من وكبيديا ن المرجع السابق نفسه .

تعميم التعليم

بعد حصول الجزائر على استقلالها كان عليها أن تواجه تحديات على مستويات عديدة :
سياسية ، اقتصادية ، اجتماعية وثقافية ، ومن هذا المنطلق كان من الضروري إعطاء
جانب التعليم الأهمية التي يستحقها ، فعملت الدولة

على بناء مؤسسات تعليمية و انتهاج ديمقراطية التعليم و مجانيته ، لكن الأهداف كبيرة
و الإمكانيات محدودة ، وانطلاقا من هذا جاءت فكرة إنشاء مركز يعمل على تعميم
التعليم عن طريق المراسلة ، موجه لكل من يرغب فيه بغض النظر عن العمر ، المكان
و الزمان و مستعملة الوسائل المتاحة ، كالثائق المطبوعة ، الإذاعة و التلفزيون،

فأنشأ المركز الوطني للتعليم المعجم و المتمم بالمراسلة عن طريق الإذاعة و التلفزيون
بمقتضى الأمر رقم 69-67 المؤرخ في ربيع الأول عام 1389 الموافق لـ 22 ماي سنة
1969 و هي مؤسسة عمومية تتمتع بالشخصية

المعنوية و الاستقلال المالي . مهمته الأساسية توفير التعليم بواسطة المراسلة و
الوسائل التقنية السمعية و البصرية للأشخاص الذين لا يمكنهم أن يتابعوا الدروس في
إحدى المؤسسات المدرسية أو الجامعية و الذين هم مقيدون في مؤسسة تعليمية و يريدون
أن يحسنوا معارفهم مع تنظيم دروس اللغة العربية لكي يتقدم التعريب بكيفية سريعة و
تنظيم كل تعليم تكميلي أو نوعي في إطار التنقيف الاجتماعي . فالمركز سمح لآلاف من
المواطنين على اختلاف أعمارهم من متابعة دراستهم باستعمال وسائل تعليمية مختلفة ،
كالوثائق المطبوعة ، السمعية البصرية كالإذاعة و التلفزيون ، تنظيم و تخصيص
حصص تنشيطية لفائدة الطلبة ، يلتقون من خلالها بالأساتذة في قاعات خاصة حيث يتم
إزالة الغموض و اللبس على بعض الدروس المستعصية وفتح مجال المناقشة و الحوار و
توجيه الطلبة توجيهها سليما، كما استعملت بعض الجرائد كجريدة المساء لنشر التمارين
و حلولها في مواد مختلفة مع الإشارة إلى أن المركز يضمن التعليم للطلبة من السنة

السابعة أساسي) أولى متوسط حاليا) إلى السنة الثالثة ثانوي في مختلف الشعب و الفروع و ضمان التكوين لأصناف متباينة ، تقنية وإدارية وتربوية لتأهيل المترشحين لاجتياز الامتحانات و المسابقات المتعلقة باختصاصاتهم المهنية المختلفة و لأداء هذه المهمة و الوصول إلى جمهور عريض من الطلبة على المستوى الوطني ،استحدثت مراكز جهوية على مراحل مختلفة ؟ كان أولها مركز الجزائر العاصمة عام 1983 وآخرها مركز الجلفة عام 1999 - ووصل عددها حاليا إلى عشرين مركزا إضافة إلى مطبعة - تأسست عام 1987 تقوم بطبع كل الوثائق التي يحتاجها المركز.¹ و للتمتع بالاستقلالية أكثر في تسجيل الدروس تم تأسيس مخبر سمعي بصري في فيفري عام 1987 لإنتاج الوثائق السمعية البصرية .

ونظرا للتغيرات التي حدثت على المستوى العالمي و تأثير ذلك على الجزائر كان لزاما مواكبة العصر خاصة مع الثورة العلمية والتكنولوجية التي أصبحت تميز عصرنا ، حوّل المركز الوطني للتعليم المعجم و المتمم بالمراسلة عن طريق الإذاعة والتلفزيون إلى الديوان الوطني للتعليم والتكوين عن بعد بتاريخ 12 رجب عام 1422 هـ الموافق لـ 30 سبتمبر 2001 م قصد توسيع مهامه و تنويعها وتطوير وسائله باستعمال تقنيات تكنولوجية عصرية فمن بين المهام الأساسية للديوان، المساهمة في الحد من ظاهرة التسرب المدرسي، بتنظيم حصص دعم دروس استدرابية لفائدة التلاميذ الذين هم في حاجة إلى دعم تربوي خاص ، منح تعليم لفائدة الأشخاص المسجونين وتحضيرهم لمختلف الامتحانات والمسابقات وترقية تعليم اللغة العربية لفائدة الجالية الجزائرية المقيمة في الخارج ، كما يعمل على تنظيم أيام دراسية وملتقيات وندوات وطنية ودولية تتناول القضايا التي تدخل في مجال اختصاصاته والمشاركة فيها ومن ذلك تنظيمه الصالون الأول من 27 إلى 30 سبتمبر بالمركز الجهوي للجزائر العاصمة كان موضوعه : " أبواب مفتوحة حول استعمال تكنولوجيات الإعلام والاتصال " والصالون الثاني

¹ تعميم التعليم <http://www.onefd.edu.dz/html/historique.htmlk> 2008/05/24

أيام 15، 16، 17 أفريل في المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة، تناول موضوع : " إدماج تكنولوجيايات الإعلام والاتصال في نشاطات التعليم والتكوين " . وبغرض تحقيق هذه المهام ، أحدثت هيكلية جديدة للديوان وأوجدت أقسام أخرى تتماشى الاحتياجات العصرية للتعليم عن بعد منه أقسام تكنولوجيايات الإعلام والاتصال¹ وفي هذا الإطار تم تدعيم وتحديث أجهزة قسم تكنولوجيايات الإعلام والاتصال وفي هذا الإطار تم تدعيم وتحديث أجهزة الإعلام الآلي التي سمحت بترقيم وثائق الديوان الإدارية و التربوية إذ أنتجت أقراص مضغوطة موجهة للطلبة لتدعيم الوثائق المكتوبة وإحداث موقع ويب خاص بالديوان . وقد شرع الديوان في الآونة الأخيرة في عملية " التعليم 100 % على الخط من خلال وضع أرضية تعليمية على الإنترنت وبهذا الخصوص تم تسجيل مجموعة من الطلبة لمزاولة دراستهم بهذا الشكل الجديد على أن تعمم في المستقبل العصرية و التكنولوجية ووضعها في خدمة الطلبة و كل راغب في التعليم والتكون عن بعد .

¹ تعميم التعليم ،المرجع السابق نفسه .

7 التحديات التي تواجهها المدرسة الجزائرية:

التحديات التي تواجهها المدرسة الجزائرية والتي ستواجهها على المستويين البعيد والمتوسط تتمثل في

وضع فلسفة تربوية مستندة إلى الواقع والقيم الإسلامية

تحديد الأبعاد التربوية على أساس الفلسفة التربوية المختارة وعلى أساس المشروع الاجتماعي المراد بناؤه في إطار تواصل حضاري يراعي الأبعاد الزمنية (الماضي، الحاضر والمستقبل) والمكانة العملية للتربية،

تبني منهجية علمية في التقويم التربوي والتفسير التربوي في فترات زمنية مدروسة ومتفق عليها مسبقا بحيث تكون هذه المنهجية قائمة على البحث العلمي وليست قائمة على قرارات فوقية تتغير بتغير الوزارات والحكومات مما يخضع العملية التربوية للانتماآت الأيديولوجية والأهواء الشخصية

الاهتمام بمرحلة نمو الطفل ما قبل المدرسة وحث الآباء والأمهات على أداء دورهم ودورهن التربوي وتجديد الدور التربوي لرياض الأطفال بحيث تهئ هذه المرحلة الطفل للدخول المدرسي على أحسن وجه

متابعة المشاكل التربوية الأساسية في المدن لتكوين المعلمين وتحسين وضعيتهم المادية وترقية مستواهم باستمرار دراسة عوامل ضعف المستوى والتسرب وغير ذلك من المشاكل التربوية دراسة قائمة على البحث العلمي ، معالجة مشكلة انتشار الأمية

التوفيق بين تعميم التعليم وتحقيق النوعية وتوفير التكوين المهني وتنمية المعارف التكنولوجية وتربية المواهب والقدرات وتوفير الكتاب المدرسي الملائم محتوى وشكلا وكما ونوعا وإعطاء نفس الفرص لجميع الأطفال لمواصلة الدراسة في مختلف المراحل مها كانت انتمااتهم الطبقية والسياسية

تعليم المرأة: القصد من الدعوة إلى تعليم المرأة هو تثقيفها فالتعليم وحده لا يكفي في إعطائها حقها المطلوب لتختار مسار حياتها دون ضغوط من أي جهة فكما ان المرأة لا ينبغي ان تكون خادمة لا تستطيع ان تأمر وتنهى ولا تعني أنها تكون خادمة وأمة للرجل تطيعه طاعة عمياء حتى ان خالف ذلك مصلحتها ومصلحة أسرتها هنا يجدر الإشارة إلى انه لا يجدر بها اخذ مكان الرجل وإنما الموازاة بين حقوقها وواجباتها أمر ضروري للمرأة هنا لا تحتاج إلى التعليم فقط لكن تحتاج إلى تربية سليمة وأجواء أسرية نقية والى ثقافة إسلامية متكاملة تشعرها بدورها ورسالتها نحو دينها وأسرتها ومجتمعها وتجعلها مستعدة لمواجهة تيارات التغريب المختلفة وإلا ليس من الضروري أن تحصل كل نساء الجزائر إلى شهادة في علم من العلوم فقد تكون موهبة البعض منهن ي أشياء أخرى وقد تضيع إمكانية الاستفادة منها والحصول على شهادة دون وعي للمسؤولية التي تحملها هذه الأخيرة تجعل منها نفاقا وخيانة للأمانة .

تكامل دور وسائل لإعلام وخاصة التلفزة مع دور المدرسة والأسرة في إثراء العملية التربوية في مختلف أطوار ومراحل التعليم

ضرورة الاهتمام بالمنهجية وبمحتوى البرنامج عند وضع برامج التغيير التربوي

ومهما يكن المدرسة الجزائرية في حاجة إلى بحوث ودراسات علمية جادة ليست لنقد الواقع فقط وإنما لاقتراح البديل في مختلف المستويات والمراحل

واقترح البديل لا يكون من شخص واحد مهما كان عالما ولا بوضع قرارات سياسية فوقية مهما علت ، وعليه فان الأمر يحتاج الى تعاون الباحثين في مختلف الاختصاصات (علم النفس علوم التربية اللسانيات ،الارطفونيا...الخ) وكل المهتمين بالعملية التربوية وكل الأطراف المشاركة في هذه العملية الهامة (الأسرة ، المدرسة ، وسائل الإعلامالخ وأخيرا فان مستقبل المدرسة لا يمكن ان يحدده الا مضمون الفلسفة التربوية الذي يحمله المشروع الاجتماعي الذي تريد الأمة تحقيقه على ان تحول هذه الفلسفة التربوية

إلى نظرية تربوية علمية وهذه النظرية إلى مناهج قابلة للتطبيق علما وممارسة وفقا طرق
تربوية مدروسة

وإذا كان المجتمع بكل فئاته ومؤسساته مدعوا للمشاركة في بلورة هذه الفلسفة
بالحوار والاهتمام بميدان التربية والتعليم فان مفكري هذه الأمة وباحثيها ورجال علمها
مدعوون أكثر من غيرهم للتعاون لإجراء البحوث التقنية والتطبيقية لبناء منظومة تربوية
بعيدة عن الأهواء وتصارع المصالح وعن هيمنة منطق القوة في فرض القرارات في
المجال الاستراتيجي ولا شك ان هذا التعاون هو الذي سيجيب عن السؤال المطروح هو
اين تتجه المدرسة الجزائرية عقائديا وعلميا بيداغوجيا وعمليا¹؟

¹ مصطفى العشوي ، المدرسة الجزائرية إلى أين ؟ ، الديوان الوطني لمطبوعات الجامعية ، 1998 ، ط1 ، ص

المجال الجغرافي للدراسة

تقع بلدية الدبيلة في الشمال الشرقي ولاية الوادي على بعد حوالي 2 كم من عاصمة الولاية وتتربع على مساحة 78 كم مربع، تحدها شمالا بلديتي حاسي خليفة والمقرن ومن الجنوب الطريفاوي وحساني عبد الريم ومن الشرق حاسي خليفة والطريفاوي ومن الغرب حساني عبد الكريم وسيدي عون

أسسها الشيخ علي بن خزان رحمه الله تعالى خلال رحلاته في القرن الثاني عشر الهجري حوالي 1090 و 1100 هـ، وذلك أن الشيخ رحل الى بلاد المغرب واستوطن بها ورحل إلى بلاد الجريد بتونس، ثم منها رحل إلى بلاد سوف وعمر بها في بلدة البهيمية القديمة الزرقم - ثم خرج إلى بلاد الدبيلة الجنوبية شرقي بلاد الزرقم وبنى منزلا بها، وشرع في خدمة النخيل فاعتدى عليه جماعة من بلاد الزرقم وهم أربعين نفرا تعصبا وحمية فعقروا ناقته وافسدوا حرثه فانتقل إلى ارض حاسي خليفة وعمر بها وبنى موضعا للعبادة وشرع في خدمة النخيل ثم قصد الخروج من ارض سوف بالمرّة وغادرها متوجها إلى الشرق حتى وصل إلى صحن بري المعروفة بشرقي حاسي خليفة فنودي أن ارجع العمارة إلى عمار ورجع إلى جهة الغرب مسافة من السير ونزل في الدبيلة العامرة وهناك حفر بئر وبنى الجامع وبيته المعروف بزاوية الشيخ علي بن خزان الآن ، واستمرت في الاستعمار تابعة الى بلاد سوف إلى أن بعث إليها القائد الفرنسي بأمر تعيين القايد محمد كقائد عربي تابع للحكومة الفرنسية وذلك سنة 1870 ،ومن هذا التاريخ أصبحت تابعة إلى حكم فرنسا وفي سنة 1952 قرر السكان بناء أول مدرسة رسمية لتعليم الصغار وكادت ان تقع معارك شديدة بين سكان الدبيلة وسكان الدر يميني عليها إلا أن الله ألهم الشيخ الطاهر علال إلى حل سلمي، وهو بناؤها بين القريتين بنفس المسافة وظلت هذه المدرسة تؤدي دورها تحت إشراف معلم ومعلمة فرنسيين إلى أن حولها القائد الفرنسي بريدو إلى مركز عسكري في جويلية 1954، وكان بريدو هذا معروفا بغلظته وفضاضته وشدة تعذيبه للمواطنين وقد قتل الكثير من المواطنين ومن المشاهير المعروفين بالعلم والصلاح ومن أهم هؤلاء احمد خزا زنة وبما ان الشعب السوفي كغيره من إخوانه الجزائريين لا يرضى الظلم فقد ثار عليه وأراه أعظم هزيمة عرفها الاستعمار في المنطقة وهو ما أكدته

التقارير الفرنسية في 20 اوت 1955 حينما أكدت ان الثورة الجزائرية المسلحة في توسع دائم عن الحركة التي قام بها المجاهدون في هود شيكة بالديبيلة الوادي في أوائل شهر أوت 1955 انطلاقا من الحدود الشرقية لأوراس النمامشة بقيادة محمد لخضر ومقداد جدي وثلة من خيرة المجاهدين ، وذلك في تأكيد لامتداد الثورة من الجنوب القسنطيني الى الحدود الشرقية الى الحدود الليبية ، ولما علم بريدوا ان اعتداه على حرمة المدرسة كان بمثابة القطرة التي أفاضت عليه كاس غضب المواطنين وفي محاولة منه لتطوير عملية قمعه للمجاهدين وامتصاص غضب الرأي العام قام ببناء مركز تعذيب خاص ، هو مركز البلدية القديمة وانتقل إليه في 1958 ليعيد مدرسة الدريميني الى عملها وفي هذا العام ترأس ديغول الجمهورية الفرنسية وعزل بريدو في محاولة منه لامتصاص غضب الشعب ، وهي السياسة العامة لاستعمار الفرنسي وبهذا رجع الهدوء الى المنطقة وعينت بلدية الديبيلة كبلدية ام تضم جميع مناطق الشمال الشرقي لولاية الوادي الى ان استقلت البلاد وبقيت على هذه الحالة الى سنة 1974 ، وفي ظل الثورة الزراعية نظام الاشتراكي استفادت البلدية من قرية فلاحية سميت اكفادوا وحضيت بزيارة من رئيس الجمهورية هواري بومدين وبقيت البلدية أما لكل الجهة الى أن جاء التقسيم الإداري 1984 حيث انفصلت عنها ست بلديات هي : حساني عبد الكريم نحاسي خليفة ، المقرن ، سيدي عون ، الطالب العربي ، بن قشة ، فبقيت البلدية كما هي عليه الآن تضم :

تجمع حضري رئيسي الديبيلة وبه 14 مقاطعة

تجمع حضري ثانوي الجديدة وبه 8 مقاطعات

تجمع حضري وبه 3 مقاطعات

منطقة مبعثرة وبها مقاطعتين

وبلغ عدد سكانها في إحصاء 1998 العدد التالي :
جدول رقم 13 يبين عدد سكان البلدية في إحصاء 1998

10121	ذكور
9938	إناث
20059	المجموع

أما في إحصاء افريل 2008 فقد بلغ عدد سكانها كالتالي
جدول رقم 14 يبين عدد سكان البلدية في إحصاء 2008

المجموع	إناث	ذكور	المنطقة
12034	6396	5638	الدبيبة
7308	3606	3702	الجديدة
3512	1732	1780	الدريميني
1267	593	674	المناطق المبعثرة
25121	12372	12764	المجموع

أصل سكان المنطقة : يعد سكان المنطقة الأصليون هم من أبناء الشيخ علي بن خزان الذي هو الشيخ علي بن خزان بن عمر بن إلي أن يصل إلى إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله بن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ذكرنا قصة مجيء أبيهم إلى المنطقة ويجاورهم عرش الربيع وهو كما يقض عنه انه من أصول يمنية ترجع إلى قبيلة ربيعة اليمنية الساكنة شمال اليمن جلبهم طلب الكأ والماء الى ارض تونس أين حدثت لهم حادثة الظلم مع عرش الهمامة وخرجوا متوجهين الى الغرب إلى ان وصلوا عين ملح بقرب مدينة المسيلة وهناك أصابهم وباء الطاعون مما أجبرهم على الرجوع شرقا الى ان استقروا في هذه المنطقة ويرجع النسب ان جد الربيع له صلة قرابة كبيرة مع الشيخ علي بن خزان مما ساعد على الائتلاف بين العرشين ويمثل العرشان السابقان الأغلبية الساحقة من سكان المنطقة بالإضافة إلى بعض المصاعبة والفرجان الذين يأتون في المرتبة الثانية بعدهما أما في المرتبة الثالثة فيأتي بعض الشاوية والمامشة (سكان الظهرة) كما يسميهم السوافة الذين سكنوا المنطقة بحثا عن العمل

التعليم الرسمي في الدبيلة منذ ان أسس الشيخ علي بن خزان مسجده كان زاوية ومنارة تخرج منها العديد من رجالات العلم في المنطقة ،كما كان بجانبه العديد من المساجد في المنطقة الى ان تقرر بناء مدرسة رسمية وكان وقتئذ يوجد تجمعان سكانيان هما الدريميبي والدبيلة الشرقية فوق نزاع بينهما على احتضان المدرسة وعندها تدخل الشيخ الطاهر علال بان قرر بناءها في منتصف المسافة بينهما في منطقة الدبيلة المركزية حاليا ،وسماها مدرسة الدريميبي وذلك سنة 1952 ولم تبدأ عملها الا في فيفري 1954 الى جوان 1955 حيث حولها بريدوا إلى مركز عسكري كما سبق و ان ذكرنا الى ان بنى مركز خاص في أوت 1958 وفي أكتوبر 1958 رجعت المدرسة إلى مهمتها في التعليم ،وكانت هذه المدرسة تضم كل أبناء الجهة إلى ان تم بناء مدرسة لمقدم علي في الجديدة وبناء ملحقة كفرع تابع للمدرسة في الدريميبي تابع لإدارة هزلة خليفة مدير مدرسة الدريميبي في الدبيلة سنة 1973/1974 وفي العام الموالي انفصلت بإدارتها تحت إشراف علي شيخة مبروك وفي سنة 1976/1977 قام المدير الجديد عبد المالك هبله بجمع هيئة من الشعب وحثهم على بناء أقسام متوسطة لتخفيف عناء التنقل عن التلاميذ الذين كانوا يتوجهون الى الوادي للدراسة في المتوسطة وتم له ذلك وكلف عليها أستاذ متابع هو عشيري عبد الله وحثهم كذلك على بناء معهد إسلامي وتم له ذلك في نفس السنة وعين على إدارته عز الدين عباسي وعين له كل من لمين بية ولخضر بادي كاتيبين وكانت الدراسة في هذا المعهد تتوج بشهادة الأهلية الأصلية وكان يشرف على التدريس فيه مصريين وفلسطينيين وسوريين وكان الأستاذ قاسمي محمد أستاذ فرنسية فيه وفي المتوسطة وفي مركز الدروس الليلي الذي كان يزاوول دروسه في تعليم الكبار وتتويج دراستهم بشهادة تضمن لهم الدخول في امتحان الأهلية الأصلية الذي تقيمه المتوسطة إلى ان جاء الأمر بإغلاق كل من المركز الليلي والمعهد الإسلامي في سنة 1981/1982

وفي عام 1980/1981 انفصلت المتوسطة عن الابتدائية واستقلت بإدارتها تحت إشراف الساسي مناني في مبنى الثانوية الحالي ،ولما استفادت البلدية من فرع ثانوي عام

1985/1984 نقلت المتوسطة الى مبنى المعهد الإسلامي سابقا وشغلت الثانوية مكانها الحالي وفي العام الموالي استقلت بإدارتها .
وهكذا تطور التعليم الرسمي في البلدية إلى أن وصل في العهد الحالي إلى :15 ابتدائية ،
3في الديرمني و 2 في الجديدة و10 في الدييلة و4 متوسطات وثانوية ومتقنة .

مجتمع الدراسة وخصائصه:

- وهم كل خريجي الجامعة في بلدية الدبيلة وكان اختيارنا لان يكون مجتمع الدراسة من خريجي الجامعة لأسباب نذكر منها :
- أنهم الفئة التي أكملت دراستها الاجتماعية ، وبالتالي فجميع من ستقدم لهم صحيفة الاستبيان مروا بمعظم مراحل التعليم .
 - أنهم الفئة الأقدر على إعطاء آراء دقيقة .
 - إنهم يشغلون مراكز في المجتمع وموزعون على كل طبقات المجتمع .
 - أن اغلبهم قد مروا أثناء تحركاتهم الاجتماعية بالعديد من الأدوار والمراكز الاجتماعية مما يعطيهم الميزة عن غيرهم في الخبرة والتجربة .
 - أنهم الأقل عددا من غيرهم بحيث تكون تغطيتهم أكثر دقة من غيرهم من المتدرسين الذين يعدون بالآلاف محليا .

حجم العينة وكيفية اختيارها

حجم العينة 70 خريجا جامعيًا أتموا دراستهم الجامعية رجالا ونساء موزعين على كل مناطق البلدية وعلى كل فئات المجتمع

كيفية اختيارهم بما ان عدد الخريجين في المنطقة من الصعب معرفة عددهم بدقة بالرغم أنهم الأقل عددا في الفئات المتعلمة ، وذلك لعدم وجود جهة معنية بإحصائهم فإنني اعتمدت في اختيارهم طريقة العينة العنقودية ، وهذه الطريقة تعتمد على تعيين عمدي لأول خطوة في اختيار العينة بتقسيم البلدية إلى ثلاث مناطق ثم تقسيم المناطق إلى جهات ثم اختيار اثنان او ثلاثة من أبناء الجهة ممن تنطبق عليهم شروط العينة التي سأقوم بإجراء الدراسة عليها وبدورهم كل واحد يعرفني على عدد من الخريجين حتى انتهيت إلى عدد الخريجين وهو 70 وقد اعتمدت على هذه الطريقة لعدد من الأسباب اذكر منها :

- (1) محاولة تغطية وتوزيع عدد الخريجين على كل مناطق البلدية
- (2) تسهيل عملية الاتصال بالإناث فان المنطقة محافظة وأكثر الخريجات يتواجدن في المنازل وبهذا يصعب علينا الاتصال بهن

(3) عدم معرفتنا لكل الخريجين كما أسلفنا لعدم وجود جهة تحصيلهم
جدول رقم 15 يبين توزيع مفردات العينة على مناطق البلدية

المنطقة	عدد مفردات العينة
منطقة التجمع الحضري الرئيسي	39
منطقة التجمع الحضري الثانوي	30
منطقة التشتت	1
المجموع	70

جدول رقم 16 يبين جنس أفراد العينة

الجنس	رجل	مرأة
العدد	40	30

جدول رقم 17 يبين أعمار أفراد العينة

العمر	العدد
25 — 22	30
29 — 26	30
30 فما أكثر	10

جدول رقم 18 يبين نوعية تكوين أفراد العينة

نوعية التكوين	العدد
أدبي	29
علمي	27
تكنولوجي	14

4 المنهج المستخدم

المنهج

يعني طريقة أو نظام كما تعني كلمة منهج *méthode* لغويا كيفية أو طريقة أو فعل أو تعليم شئ معين وفقا لبعض المبادئ بصورة مرتبة ومنسقة .

أما اصطلاحا فهو فن للتنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة إما من اجل الكشف عن حقيقة نكون بها جاهلين أو من اجل البرهنة عليها حين نكون بها عارفين¹

المنهج الوصفي التحليلي ويهدف إلى وصف موقف أو مجال معين بصدق ودقة من أمثله الدراسات الإحصائية للسكان ،مسح الرأي العام²

وتتميز الدراسات الوصفية بأنها :

أ) وصفية كمية او وصفية كيفية لإحدى الظواهر المختلفة وذلك بهدف التعرف على خصائصها وتركيبها .

ب) أنها تهتم بالتدقيق بالعوامل المختلفة المؤثرة في الظاهرة ويمكن ان تتضمن فروضا مبدئية تربط بين بعض المتغيرات³ .

كيفية استخدام المنهج على الدراسة

وقد بدأت هذه الدراسة بدراسة استطلاعية حيث توفر جمع ما يفوق الثلاثين خريج جامعي ومحاولة معرفة أحوالهم ومستوى معيشتهم ،وهم موزعون على كل مناطق ومقاطعات البلدية وتم ذلك من يوم 5الى 13 افريل 2008 وذلك بالتنسيق معهم في مساعدتنا على توزيع وجمع الاستمارات على كل أفراد العينة في المرحلة التالية من الدراسة الميداني⁴ ، وفي المرحلة الثانية تم القيام بمحاولة جمع بعض المعلومات التاريخية عن المنطقة وعدد سكانها وطريقة عيشتهم وأصولهم في محاولة منا لرسم فكرة وجيزة عن طريقة حراكهم الاجتماعي من خلال السلم التدريجي لفئات المجتمع

¹ عمار عوابدي ، مناهج البحث العلمي وتطبيقاتها في ميدان العلوم لقانونية والإدارية ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،افريل 1987.ص139

² عبد اله عصار ، محاضرات في منهجية البحث الاجتماعي ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1982،ص45.

³ نفس المرجع ،ص42.

⁴ وكان ذلك في فترة تكوينية لإجراء عملية الإحصاء السكاني للبلدية الدبيلة 5-2008/04/15.

وبعد أن تبلورت فكرة عن البناء الاجتماعي للمنطقة وفكرة عن المتعلمين فيها وهي مرحلة استطلاعية من مراحل الوصف تم القيام بإجراء دراسة أولية لربط العلاقة بين التعليم والبناء الاجتماعي والتحرك في سلم الفئات باستمارة تجريبية، وقد ذكر ذلك في كيفية تصميم الاستمارة وبعد جمع هذه الاستمارات التجريبية وعرضها على بعض الأساتذة المحكمين تم القيام بإعادة صياغتها بطريقة مصححة ومنقحة وتوزيعها بالطريقة التي اخترنا بها العينة وبعد شهر قمنا بجمعها وتبويبها وجدولتها وترميزها أو ما يسمى بعملية الوصف الإحصائي، بعد هذا تم تفسير هذه النتائج التي توصلنا إليها مستعينين في ذلك ببعض النتائج للدراسات السابقة و إرجاع النتائج إلى واقعها الاجتماعي .

5 أدوات جمع البيانات

الاستمارة :وهي مجموعة من الأسئلة التي تتعلق بموضوع البحث الذي ينوي الباحث أن يقوم به ،وتشمل ورقة الاستبيان عادة أنواعا من الأسئلة منها المفتوحة التي يجيب عنها المسؤل بحرية ،ومنها المغلقة التي تقيد الشخص المبحوث متبعا الاحتمالات المعطيات له ،وتعد الاستمارة من أهم الطرق وأكثرها انتشارا في جمع البيانات واستقصاء المعلومات من مصادرها ، فهي تساعد على جمع معلومات جديدة مستمدة مباشرة من المصدر ،وان الهدف من الاستمارة في ها لبحث هو استكمال المرحلة الأخيرة من البحث

كيفية تصميم الاستمارة

من المعلوم ان الاستمارة تصمم بناء على الفرضيات المطروحة التي هي في نفس الوقت إجابة عن التساؤلات المطروحة في الدراسة النظرية للبحث وانطلاقا من هذه المسلمة قد تم القيام بتفريع كل من الفرضيتين اللتان قد صيغتا كإجابتين افتراضيتين للسؤالين اللذين هما :

هل هناك علاقة بين التعليم والحراك الاقتصادي ؟

هل هناك علاقة بين التعليم والحراك الثقافي؟

وقد تم تقسيم الفرضية الأولى التي هي : هناك علاقة بين التعليم الرسمي والحراك الاقتصادي الى العديد من المؤشرات هي : الدخل ،المستوى المعيشي ،البطالة الفقر ، الرفاهية الاقتصادية ، ترشيد الاستهلاك ،سوق العمل ،الترقية في المهنة ، وحاولت صياغة أسئلة متعلقة بعلاقة هذه المؤشرات بالتعليم الجامعي ، وقد ركزت على التعليم الجامعي بصفته خلاصة التعليم وهو المرحلة التي يكون فيها التخصص المهني وهو كذلك مرحلة الربط بين الحياة التعليمية والحياة العملية الاجتماعية

و كذلك قسمت الفرضية الثانية التي هي : هناك علاقة بين التعليم الرسمي والحراك الثقافي الى العديد من المؤشرات التي تمثلت في الشعور بالمسؤولية ،تحسين أوضاع المرأة تفتح المجتمع على العالم عمل النساء ، تكامل عمل المرأة داخل وخارج البيت ،المجتمع المدني وعلاقته بالتغيير ، العنف ، النزوح الريفي ، والتحضر وتغير القيم و سن الزواج -

وقد تم صياغة أسئلة تمس العلاقة بين هذه المؤشرات والتعليم وكان التركيز في هذا المحور من الأسئلة على المرأة لكونها العمود الفقري للمجتمع ،وهي منطلق الثقافة وهي الركيزة الأساسية للتغيير

وبعد أن تمت صياغة هذه الأسئلة تم القيام بتوزيع 10 نسخ منها كاستمارة تجريبية قي شهر ابريل 2008 وبعد أسبوعين تم القيام بجمعها وتغيير يخص الأسئلة التي كان فيها بعض الغموض وبعد ذلك طرحها على العديد من الأساتذة المحكمين والذين بدورهم قاموا بتصحيح بعض نقاط الغموض التي يمكن ان تعيق فهم المبحوث للأسئلة التي ستطرح عليه مما يصعب عليه الإجابة عنها بكل صراحة

وقد دام هذه التصحيح الى أواخر جوان 2008 حيث تم القيام بصياغة نهائية لمتن الاستمارة ونسخ 100 نسخة عنها وتنظيمها وترتيبها وتقسيمها على عدد المقاطعات وفي أوت 2008 تم القيام بتوزيعها وبدأ جمعها في آخر الشهر مراعيان ان يكون بين موعد التسليم وموعد الاستلام مدة شهر وبعد جمع الاستمارات وجد انه قد رجع منها 70 استمارة .

6) الأساليب الإحصائية

المتوسط الحسابي

تعريف الوسط الحسابي :

هو القيمة التي لو حلت محل كل قيمة كل مفردة في المجموعة لكان مجموع هذه القيم مساوية لمجموع القيم الأصلية .

وبلغة بسيطة هو مجموع القيم مقسوماً علي عدد تلك القيم

$$\text{الوسط الحسابي} = \frac{\text{مجموع القيم}}{\text{عددها}}$$

خواصه :

- 1- انحراف الدرجة عن المتوسط يساوي بعدها عنه .
- 2- المجموع الجبري لانحرافات الدرجات عن متوسطها الحسابي يساوي صفراً .
- 3- إضافة قيمة ثابتة إلى الدرجات أو طرحها منها أو ضربها فيه أو قسمتها عليه مما يجعل المتوسط الحسابي يزداد أو يقل بقيمة ثابتة .
- 4- المتوسط الحسابي يتأثر بالدرجات القريبة منه تأثراً قليلاً ، بينما يتأثر بالدرجات البعيدة عنه تأثراً كبيراً .
- 5- يتأثر المتوسط الحسابي بعدد الدرجات ويميل إلى الاستقرار كلما كان هذا العدد كبيراً .

الحالات التي لا يصلح المتوسط الحسابي فيها :

- 1- عندما تكون قيم التوزيع متجمعة في طرف واحد أكثر من الطرف الآخر .
- 2- إذا كانت هناك قيم شاذة تتخلل التوزيع .

- 3- إذا كانت البيانات مبوبة في فئات وكان التوزيع مفتوحاً في أحد طرفيه.
- 4- إذا كانت الفئات متباعدة نسبياً.¹
- الانحراف المعياري للانحراف المعياري** هو مقياس يحدد مدى تباعد أو تقارب القراءات عن وسطها الحسابي .

هو أكثر مقاييس التشتت استخداماً . لبيانات غير المبوبة : إذا كان لدينا ن من القراءات و هي : 1 ، 2 ، ، سن ووسطها الحسابي تكون هذه القراءات متقاربة مع بعضها إذا كانت قريبة من وسطها الحسابي ، أي إذا كانت انحرافات عن صغيرة ، وبالتالي فإنه يمكن استخدام انحرافات القراءات عن وسطها الحسابي كمقياس للتشتت ، ويمكن أخذ متوسط هذه الانحرافات ، وبما أن مجموع انحرافات القراءات لأي بيانات يساوي صفرأ ، لأن بعض الانحرافات يكون موجبا ، و البعض الآخر يكون سالباً ، فتتلاشي قيم هذه الانحرافات مع بعضها البعض ، والانحراف المعياري يأخذ مربع الانحرافات بدلاً من الانحرافات ذاتها أي أن الانحراف المعياري :

وهذا يسمى بالتباين ، والتباين هو مربع الانحراف المعياري .

تعريف 9- الانحراف المعياري هو الجذر التربيعي للوسط الحسابي لمربعات انحرافات القراءات عن وسطها الحسابي .

وعادة يرمز للانحراف المعياري بالرمز s_x ²

¹ خادم العلم المتوسط الحسابي : <http://www.dahsha.com/viewarticle.php?id=27586> 2009/05/20

² إحصاء: مبادئ من ويكي الكتب <http://ar.wikibooks.org/wik> 09/05/21

عرض نتائج الفرضية الفرعية الثانية ومناقشتها

من خلال البند الأول من الجدول رقم 21 نلاحظ ان نسبة القبول لطرح أن التكوين الجامعي له علاقة بتعميق المسؤولية الاجتماعية حيث مثلت بنسبة 65.71% وتلتها نسبة قبول نسبي وهي أحيانا بنسبة 27.14% وفي الأخير كانت نسبة الرفض 7.21% ذلك لان التعليم من أهم مقوماته إنتاج مواطن صالح يعي مسؤولياته حيث أن العلاقة بين المدرسة والمجتمع تكمن في إخراج مواطن صالح يشعر بمسؤوليته الاجتماعية ويقول في ذلك مقولته المشهورة ان المدرسة لا تعمل من اجل الحياة فحسب لكن المدرسة هي الحياة كلها ، وهذه المسؤولية تكمن في تعميق العلاقات مع المجتمع والأسرة وفي دراسة قام بها محمد العيد مطمر على عينة عراقية جاء في احد بنودها هل للتعليم علاقة بتعميق العلاقات مع الأسرة وكانت الإجابة كالتالي 67% نعم و 33% وفي دراستنا هذه يؤكد لنا مدى وجود العلاقة بين التعليم وتعميق المسؤولية الاجتماعية المتوسط الحسابي الذي حصلنا عليه الذي كان 2.3 والانحراف المعياري الذي هو 0.61 والنسبة المئوية الكبيرة في جهة القبول وذلك راجع الى ان التعليم الجزائري حمل العديد من المبادئ والركائز وهي الأصالة والحدثة والعقلانية والفاعلية فهذه الركائز تحمل الفرد على ان يكون له شعور بمسؤوليته الاجتماعية تجاه أسرته ، مجتمعه ، أمته ووطنه وهذا ما يتطابق مع نتائج دراسة محمد العيد مطمر حيث طرح نفس السؤال على عينته فكانت الإجابة 69% نعم و 22% لا و 9% لا ادري ومما سبق نستنتج ان التعليم يعمق الشعور بالمسؤولية .

ومن أهم مؤشرات هذه المسؤولية التي يعمل التعليم على تعميقها في نفوس أبنائه تحسين وضعية المرأة داخل المجتمع وإعطائها كل حقوقها ، ذلك انه من أهم المواضيع التي تناقش اليوم على الساحة الاجتماعية ، أن على المستوى العالمي او المستوى الوطني او حتى المحلي مسالة تحقيق حرية المرأة ومساواتها للرجل هذه الأخيرة التي تشكل العمود الفقري للمجتمع وهي في الحقيقة مركز تثقيف للشعوب وتربية الأجيال فهي والمدرسة يتعلم فيها المجتمع لهذا وجب العمل على تحسين وضعيتها الاجتماعية وتحقيق مركزها اللائق بها ، ففي العراق مثلا حققت الحملة الوطنية تحرير

أكثر من مليون مواطنة من مخالبا الأمية وجعلها مسئولة عن حياتها وعائلتها ومسئولة مباشرة لها الحق في رفض الزوج الذي يطلب الزواج منها اذا لم تكن مقتنعة به ومن حقها أيضا تطليق زوجها اذا كان هناك مبررات منطقية ومعقولة للطلاق ولا يحق للزوج ان يسحب أطفاله منها إلا في حالات استثنائية وفي دراستنا وجدنا ان 61.43% وهي النسبة الأكبر يجيبون أن تعليم النساء دائما ما يؤدي الى تحسين أوضاعهن الاجتماعية وأجاب 32.86% بأحيانا ولم يرفض هذا الطرح سوى 5.77% بانحراف معياري 0.58 ومتوسط حسابي 2.12 و ويرجع هذا الإجماع الى ان التعليم في الجزائر يحمل على عاتقه تعليم المرأة وتحسين أوضاعها ومساواتها مع الرجل والملاحظ ان المرأة المتعلمة قد تحسن وضعها الاجتماعي وهذا ما يجعلنا نستنتج ان التعليم يؤدي إلى تحسين أوضاعها الاجتماعية لكن ما يجب التركيز عليه هو انه على التعليم ان يقدم خدمة للمرأة وإعادة حقوقها لكي تساهم في بناء المجتمع لانها لا تحتاج إلى التعليم فقط لكن تحتاج إلى تربية سليمة وأجواء أسرية نقية والى ثقافة إسلامية متكاملة تشعرها بدورها ورسالتها نحو دينها وأسررتها ومجتمعها وتجعلها مستعدة لمواجهة تيارات التغريب المختلفة وإلا ليس من الضروري أن تحصل كل نساء الجزائر إلى شهادة في علم من العلوم فقد تكون موهبة البعض منهن في مجالات أخرى وقد تضيع إمكانية الاستفادة منها .

و مما يساعد به التعليم المرأة في تحسن وضعيتها بان يمنحها شهادة كفاءة في القيام بأحد المهن فهل ستكون هذه الشهادة محفزا لها على العمل داخل مجتمع الجنوب الجزائري ؟

يرى 65.71% ن التعليم يشجع النساء على العمل ويرى 30% في احيان يكون ذلك ولم يرفض الطرح سوى 4% ذلك أن المجتمعات الصحراوية اليوم شاهد تغيرا في بنيتها الاجتماعية وذلك بسبب احتكاكها بما يجاورها من مجتمعات وما داخلها من أفكار بواسطة وسائل الإعلام ،هذا ونحن لا ننفي أن المرأة الصحراوية من قبل لم تشارك أخاها الرجل في أعماله إلا أن هذه المساعدة كانت في حدود معينة كان تعيينه في مجال ملكيته الفلاحية أو الرعوية أما التحرك الذي نتكلم عليه اليوم هو أن تخرج المرأة من البيت وتشارك رجلا أجنبيا عليها في العمل ،وفي مجتمعنا قد بدا يتقبل أن تعمل المرأة في مجال التعليم

والطب فان هي خرجت عن هذين القطاعين شذت كما هو حال تلك المرأة التي دخلت مجال العمل في الخراطة¹، إذن من خلال ما سبق نستنتج أن التعليم الرسمي قد شجع المرأة في مجتمع الجنوب الجزائري على العمل، ومما يؤكد ذلك المتوسط الحسابي المرتفع الذي هو 2.32 والذي قد فاق معدل القبول.

ومما يقدمه التعليم للمرأة تنمية مسؤوليتها عن تثقيف أبنائها وأسرتها وكل مجتمعها فلقد ساد اعتقاد عند العديد من الناس هو ان دخول المرأة إلى الأعمال اليدوية والمهنية قد يؤدي الى إهمال شؤون بيتها وأطفالها وزوجها وعملها خارج البيت وبعد حصولها على قسط من التعليم والثقافة قد يسيء الى تربية أطفالها وذلك لأنها تتركهم دون وجود من يرعاهم وهذا قد يسبب لهم العديد من المشاكل وفي دراسة أجريت على عينة عراقية للتأكد من هذا الاعتقاد أجاب 35% لا و45% نعم وأجاب 20% أنهم لا يعرفون وذلك أن المرأة المتعلمة تحاول ان تؤثر تأثيرا إيجابيا على ثقافة أطفالها وفي دراستنا نحن وجدنا أن 76.57% أجابوا انه دائما ما تكون هناك علاقة بين تعليم المرأة ومستوى ثقافة أطفالها وأجاب 20% انه أحيانا ما يتحقق هذا الطرح ولم تكن نسبة الرفض إلا 1.43% مما يؤكد لنا استنتاج ان تعليم له علاقة بمستوى ثقافة أطفالها ومما يؤكد لنا هذا الاستنتاج أيضا الانحراف المعياري الذي تحصلنا عليه وهو 0.97 والمتوسط الحسابي المرتفع عن معدل القبول والذي كان 2.77 وهو ما يدل على ان أكثر إجابات المدروسين في جهة الإقرار بوجود تلك العلاقة الإيجابية.

ومما يقدمه التعليم كذلك للمرأة الجزائرية جعلها محورا من محاور التثقيف والتفتح داخل مجتمعها ، ذلك انه من أهم أهدافه هو إنتاج ذهنية متفتحة على ثقافات العالم وجعل لمواطن متفتحا مسائرا لكل الثقافات في العالم ومن أهم من ركز عليهم في ذلك المرأة ، وذلك بتحريرها من قيود المجتمعات التقليدية فهي الأم المربية في البيت والمعلمة في المدرسة والزوجة المرشدة والأخت الناصحة ولمعرفة مدى علاقة التعليم عموما بنشر ثقافة العالم داخل المجتمع وتفتح هذا المجتمع على ثقافات العالم الأخرى نقف على نتائج

¹ المرأة هي احد بنات بلدية الدبيلة، عرضت في حصة من واقعا على التلفزيون الجزائري افريل 2008 وهي من خريجات جامعة بسكرة صناعة ميكانيكية، والباحث يعرفها معرفة شخصية .

دراسة لفضيلة دروش جاء في احد بنودها هل تؤمن بالثقافة العالمية ؟ فكانت الإجابة كالتالي : نسبة 78.20 % ذكور نعم 21.78% لا و 83.87% إناث نعم 16.12% لا وهذا يبين ان الإناث أكثر إيمانا بالثقافة العالمية وخاصة اذا كن على قدر من الثقافة والتعليم وذلك ان الثقافة تفتح لهن أفقا عاليا ومستقبلا زاهرا وفي دراستنا نحن نجد ان 51.43% يجيبون انه دائما ما يؤدي تعليم المرأة إلى تفتح المجتمع على ثقافات العالم المختلفة وأجاب 35.71% انه أحيانا ما يتحقق هذا الطرح ولم يبق الا 16.12% رفضوا هذا الطرح ومما يؤكد لنا هذه النتيجة المتوسط الحسابي الذي حصلنا عليه وهو 2.38 ، ومن هنا نستنتج ان تعليم المرأة يؤدي إلى تفتح المجتمع على ثقافات العالم الأخرى ولكن ما يجدر الإشارة إليه هنا هو ان الطالبات او المتعلمات في منطقة الجنوب الجزائري يملن الى التفتح على الثقافات الشرقية الإسلامية مثل ثقافة الجزيرة العربية والشام .

ومما يقدمه التعليم للمرأة الجزائرية معرفة المعادلة القائمة على داء الواجبات ثم المطالبة بالحقوق فان من لم يستطع ان يؤدي واجباته كاملة فليس من حقه ان يطالب بحقوقه كاملة وبما ان المرأة المتعلمة لها الحق في العمل خارج البيت كان واجبا عليها ان توفق بينه وبين عملها داخل البيت فهل يساعد العليم النساء في التكامل بين واجباتهن في العمل داخل وخارج البيت ؟ أجاب 20% انه دائما ما يساعد التعليم في التكامل بين واجبات النساء داخل وخارج البيت وأجاب 47.11% انه أحيانا ما يتحقق هذا الطرح وأجاب 32.86% انه لا يتحقق هذا الطرح أبدا وتفسير هذا أن الفرد في مجتمعات الجنوب الجزائري وخاصة في منطقة صحراوية قروية من الصعب ان يتقبل ان المرأة تستطيع ان توفق بين العمليين داخل وخارج البيت ذلك لان هذه المجتمعات أعباؤها المنزلية كبيرة ولا يمكن ان تقس على المجتمعات المتحضرة التي تعيش في المدينة وكما يقول محمد السويدي " ان أي محاولة للتغيير الثقافي في أي مجتمع ريفي ينبغي أن تركز على فلسفة الترابط بين الإنسان والأرض والحيوان في هذا المجتمع وعدم معالج جانب منها بعيدا عن الجانبين الآخرين ذلك ان أي محاولة لتعديل الأفكار والعادات والقيم توجه إلى الإنسان بمعزل عن بقية العناصر الأخرى إنما تحطم الحلقة الأساسية للتغيير الثقافي في الصحراء .

مما سبق يمكن ان نستنتج ان التعليم ليس له علاقة في توفيق المرأة بين واجباتها في العمل والبيت في مجتمع الجنوب الجزائري

يرى بعض السوسولوجيين المختصين في الدراسات الريفية أن التضامن والانسجام الاجتماعي الوثيق داخل المجتمعات الريفية قد يجعل من عملية التغيير عملية سهلة وايجابية إلى حد كبير لو أمكن الكشف عن مصدر الإشعاع والتأثير الروحي الأخلاقي والثقافي في هذه المجتمعات، أي فهم طبيعة الجماعات الريفية واحتياجاتها من جهة وتحديد مسارات التأثير والعناية الخاصة التي يمكن توجيهها الى القضايا المتشابهة والقضايا المتباينة في الجماعات الريفية ومما يجدر الإشارة إليه، ان أي تغيير يستهدف القطاع في التأثير المحلي ويتجلى هنا دور رجال الدين وكبار السن والمتقنون المحليون بالإضافة الى رئيس المجلس الشعبي البلدي الذين يشكلون الأداة الأساسية في أي تغيير في الريف

ومن الذين يعول عليهم في حمل هذه القضايا وتحديد مسارات تأثيرها الجمعيات الثقافية والرياضية والعلمية او ما يسمى بالمجتمع المدني فما العلاقة التعليم الرسمي بايجاد مجتمع مدني يساعد على التغيير الثقافي؟ يرى 74.28% انه دائما ما يساعد التعليم على تخريج مجتمع مدني يساعد على التغيير الثقافي ويرى 22.68% انه أحيانا ما يتحقق ذلك ولم يرفض هذا الطرح سوى 2.86% بمتوسط حسابي قيمى مرتفع هو 2.77 وانحراف معياري 0.67 مما يجعلنا نستنتج ان التعليم الرسمي يؤدي الى تخريج مجتمع مدني يساعد على التغيير الثقافي ذلك ان التعليم الرسمي في الجزائر بما يحمله من قيم التغيير والتعاون وبما يحمله من مقومات إسلامية تشجع على التعاون على البر والإصلاح والإرشاد، هذا التعليم الذي يعمل على الإصلاح والتغيير الإيجابي مطلوب منه ان يخرج جيلا قادرا على تكوين مجتمع مدني يعمل على التغيير الثقافي وفي نتائج دراستنا ما يؤكد ذلك.

ومن أهم ما يجب على هذا المجتمع المدني العمل عليه هو تنظيم سلوكات هذا المجتمع الريفي وطرق المعاملة بين أفرادهِ ونشر روح التقدم والحوار الهادئ الجاد

والمفتوح والابتعاد عن مظاهر التخلف والطيش الثقافي ، ومن ذلك البعد عن العنف في التعامل ، ذلك ان الإنسان اليوم وفي أكثر من أي وقت مضى تلزمه تربية نوعية يكون اكبر أهدافها تكوينه وجدانيا لان تربية القرن الماضي أثبتت ان ما ترتب عنها من مشاكل وعلى رأسها العنف بكل أشكاله وآثاره الوخيمة وهذا يعود الى الاهتمام الزائد بالجوانب العملية في التربية والتقصير في ميزات البناء الروحي والأخلاقي، لكن في ظل لتربية التي توازي بين الجانبين يجب العمل على صقل المواهب العقلية والقوى النفسية والجسمية والسلوكية وتمكينه من التعبير بحرية عن أفكاره وتصورات ورغباته وطموحاته وحاجاته، فهل هناك علاقة بين التعليم في المنظومة التربوية الجزائرية والحد من العنف في التعامل بين الأفراد في مجتمع الجنوب الجزائري ؟

يرى 52.86 % انه دائما ما تكون هناك علاقة ويرى 37.14 % انه أحيانا ما يتحقق هذا الطرح ويرى 10% انه لا يتحقق الافتراض أبدا مما يجعلنا نستنتج أن التعليم الرسمي في الجزائر يؤدي إلى الحد من العنف في مجتمع الجنوب الجزائري وذلك راجع إلى أن المشرع الجزائري ينبذ كل ما له علاقة بتفعيل ثقافة العنف داخل وخارج المؤسسة التربوية حيث يقول في لمادة 27 من المنشور الوزاري 50 م ت ا المؤرخ في 1987/11/10¹ " ومنذ أن تطور الفكر التربوي وصدور حق الطفل وبروز الأفكار التحريرية والمعادية للعنف بكل أشكاله بدا المعلمون ينفرون من استعماله وقد ترتبت عن استعماله حوادث خطيرة في بعض الحالات عند العديد من التلاميذ إلى عاهات مستديمة ومعيقة كما استدعى المعلمين المخالفين إلى الترخيم أو إلى السجن وفي أحيان عديدة إلى الفصل من الوظيفة

ان هجرة الريفيين الى المدينة هي هجرة مستديمة في اغلب الأحيان وقد اشتدت هذه الظاهرة في الجزائر ابتداء من سنة 1948 وهي السنة التي بلغ فيها عدد السكان ي المدن الجزائري أكثر من 103 مليون أي 20% من سكان الجزائر وكانت هذه النسبة قبل هذا التاريخ لا تتجاوز 16% ثم ارتفعت لتبلغ 30 % ,فهل هناك علاقة بين هذه الهجرة والتعليم الرسمي في الجزائر يتبين لنا من خلال الجدول رقم 21 ان 41.43%

¹ عبدا لرحمان بن سالم ، المرجع السابق نفسه ،ص 65.

يرون ان دائما ما يؤدي التعليم الرسمي الى الحراك الأفقي أي الهجرة من الريف الى المدينة ويرى 55.71% انه أحيانا ما يتحقق هذا الطرح في حين لم يرفض هذا الافتراض سوى 2.88% ذلك لان مشكلة الحراك الأفقي مازالت تمثل أهم المشاكل التي يقع فيها المجتمع الجزائري وخاصة مجتمع الجنوب، ومن أهم أسبابها ان الشباب المتعلم عندما يدرس في المدن ويرجع الى الريف يجد تناقضا بين البيئتين وعندئذ يفضل الحياة في المدينة وعند رجوعهم يصطحبون معهم أهلهم مما يحدث فراغا في أماكن تلك العائلات التي نزحت إلى المدينة، والسبب الثاني هو ان المتعلمين قلما يحصلون على وظائف تناسب مستواهم في الريف مما يضطرهم مرغمين على النزوح إلى المدينة وبهذا يكون التعليم قد أدى إلى النزوح الريفي أو ما يسمى بالحراك الجغرافي ريف — مدينة

ومن المظاهر الأخرى التي يمر بها المجتمع الجزائري ظاهرة التحول من البداوة إلى التحضر فهل هناك علاقة بين التعليم الرسمي والتحول من البداوة إلى الحضارة ؟ يرى 61.43% ان التعليم دائما ما يؤدي إلى التحول من البداوة إلى التحضر ويرى 31.43% ان أحيانا ما يتحقق هذا الطرح ولم يرفض هذا الافتراض سوى 7.14% لقد ارتبطت سياسة التوطين في الجزائر بناء على النصوص المتعلقة بتطبيق المرحلة الثالثة من الثورة الزراعية التي قامت على أساس ترقية السكان في الريف والعمل على دمجهم في التنمية

ان الصحراوي الذي دفعته الحاجة إلى المدينة قد يجد في انتظاره مختلف المشاكل التي تقف في طريق اندماجه في الوسط الجديد فلا هو قادر على الرجوع الى وسطه القديم ولا هو قادر على التكيف مع الوسط الجديد ومن هنا يظهر جليا انه يجب خلق جو حضاري يتلاءم ويوفق بين حياة البادية وحياة المدينة المتحضرة، وتمثل ذلك في سياسة التوطين بشكل تدريجي ومخطط ولهذا وقعت نصوص المرحلة الثالثة من الثورة الزراعية لهذا الغرض أي التركيز على البدو الرحل والعمل على ترقيةهم في مختلف الميادين الا ان الهدف يصعب تحقيقه ما لم يحدث نوع من الاستقرار في الحياة البدوية ولهذا نصت المادة 71 المتعلقة بتطبيق المرحلة الثالثة من الثورة الزراعية 1975/5/17

على ما يلي " يكون تحضير مربى المواشي محل تشجيع من الثورة الجزائرية و لا سيما بإنشاء القرى الرعوية " ولكي لا يحدث هذا على شكل طفرات ، فقد أشار ميثاق وقانون الرعي إلى كيفية التدرج في عملية توطين البدو ، بحيث يحدث ذلك دون ظهور مشاكل حادة وخصوصا في الميادين التالية : القضاء على استغلال الرعاة الصغار ، المحافظة على الوسط السهبي ، إنشاء التعاونيات الزراعية المتعددة للبلدية ، بحيث يكون دور هذه التعاونيات المساهمة في بث روح التعاون بين البدو والاستفادة من مختلف الخدمات التي تقدمها البلدية ، ان النواة التي تنشأ حولها القرية الرعوية هي المسجد والمركز الصحي والبيطري ومخزن الأعلاف والمدرسة هذه المؤسسات تمثل المركز وتحيط بها مساكن المستفيدين

وان أهم هدف يجتمع من اجله البدو في هذه القرى هو تعليم أبنائهم ، ولقد ظل هذا الهاجس يشغل بال كل من البدو ومؤسسات التعليم في البلاد ففي كل مرحلة من مراحل النمو والترقية كانت الجهات الرسمية تؤكد على تعليم أبناء البدو وكان العديد من أهل البادية الذين تحصلوا على تعليم في المدينة يحاولون ان يجدوا حلا لهذا المشكل ، وكان البدوي إذا أراد ان يلتحق بمؤسسات التعليم الرسمي يجب عليه التضحية ببقائه مع أسرته وعليه كذلك أن يجد أسرة تكفله في المدينة مما اوجب على الدولة ان تضع النظام الداخلي في مؤسساتها ، أو يكون على الأسرة البدوية ان تذهب إلى جو من الصعب عليها أن تتوافق معه لكي تعلم أبنائها إلى أن جاءت فكرة القرى الرعوية كحل تدريجي لتعليم أبناء البدويين والتحول التدريجي من حياة البداوة إلى حياة الحضارة وهذا يكفي لكي نفسر ذلك الإجماع الشبه تام في أجوبة المبحوثين على ان التعليم الرسمي في الجزائر له علاقة بالتحول من حياة البداوة إلى حياة الحضارة فهو الآن غاية تجر المواطن الجزائري في الجنوب إلى الحياة الحضرية والتضحية بكل ما يملك للوصول إليه .

إن تحول المجتمعات من حياة الريف إلى حياة المدينة ومن حياة البداوة إلى حياة التحضر التدريجي يتبعها تغير في القيم السائدة في هذه المجتمعات فهل هناك علاقة بين التعليم الرسمي وتغيير القيم السائدة في مجتمع الجنوب الجزائري ؟

يرى 44.28 % انه دائما ما يؤدي التعليم الرسمي إلى تغيير القيم السائدة في المجتمع وأجاب 48.57 % انه أحيانا ما يتحقق هذا الطرح ويرى 7.14 % انه لا يؤدي التعليم إلى تغيير القيم السائدة في المجتمع أبدا وتفسير ذلك ان المجتمعات الريفية وحتى تلك المعزولة عن المراكز الحضرية لا يمكن أن تكون بعيدة او في معزل عن التأثيرات الثقافية الحديثة وذلك بفضل سهولة وسائل الاتصال وفي هذه الحالة يجب إلا نتجاهل اثر الشائعات و المؤثرات المضادة كما يجب الا نتصور وجود فراغ فكري أو جمود ثقافي عند القرويين إلى حد يجعلنا نهمل تلك المقومات التي تتصل بالاتجاهات والأذواق وأنماط السلوك والتفكير عنده ،وقد تخطى في تفكيرنا اذا اعتقدنا أن المجتمع الريفي يعاني تخلفا ثقافيا بصورة مسبقة وشاملة ،لأننا منهجيا لا يمكن ان نقيس القروي بمقاييس الحضري او تقييم عادات وأفكار ومعتقدات الأسرة الريفية بمقاييس الأسرة الحضرية .

وبما ان التعليم موحد بين الريف والمدينة والصحراء فان التعليم قد كان له اثر في تغير العديد من القيم السائدة في العديد من المجتمعات الصحراوية ففي وصفه لمجتمع الطوارق نرى محمد السويدي يقول " أما دور هذه الداخليات¹ في التغيير الاجتماعي في الوسط البدوي بظهر بوضوح عندما يزور ابن البدوي مخيم والديه في أثناء العطلة الصيفية إذ يأتي وقد تغير سلوكه نتيجة احتكاكه بالثقافة الخارجية التي يتمثل بعض عناصرها وتصبح جزءا من سلوكه وتفكيره كما يحمل لأبناء عشيرته ولأقاربه هذه العناصر الثقافية الجديدة أنها ميزات تكسبه اعتبارا اجتماعيا بين أبناء مجتمعه"² فإذا كان هذا ما يحمله الطفل الصغير الذي يدرس في الابتدائي او المتوسط له كل هذا الأثر الكبير فكيف بما يحمله الطالب المتخرج من الجامعة او المعلم الذي يأتي ليعمل في هذه المدارس فان تقليد ومحاكاة هذا المعلم والانبهار به يؤدي إلى تغيير الكثير من العادات والقيم السائدة والمتفشية داخل المجتمع الصحراوي

¹ هي المدارس التي تضم نظاما داخليا تكون في المجتمعات البيداغوجية الصحراوية يتعلم فيها التلاميذ وبياتون فيها ولا يرجعون الى أهلهم إلا في أيام العطلة

² محمد السويدي ،المرجع السابق نفسه ، ص 193.

من أهم القيم التي تغيرت في المجتمعات الصحراوية بسبب تحولها إلى حياة التحضر التغير في سن الزواج فأصبح الشباب لا يقبلون على الزواج إلا في سن متأخرة فهل لهذا علاقة بالتعليم الرسمي في الجزائر ؟

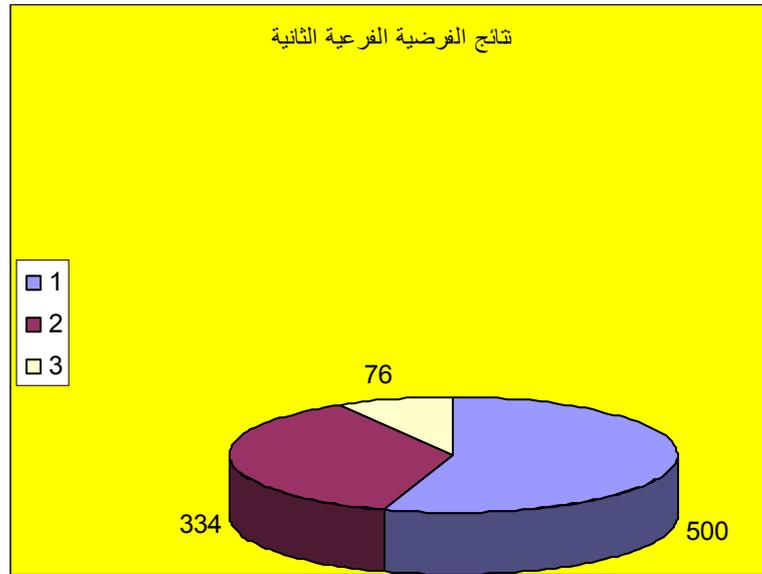
يرى 44.28 % انه دائما ما تكون هناك علاقة بين التعليم والتأخر في سن الزواج وأجاب 47.14 % انه أحيانا ما يتحقق هذا الطرح في حين رفض 8.75 % ان تكون هناك علاقة بين هذين المتغيرين ، ذلك ان الزواج كان ولا زال من أهم المشاكل التي تأخذ الشغل الشاغل للشباب وان التأخر فيه يعد الشغل الشاغل للمجتمع الصحراوي ، حيث انه كان في الماضي من أهم سمات الشاب الصحراوي الزواج المبكر أي انه يتزوج في أول سنوات شبابه حتى أصبحت في فترة ما من الزمن من أهم مميزات هذا المجتمع اما في المرحلة الأخيرة فقد شكلت مشكلة التأخر في الزواج هما عند العديد من المنشغلين بدراسة سوسيولوجية هذه المجتمعات وهذا ما دعانا الى اعتبار التأخر في الزواج أحد مؤشرات الحراك الاجتماعي في هذا المجتمع تحت إطار ما يسمى الحراك بين الأجيال ويرجع هذا المشكل إلى العديد من الأسباب من أهمها التعليم ذلك ان الشاب الذي يتم دراسته في سن ما يقارب 25 سنة يجد نفسه في نقطة الصفر في بناء مستقبله فعليه ان يضيف الى هذا العمر سنة ونصف في الخدمة الوطنية وبعدها يعود ليوفر مهنة ومسكنا ومع كثرة متطلبات الحياة فانه سيجد نفسه على مشارف الثلاثينات من عمره ، وكما قلنا قليل هذا فإننا نأخذ في حكمنا على الظواهر من المنطلقات التي ينطلق منها هذا المجتمع المحلي فان هذا الشاب قد تأخر في زواجه عن السن العادية أما إذا تحدثنا عن النساء فحدث ولا حرج مجرد قبولهن من طرف الشباب للزواج يعد لوحده مشكلة فان سن 25 لنساء الغير متزوجات يعتبر في مجتمعنا سنا قد أكل عليه الدهر وشرب والتي تجاوزت العشرين ولم تتزوج أصبحت تمثل عبئا على العائلة ومن هنا وحسب نظرة عينتنا الى هذا الطرح لا حظنا إجماعا شبه تام على تحقق هذا الطرح ألا وهو أن التعليم يؤدي إلى التأخر في سن الزواج و يؤكد لنا هذا المتوسط الحسابي الذي وجدناه وهو 2.35 ومن خلال ما لاحظناه من خلال تطلعنا على حال العينة التي أجرينا عليها الدراسة وهي عينة من المتعلمين حيث لم نجد فيهم سوى عدد قليل من المتزوجين وهو 2 .

نتائج الفرضية الثانية ومناقشتها

جدول رقم 21 يبين النتائج العامة للفرضية الفرعية الثانية

المجموع		ابدا		أحيانا		دائما		علاقة التعليم بالحراك الثقافي
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
100	910	8.35	76	36.70	334	54.94	500	

المتوسط الحسابي : 2.46



ان أي دراسة تستهدف التعرف على الحراك الثقافي عند الإنسان الريفي لا بد وان تضع في الاعتبار بعض القواعد المنهجية التي نذكر منها :

1 - ان الجماعات الريفية وحتى تلك التي تعتبر معزولة عن المراكز الحضرية لا يمكن ان تكون معزولة عن تأثير التيارات الثقافية الحديثة وذلك بفضل سهولة وسائل الاتصال كما لا يجب ان نتصور وجود فراغ فكري او جمود ثقافي عند القرويين إلى الحد الذي يجعلنا نهمل تلك المقومات التي تتصل بالاتجاهات والميول والأذواق وأنماط السلوك والتفكير عندهم ، وقد نخطئ بتفكيرنا اذا نحن اعتقدنا ان المجتمع الريفي يعاني تخلفا ثقافيا بصورة مسبقة وشاملة لأننا لا يمكن ان نقيس القروي بمقاييس الحضري او نقيم عادات وأفكار ومعتقدات الأسرة الريفية بمقاييس الأسرة الحضرية

2- ان دراسة الحراك الثقافي في المجتمعات الريفية يجب ان تركز على فلسفة الترابط بين الإنسان والحيوان والأرض في هذه المجتمعات

3- كما لا ننسى أن أي حراك يجب أن يأخذ في الاعتبار أن ذوي النفوذ من القادة المحليين يمثلون عنصرا هاما في المجتمع المحلي ويتجلى هنا دور رجال الدين وكبار السن والمثقفون المحليون إلى جانب رئيس البلدية الذين يمثلون في مجموعهم الأداة التي تسيير أي حركة تغييرية في المجتمع .

وإذا كان الحراك الثقافي يمثل الركيزة الأساسية التي لا غنى عنها في عملية الحراك الاجتماعي الذي يضم إلى جانب المفهوم الاقتصادي كافة الموارد والطاقات الروحية والأخلاقية والثقافية وهي الطاقات المحركة لقوى الحراك فكلما تعمقت جذور الحراك الثقافي في النظم والأدوار والوظائف الاجتماعية اتسعت أبعاده إلى أنماط وأشكال ومظاهر العلاقات في صورها عند الفرد في أي مجتمع كان أداة اقرب إلى أن يكون وسيلة ناجحة لتحريك هذا الفرد في مكانته الاجتماعية ومساعدته على تغيير فنته في السلم الاجتماعي

وإذا كان الحراك الثقافي يعني تعديل الأفكار والاتجاهات وأساليب الحياة كما يعني في مدلوله العميق و تعديل الإطار الإيديولوجي وتوسيع عملية التفاعل الفكري لدى الإنسان كجزء منتم وملتحم بجماعات الواقع التي يجد نفسه واحدا في كل بنائه الفكري والمادي والروحي فهو لا شك ان له نقاط تقاطع تجمع بينه وبين التعليم

فهل هناك علاقة بين التعليم الرسمي في الجزائر والحراك الاجتماعي الثقافي في مجتمع الجنوب الجزائري ؟

نلاحظ من خلال نتائج الفرضية الثانية والتي تقول ان هناك علاقة بين التعليم الرسمي في الجزائر والحراك الثقافي في مجتمع الجنوب الجزائري ان الإجابة بدائما كانت تمثل النسبة الأكبر وهي 54.94% تليها إجابة أحيانا بنسبة 36.70 % ولم تكن نسبة الرفض إلا 8.35% ، وذلك راجع إلى أن التعليم في الجزائر يقوم على تربية روح التغيير الثقافي التي تقوم على بث روح الاستقلالية وروح المشاركة داخل الجماعة تلك المبادئ التي تعرفنا عليها في دراستنا النظرية والركائز التي تتمثل في الحداثة والفاعلية

فانه من الجدير له أن يكون حاملا لهذا الإنسان ليكون متحركا في مجتمعه وما يؤكد ذلك دراسة قامت بها إحدى الباحثات¹ على مجتمع طلابي حيث طرحت سؤالا حول مدى رغبة المبحوث في مسايرة النمط التقليدي أو العصري نجد ان 7 أجابوا أنهم يفضلون النمط التقليدي و 28 أجابوا أنهم يفضلون النمط العصري وأجاب 85 أنهم يفضلون التوفيق بينهما وأجاب 20 أنهم لا يدرون وإذا كان المبحوث الذي يمثل المتعلم الجزائري يتطلع إلى مسايرة النمط العصري أو التوفيق بينه وبين النمط التقليدي لكي يتخلص تدريجيا من هذا الأخير فهذا أكبر دليل على تحركه الثقافي ومن هنا نستنتج ان الفرضية الثانية القائلة ان التعليم الرسمي له علاقة بالحراك الثقافي في مجتمع الجنوب الجزائري تحققت في حدود عالية

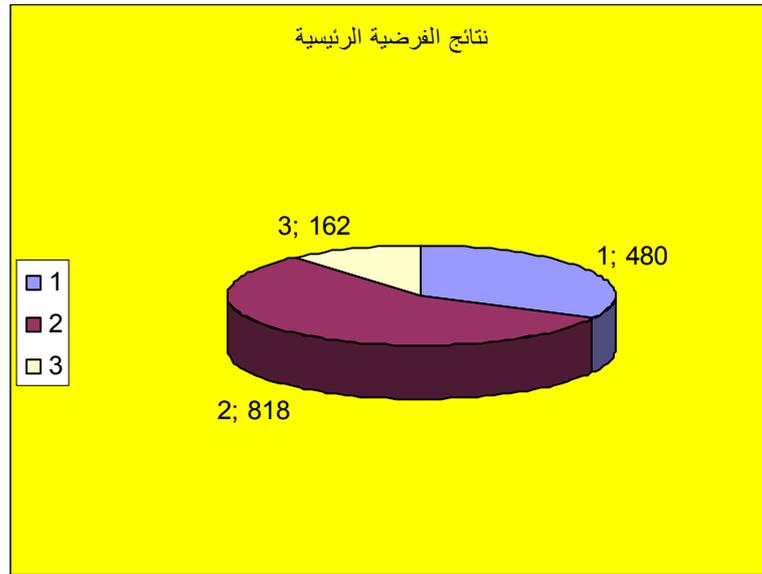
¹ فضيلة دروش، المرجع السابق نفسه

عرض نتائج الفرضية الرئيسية ومناقشتها

جدول 23 رقم يبين النتائج العامة للفرضية الرئيسية

المجموع		أبدا		أحيانا		دائما		علاقة التعليم بالحراك الاجتماعي
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
100	1820	8.90	162	44.94	818	46.15	840	

المتوسط الحسابي: 2.37 الانحراف المعياري : 0.63



من خلال هذا الجدول (23) نلاحظ ان نسبة الذين قبلوا هذه الفرضية وأجابوا بدائما ما تكون هناك علاقة بين التعليم الرسمي والحراك الاجتماعي في مجتمع الجنوب الجزائري كانت 46.15% تليها نسبة الذين أجابوا باحيانا 44.94% بينما لم تكن نسبة الرفض الا 8.90% وتفسير ذلك أن تناول مدرسة الوسط القروي في سياق تفاعلها الجدلي مع محيطها قد يطرح صعوبات منهجية جمة بالنظر الى صعوبة الإحاطة بهذا المحيط بما فيه من فسيفساء اثنيه – ثقافية- طبيعة لغوية – شديدة التعقيد انه مجتمع يتداخل فيه ما هو حاض بما هو ماضي ، التاريخي بالثقافي ، الاجتماعي بالاقتصادي ، السياسي بالثقافي .

ومن جهة أخرى ومع هذه الخصوصية للظاهرة التربوية في الوسط القروي لا يمكن عزلها المطلق عن المنظومة المتحكمة في سير العملية التربوية بعيدا عن إسقاطات المجال سواء أكان حضريا ام قرويا وهو ما يفرض تناول مدرسة الوسط القروي في إطار

النظام التربوي العام ، أي مساءلة مختلف أنماط العلاقة التي تربط المدرسة كمحيط بالمركز المحسوبة عليه أي المؤسسات المركزية الوصية على القطاع ومدى تفاعلاته الجانبية ومدى ايجابية هذا التفاعل .

وبما ان التعليم الجزائري كان من أهم أهدافه هو إنتاج مواطن صالح قادر على تحمل المسؤولية الاجتماعية واع بما يسايره عالمه الخارجي قادر على التحكم في وسائل الإنتاج متفتح على ثقافات العالم فننا نقول وبكل فخر واعتزاز كما قال صاحب كتاب النظم التعليمية الوافدة من افريقية " انه مهما حاولنا او توهمنا ان النهوض والتغيير والإصلاح يمكن ان يتم خارج مواضع التعليم فان التاريخ والمواقع والتجربة الذاتية والعالمية تؤكد ان التربية والتعليم السبيل الأوحى إلى درجة يمكن ان نقول معها بدون أدنى تحفظ ان التربية هي التنمية بكل أبعادها وأي مفهوم للتنمية بعيدا عن هذا مفهوم جزئي وعاجز عن تحقيق الهدف ، فان التعليم يعد السبيل الأوحى الذي يمثل الانطلاقة الأولى لأي فرد في تحقيق أي حراك في المجتمعات القروية التي لطالما استعملت فيها العديد من الوسائل لتحريك فئاتها وان لها الآن ان تغير طريقة ترتيب أفرادها وبما يحمله هذا المتعلم من هم فعليه ان يكرس هذا المسار فمن المعروف ان المتعلم اذا تخرج يحمل مع تخرجه طموحات عظيمة يسعى لتحقيقها مهما وقف في طريقه من عراقيل ففي دراسة لفضيلة دروش عن مجموعة طلابية في مستوى ما بعد التدرج وضعت طرحا في بحثها يدرس استعداد المبحوث لتحقيق طموحاته وتجاوز العراقيل التي يمكن ان تأتي في طريقه كانت الإجابة كما هي موضحة في الجدول التالي

جدول رقم 24 يبين استعداد المبحوث لتحقيق طموحاته وتجاوز العراقيل

نعم	لا	لست ادري	دون اجابة	أحيانا
98	70	34	2	0
42	30	38	4	2.85
4.28	6	24.38	1.42	0
56	40	38	27.14	0

المصدر مذكرة دروش فضيلة

هذا يبين لنا ان المتعلمين وخاصة الذكور لهم رغبة كبير في تحقيق طموحاتهم والقضاء على العراقيل ، ذلك ان الرجال هم الذين يتحملون عادة أعباء الحراك

الاجتماعي ويكونون مقياس الأسر في التطور والمستوى المعيشي وخاصة في مجتمع صحراوي له من تاريخ تعظيم الرجل ما له ، ويظهر كذلك مدى سعي المتعلم الذي يحاول ان يكرس التعليم لتحريك مكانته الاجتماعية وجعل التعليم أساسا لهذا الحراك في طرح آخر في نفس الدراسة يحاول ان يقيس درجة رضا المبحوث عن وضعه الحالي فجاءت الإجابة كالتالي 5.71% راضي و 87.85% غير راض 2.4% قليلا 4.28% دون إجابة وهذا ما يجعلنا نستنتج ان التعليم الذي تلقاه هؤلاء المبحوثين يجعل منهم يجمعون إجماعا شبه تام على طرحين هما أنهم غير راضين عن وضعهم الحالي واستعدادهم لتحقيق طموحاتهم وتجاوز العراقيل التي تقف في طريقهم ، واثبت التاريخ والنظريات وأقوال العلماء والتجربة الذاتية ان التعليم هو أساس التنمية والتغيير والحراك وإذا ثبت لنا من النتائج التي تم ذكرها أخيرا ان المتعلم الجزائري غير راض عن حاله ومتطلع إلى تحقيق آماله، فليس من الغريب علينا حينها ان نجد مجموعة من خريجي الجامعة في وسط اجتماعي له ما له من تواصل مع غيره من المجتمعات يجمع إجماع شبه تام على ان التعليم الجزائري له علاقة بالحراك الاجتماعي في مجتمع الجنوب الجزائري وبالتالي نقول أن فرضيتنا الرئيسية قد تحققت .

يعبر البند الأول من الجدول رقم 19 عن العلاقة بين التعليم الجامعي وسوق العمل بن الذين يجيبون انه دائما يتحقق هذا الطرح يمثلون نسبة %8.57 أما الذين أجابوا أحيانا فقد مثلوا بنسبة %70 أما الذين ينفون وجود علاقة بين المتغيرين فكانوا بنسبة %21.43 مما يجعلنا نستنتج ضعف العلاقة بين التعليم الجامعي وسوق العمل وهذا راجع الى ما قد تعرضنا إليه في دراستنا للمنظومة التربوية حيث أدرجنا انه من التحديات التي تواجهها المنظومة التربوية الجزائرية هي وضع فلسفة تربوية تقوم على أساسها مناهج مدرسية فاعلة .

ففي دراسة قام بها هويدي عبد الباسط عن عينة موظفين في منطقة وادي سوف عبر %36 منهم عن رفضهم لوجود دور للمنظومة التربوية في خدمة التنمية مرجعين السبب الى ان الجامعة لا تزود سوق العمل بإطارات ماهرة وهي بلك أعلى نسبة في العينة كما مثل اختيار ان التخصصات التي تدرس في الجامعة لا توجد في سوق العمل %10.5 وان البرامج لا تتوافق مع متطلبات الواقع %31¹ .

ويؤكد هذا المتوسط الحسابي الذي حصلنا عليه الذي لا يصل إلى 2 وهو متوسط القبول والذي هو 1.57 والانحراف الذي لا يمثل قوة كبيرة حيث انه يتمركز على الوسط وجهة الانتشار في الرفض أكثر من التأييد .

وبعدما تعرفنا على علاقة التعليم بسوق العمل فما هي علاقته بتحسين المستوى الاقتصادي للفرد المتخرج منه؟ ولكي نتعرف على هذه العلاقة نجد انه قد أجاب نسبة %28.57 انه دائما ما تكون هناك علاقة بين هذين المتغيرين اما %62.86 فهم يرون انه أحيانا ما يتحقق هذا الطرح بينما يرفض %8.57 هذا الطرح ن وتفسير هذا يظهر من خلال تفسير بارسونز لفكرة تقسيم العمل باعتبارها أساس

¹ هودي عبد الباسط، المنظومة التربوية الجزائرية وعلاقتها بالتنمية، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2005، ص161،160.

التماسك الذي يعني التباين من اجل الإنتاج وتبادل الإنتاج وفي إجابته لماذا لا تتساوى الأوضاع المهنية في المجتمع؟ جعل السبب الرئيسي للتنافس على الوظائف وطريقة المجتمع في جسمه هذا التنافس بان يضع له مكافئات غير متساوية ويكون الأجدر بأخذها هم الناس الأكثر كفاءة وقدرة وبما ان المتعلمين في المجتمعات هم الأكثر كفاءة وقدرة على شغل الوظائف الحساسة فان المكافئات تكون من نصيبهم وهذا ما سيوفر لهم عائدا اقتصاديا جيدا له اثر على تحسين مستواهم الاقتصادي ومما يؤكد ذلك لنا المتوسط الحسابي الذي حصلنا عليه وهو 2.22 حيث انه أكثر من متوسط القبول والانحراف المعياري الذي هو 0.59 اللذان يمثلان مدى انتشار الإجابات في جهة القبول ومدى كثرة التكرارات المؤيدة لهذا الطرح وقريبا نم ن هذا نجد نتائج الدراسة التي قام بها محمد العيد مطمر على مجتمع شبيه كانت إجاباتهم الآتي :

ارتفاع إنتاجية العامل الى ارتفاع إنتاجيته مما يؤدي الى فائض في أمواله 82% قالوا نعم و 18 % قالوا لا .

تعلم الكاسب يرفع من إنتاجيته المادية 72% نعم و 17% لا و 11% لا يعرف ان الأمية تعيق في استعمال التكنولوجيا مما يخفض الإنتاج والدخل 62% نعم و 26% لا و 12% لا يعرف ومن هنا نستنتج ان التعليم يساعد على تحسين المستوى المعيشي وبما ان الدخل هو ما يضمن تحسين المستوى المعيشي للفرد فعلى ان نعرف هل ان هناك بين علاقة التعليم الجامعي والسماح بزيادة دخل الفرد؟

تمثل مشكلة الدخل المشكلة الرئيسية في كل المجتمعات حيث أنها هي الأمن الوحيد للأسرة في تحقيق اكتفائها الاقتصادي وكما يقول جون ديوي دائما ان المدرسة ليست مؤسسة تربوية لإخراج إنسان يتلاءم مع الحياة فحسب وإنما هي الحياة نفسها اذا فالمدرسة التي تعمل على تخريج مواطن صالح فإنها تؤهل الفرد ليكون موظفا كفؤا يحق له ان يشغل منصبا مرموقا في المجتمع ومدرستنا في الجزائر ليست دون أي مدرسة في مستوى الأهداف فهدفها هو ان تخرج جزائريا صالحا وموازات مع المدرسة والجامعة فان المؤسسات الاقتصادية في الجزائر تتواصل دائما بالجامعة لتزويدها باليد العاملة، وتجعل المكافئات العالية لليد العاملة المؤهلة و كلما كانت اليد العاملة اكسر تأهيلا كان

الأجر والمكافئة أكثر تأهيلا كان الأجر والمكافئة أكثر، واليد العاملة المتعلمة هي اليد الأكثر كفاءة بين الأيدي العاملة مما يؤهله الى ان تكون الأكثر قدرة على شغل المناصب التي لها الحق في الأجر والمكافئة الأكثر، ومما يؤكد هذا ما وجدناه في الدراسة السابقة الثالثة من خلال الإجابة عن بند التعليم يساعد على رفع أجور الكاسيين والعاملين، فكانت الإجابة 72% نعم و 18% لا و 10% لا يدري والمتوسط الحسابي 2.4 والانحراف المعياري 0.654 وهما يشيران الى انتشار التكرارات نحو جهة القبول ويمثلان مدى قبول أفراد العينة لهذا الطرح، ومن هنا نستنتج ان التعليم الجامعي يسمح بزيادة الدخل للفرد في مجتمع جنوب الجزائر .

مما سبق رأينا ان العلاقة بين التعليم ورفع الدخل تكمن في مدى كفاءة الفرد في أداء عمله ، فهل حقيقة ان الجامعة تساهم في تطوير كفاءة الفرد في مجتمع جنوب الجزائر ؟ يرى 42.85% انه دائما ما يتحقق هذا الافتراض ويرى 54.28% انه أحيانا ما يتحقق هذا الطرح ولم يرفض هذا الطرح الا 20.88% رأوا انه لا يتحقق هذا الطرح أبدا بانحراف معياري 0.67 ومتوسط حسابي قيمي 2052 لقد سعى التعليم دائما لتحقيق الهدف الأسمى الذي لطالما كان حلم المفكرين والمربين في كل أقطار العالم ألا وهو إنتاج مواطن صالح يقوم بأداء واجباته لخدمة المجتمع والوطن بكفاءة عالية، وفي احد الأسئلة التي طرحتها باحثة جزائرية¹ في دراسة تخص التغيير الاجتماعي جاء في احد بنودها تقييم المبحوث لتطور مستواه الفكري ومعارفه العلمية جاء في الإجابة 46.16% ذكور بشكل جيد و 41.93% إناث بشكل جيد ونفس النسبة بشكل قليل وتنعدم عند الإناث اللواتي تتطور معارفهن بشكل قليل جدا بينما تكون 6.41% عند الذكور أما تطور المعارف بشكل جيد جدا يكون بنسبة 5.15% عند الذكور و 8.06% عند الإناث، وفي الدراسة السابقة لهويدي في الإجابة عن بند تساهم الجامعة في تطوير كفاءة الخريجين كانت الإجابة 19.8% دائما و 17% أحيانا و 63.5% وهذا يفسره ان التعليم الجامعي في الجزائر يدعو الجانب النظري في المعارف والكفاءات ، ذلك انه في دراسة دروش وجدنا المعارف والمستوى الفكري للطلاب الجزائري يرتفع بشكل جيد وجدا عند

¹ فضيلة دروش، التغيير الاجتماعي والاستيلاء الثقافي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 1995، ص

الأكثرية، لكن مساهمة هذا الزاد والرصيد المعرفي في الوظيفة يكون منخفضا في استعماله في العمل كما يظهر في دراسة هويدي ، وهذا يرجع الى الطالب في حد نفسه ولا يرجع الى التعليم، وهذا ما يجعلنا نستنتج تحقق البند الرابع من استمارتنا وهو ان التعليم الجامعي يساهم في تطوير كفاءات الخرجين .

يعد الأجر المقدم للعامل من أهم الوسائل المظهرة لمدى كفاءته التي تحصل عليها من تعليمه ، فهل يساعد التعليم في رفع أجور العاملين في مجتمع الجنوب الجزائري ؟ يرى 52.85% انه دائما ما يتحقق هذا الافتراض وأجاب 44.28% انه أحيانا ما يتحقق هذا الطرح ورفض 20.85% هذا الافتراض حيث أجابوا انه لا يتحقق أبدا

لم ينظر الى المهنة في مجتمعات الصحراء السابقة باعتبارها مصدرا للعائد المادي إنما من حيث أنها تعبر عن قيمة الفرد وما يتلاءم وطبيعة حياته، مما جعل علماء الانثربولوجيا يقولون ان احتقار البدوي للأعمال اليدوية ناشئ عن تصوره لفضائل الرجل البدوي لقيمته ومركزه بين جماعته الصحراوية ، فالذين يعملون في صناعة النفط يتخبرون أعمالا معينة ذات علاقة بوظيفتهم التقليدية وتقوم كبديل عنها فالجزء الاقتصادي الذي يعود من العمل ليس هو المعيار الوحيد للتفضيل ولكنه يعود الى تصورهم لطبيعة العمل ومكانته بحسب القيم المرجعية لهم فتراه - البدوي - يختار قيادة السيارة لان من أهم أعدائه المكان والمسافة والسيارة هي التي تمكنه من غايته ، يفضل ان يعمل حارسا لشركات التنقيب لان الحراسة امتداد لوظيفته فهو حامي الصحراء ، يفضل ان يعمل دليلا لمهندسي شركات التنقيب في مجاهل الصحراء ومسالكها الصعبة لان الصحراء علمته اليقظة لان معرفته مسالك الصحراء تعني الحياة.

هكذا عرفنا نظرة المجتمع الصحراوي للمهنة ، لكن بعد ان تقدم المجتمع وصارت الكفاءات المهنية غير كفاءات الآباء أصبح أبناء الصحراء يضاھون أبناء المجتمعات الحضرية في الشهادات وفي المهارات يعني أنهم بدءوا يرون الى الأجور التي تعود عليهم من المهن لكن لا يعني أنهم نسوا ما كان عند الآباء من قيم فهم يرون ان التعليم يرفع الأجور وهذا ما وصل إليه محمد العيد مطمر في دراسته عن دور التعليم في رفع إنتاجية الفرد ورفع أجره لكن هذه الأجور لمهن يختارونها هم لأنفسهم تتناسب

وطموحاتهم وميولهم وطبيعة ثقافتهم ونرى هذا المجتمع الطلابي الجديد انه يطمح الى العمل في سلك التعليم لان العقدة الكبرى عنده هي الجهل المتفشي عند الكبار وما هذا الإجماع الشبه كلي في الإجابة في بديلي دائما وأحيانا الا دليل على لنهم يرون ان التعليم هو السبيل الوحيد للخلاص من هذا الإشكال ومن هنا نستنتج ان التعليم يساعد في رفع أجور العاملين

أما فيما يخص تحقيق التعليم الجامعي رفاهية اقتصادية للأسرة اتضح انه 24.88% أجابوا انه دائما ما يتحقق هذا الطرح وأجاب 68.57% باحيانا ولم يرفض هذا الافتراض سوى 7.14% وقريبا من هذه النتيجة وصل محمد العيد مطمر في عينة شبيهة بعينتنا حيث طرح افتراضا مفاده ان انتشار التعليم يمكن الأسرة من تحقيق رفاهية اقتصادية فكانت الإجابة كالتالي 70% نعم و 20% لا و 12% لا ادري هذا ما يجعلنا نستنتج ان التعليم يحقق رفاهية اقتصادية للأسرة ، ذلك ان الإنسان في كل حيته يأمل ان يرفه عن نفسه في كل مجالات الحياة خاصة من الناحية الاقتصادية التي تعتبر العصب الأكثر نبضا في الحياة الحالية التي أصبح المظهر المادي أكثر المظاهر علوا ، وذلك ينال بنشر التعليم بين الأفراد لان التربية والتعليم تنمية بكل أبعادها وأي مفهوم للتنمية والرفاهية بعيدا عن هذا المفهوم هو مفهوم عاجز ، وزيادة على ذلك ان ما يزيد التعليم أولوية من حيث انه سبب في رفاهية الإنسان والأسرة انه يعد الأساس لكل مجالات الرفاهية اذ ان تعليم الإنسان وتربيته يجعله مهيبا للقيام بالعمليات التنموية في أي مجال بمعنى ان الفرد المتعلم أينما توجه يأتي فإذا توجه الى المجال الاقتصادي ساهم في تنميته وتطويره وكذلك اذا توجه الى المجالات الاجتماعية وهكذا إذا كانت الأسرة فيها العديد من الأفراد لهم قدر كبير من التعليم فان لها الحظ في الرفاهية الاقتصادية وهذا ما يدل عليه المتوسط الحسابي الذي حصلنا عليه وهو 2.17 ويمثل ارتفاعا مرجحا لهذه النتيجة.

يرى علماء الاجتماع ان ثقافة الفرد والمجتمع هي جزء منه فالتقاليد والعادات والاتجاهات الفكرية والمعتقدات وغيرها من العناصر الثقافية بمفهومها المتكامل تشكل في حياتنا وتلون سلوكنا بلون خاص نتمسك به ونحافظ عليه لأنه جزء منا ولكن المجتمع قد يتعرض في فترة من فترات حياته إلى تغييرات قد تتناول بنيته الاقتصادية والاجتماعية

والثقافية وقد يتحول من مجتمع زراعي الى مجتمع صناعي ومن مجتمع زراعي يعتمد على الإنتاج الى مجتمع زراعي يعتمد على النظام التعاوني، وإذا بقيت الأنماط والأحوال على حالها وتجمدت القيم ولم تتغير لتتلاءم مع الظروف الجديدة اختل هنا التوازن، وتظهر صعوبة التغيير الثقافي في المجتمع الريفي خصوصا أنها عملية لتعديل الأفكار والاتجاهات وأساليب الحياة فالروابط الاجتماعية في القرية تتميز بالمشاركة الجماعية في قيمة واحدة وتكامل المسؤوليات والالتزامات الجماعية وعلى هذا فان التغيير لن يتناول أفرادا بقدر ما يتناول وحدات تشتد صلاحيتها او تخف معا ومنها بحسب تمسك هذه الوحدات بالأفكار والعادات والتقاليد أكثر من تمسكها بالمؤثرات العقلية والنماذج الفكرية الجديدة التي تنتشرها وسائل الإعلام الجديدة، وفي دراسة تحليل كتب القراءة للطور الأول لم يسجل حضور قيمة الاستقلالية الا نسبة 0.69% وفي هذه الدراسة بما يخص مدى تفضيل الخرجين للعائلة النووية على حساب العائلة الممتدة وجدنا ان نسبة 20% يرون انه دائما ما يحبذ الجامعيون تكوين عائلات نووية ويرى 62.88% انه أحيانا ما يتحقق هذا الطرح ويرى 7.14% وجهة نظر رافضة لهذا الطرح ومن خلال المتوسط الحسابي الذي حصلنا عليه وهو 2.02 والانحراف المعياري الذي هو 1 نرى ان فكرة الاستقلالية عن العائلة الممتدة لدى الفرد المتعلم في مجتمع الجنوب الجزائري مازالت في مرحلة أولية من التقدم والحراك وذلك راجع الى ما أسلفنا القول عنه من تجمد في القيم وصعوبة التغيير الاقتصادي والثقافي في المجتمع الصحراوي .

ومما يؤكد تماسك المجتمع الصحراوي كذلك وحدوث فكرة الاستقرار في القيم والمحافظة على الانسجام ذلك ان التعليم الرسمي الذي يهدف مثله مثل أي تعليم في العالم الى إنتاج فرد صالح ومواطن يخدم مجتمعه وأمته ودولته وهو قائم على أسس دينية من ديننا الإسلامي السمح الذي يقوم على التسامح والتراحم وحب الانسجام والتعاون ومن هنا فان التعليم واجب عليه ان يكون محاربا للطبقية ونبذ الفروقات و ناشرا للأفكار التي تدعو الى المساواة، وفي هذه الدراسة تبين لنا ذلك حيث ان من أجابوا انه دائما ما يساعد التعليم الجامعي في التخفيف من الفوارق الطبقة بين المواطنين قد مثلوا 45.71% وهي تمثل بذلك اكبر نسبة تلتها نسبة الذين أجابوا باحيانا ممثلين نسبة 40% ولم يرفض هذا الطرح

الا 14.18 % وقد توصل محمد العيد مطمر في دراسة الى ان التعليم يخفف الفوارق الطبقيّة فكانت الإجابة 64% نعم و25% لا و 11% لا يعرف، ولقد طرحنا هذا بالتخفيف لأننا نعرف ان القضاء على الفوارق الطبقيّة تماما لا يمكن في أي مجتمع لكن مواجهة الفوارق الطبقيّة تكون بالتخفيف التدريجي منها، وأما من طرح ان التعليم يعمق الفوارق الطبقيّة في المجتمع فقد يصح قوله على المجتمعات المتطورة وتكون السلطة النافذة فيها لطبقات اجتماعية تحاول السيطرة على الوضع أما في مجتمعنا الريفي وخاصة في الصحراء فان التعليم يتسم بحرية نسبية وخاصة في نشر أفكاره وهذا ما يدفعنا الى القول بان الطرح يتحقق وان التعليم الرسمي يساعد على التخفيف من الفوارق الطبقيّة في مجتمع الجنوب الجزائري .

وإذا علم ان هذا التعليم له علاقة بالتحكم في التدرج السلمي في طبقات المجتمع ويحاول ان يخفف الفوارق بينها فمن المفروض ان يكون له علاقة بالارتقاء داخل المهنة التي هي من أهم محددات مكانة الفرد في التدرج الطبقي فما هي العلاقة بين التعليم الجامعي والارتقاء المهني ؟ أي أن الخريج الجامعي قد يكون له ارتقاء في المهنة لتي يمارسها بسبب ما تلقاه من خبرات في تعليمه أو بسبب شهادته التي تحصل عليها وهذا يشير إلى أن للتعليم علاقة بالارتقاء المهني ومن خلال إجابات المبحوثين اتضح لنا أن 77.14 % يرون انه دائما ما يتحقق و 22.86% يرون انه أحيانا ما يتحقق أما الرفض فقد كان معدوما ويرجع هذا الى طبيعة التعليم وتوجهاته في ترقية المتعلمين في مجتمع الجنوب الجزائري في مهنتهم التي يحصلون عليها مما يغيرون من مكانتهم الاقتصادية وفننتهم الاجتماعية وهذا من مؤشرات الحراك الاجتماعي ويؤكد لنا هذا المتوسط الحسابي الذي حصلنا عليه وهو 2.77 والانحراف المعياري الذي هو 0.79 ومن كلما سبق يمكننا استنتاج ان التعليم الجامعي له علاقة بالارتقاء في المهنة .

وبما أن التعليم يخفف الفوارق الطبقيّة في مجتمع الجنوب الجزائري من المفروض ان يساعد الفرد المتعلم فيه على الحصول على مهنة أي انه هذا الأخير - التعليم - يساعد في الحد من البطالة ؟ يرى 25.71% انه دائما ما يتحقق هذا الافتراض ويرى 60% انه أحيانا ما يتحقق هذه الاحتمالية ولم تكن نسبة الرفض لهذا الطرح الا 14.28% وذلك انه

من رأى من الفئتين الأوليتين تحقق هذا الطرح يرى أن التعليم في الجزائر وفي كل الدول يرمي إلى تخريج مواطن صالح والمواطن الصالح هو ذلك المواطن المؤهل فالذي يعمل يضمن عيشا هنيئا، أما من رأى أن لتعليم لا يحد من البطالة فلما يراه من مجموعة البطالين من أصحاب الشهادات، وهذا في الحقيقة لا يخلو منه بلد مهما كان تطوره او قوة تعليمه والأمر لا يرجع إلى التعليم في حد ذاته إنما يرجع إلى حركة سوق العمل ونسنتج من هنا إن التعليم يساعد في الحد من البطالة .

إن تحقيق العدل خارج المدرسة يتم بتوفير المال والسكن والنقل والعمل ، أما في داخل المدرسة فبما تقدمه من معلومات ومناهج لها صلة وثيقة بالحياة الاجتماعية لكل الفئات فإنها تمنح الكثير من الفرص في الحراك الاجتماعي وتؤكد الدراسة الحالية ان 20% يرون انه دائما ما يكون التعليم مساعدا على الحد من الفقر و 74.28% ترى انه أحيانا ما يتحقق ذلك في حين يرفض 5.71% وبهذا يتضح لنا ان المدرسة أصبحت سببا في زيادة الشعور بالطموح والتحدي عند الفقراء والمحرومين الذين يتخذون من التعليم والاستمرار فيه وفق ما يفتح أمامهم من فرص وأبواب للمنافسة وعنصرا مشجعا على الشعور بالانتماء وتشكيل وعي عال وكلما زادت جرة التعليم التي يتحصل عليها الإنسان في المجتمع كلما زاد طموحه في الرقي الاجتماعي ، فالذي يستطيع ان يصل إلى أن يحصل على شهادة نهاية الدراسة في دراسته الرسمية يكون له حظ في الابتعاد عن الفقر أكثر من الذي يترك الدراسة في سنواته الأولى من الجامعة ، والذي يتحصل على البكالوريا يكون له حظ اكبر في الابتعاد عن الفقر من الذي تحصل على شهادة التعليم الأساسي ومن هنا نستنتج أن التعليم يساعد على الحد من الفقر .

من خلال البند الثاني عشر من الجدول رقم 19 نلاحظ أن 37.14% يرون ان تعليم المرأة يحقق رفاهية اقتصادية للأسرة ويرى 48.57% انه أحيانا ما تتحقق هذه العلاقة ولم يرفض هذا الطرح سوى أقلية مثلت نسبة 14.29% وتفسير ذلك ان الأكثرية ترى ان المرأة اذا تعلمت يكون لها اثر في رفاهية الأسرة وذلك راجع إلى عدة أسباب منها :

ان المرأة تعمل مع الرجل فيكون هناك اجر زائد ومصدر مالي آخر تزدهر به الأسرة

اقتصاديا

وإما ان تكون هذه المتعلمة لها معرفة بما يدور حولها من ارتفاع أسعار المواد المستعملة من طرف الأسرة من غذاء وآلات فيكون حسن عملها معها عاملا يخفف على الأسرة العديد من الخسائر.

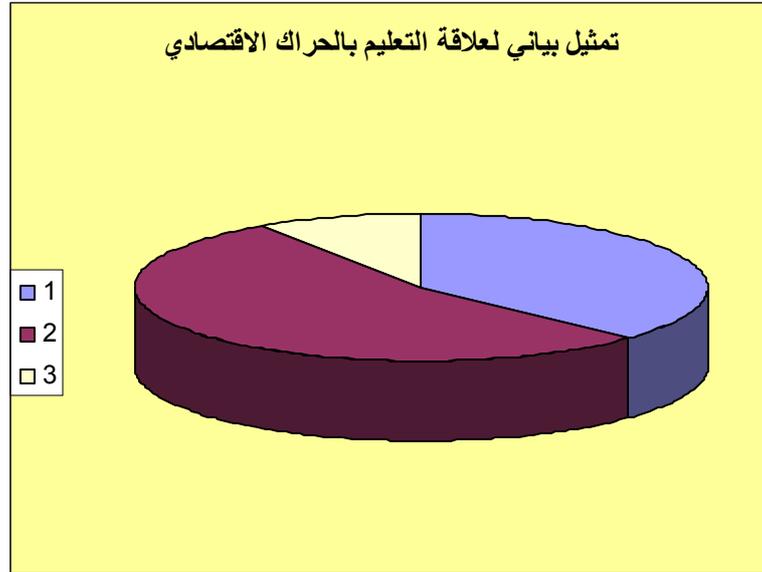
وأما من رأى أنها ليس لها اثر في رفاهية الأسرة فهم يرون ان المرأة المتعلمة تريد دائما العيش في حياة طيبة ومتطلبات كثيرة مما يرهق كاهل الأسرة بالعديد من الكماليات التي كان بإمكانها التخلي عنها ومن خلال ما سبق ومن خلال المتوسط الحسابي الذي تحصلنا عليه وهو 2.22 وان مستوى القبول أكثر من مستوى الرفض يمكننا ان نستنتج بان تعليم المرأة يحقق رفاهية اقتصادية للأسرة .

من خلال البند الثالث عشر في الجدول رقم 19 والذي يمثل أهم بند في المحور الأول من استمارتنا نلاحظ ان نسبة 44.28% يرون انه دائما ما تكون هناك علاقة بين التعليم والترشيد في الاستهلاك اما 47.14% فيرون انه أحيانا ما تحدث هذه العلاقة وأما الأقلية لتي لا تمثل الا 8.57% فيرون وجهة نظر رافضة لهذا الطرح ذلك ان مشكلة توفر السلع في الأسواق وسوء التوزيع وارتفاع أسعار السلع وتحكم طبقة التجار في الأسواق أصبحت مهمة تشغل بال كل أسرة في المجتمع في الوقت الحالي ولا شك انه بجانب هذه الجهود التي تقوم بها الجهات المختصة لعلاج تلك المشاكل التي تعاني منها الجماهير الا ان النجاح في الوصول إلى حلول خاصة بها يرجع بصفة كبيرة الى المستهلك نفسه فالمستهلك سوف يظل سيد السوق ويمكنه ان يقوم بدور كبير وفعال في حل تلك المشاكل وذلك عن طريق الحد من الاستهلاك والامتناع عن شراء السلع بالأسعار التي تزيد عن القيمة الحقيقية لها والتي يعمد التجار الجشعون إلى رفعها لان ذلك من شأنه ان يحدث موازنة تلقائية ففي قانون العرض والطلب، إن المبادرة بترشيد الاستهلاك على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع والدعوة إلى الحد من استهلاك السلع على اختلاف أنواعها وخاصة السلع الغذائية وعدم التهافت على شرائها بكميات كبيرة خوفا من عدم توفرها في الأسواق بصفة دائمة ،لأنه لو تصرف كل أسرة بهذا المنطق فانه مما لاشك فيه ان السلع الجاهزة المعنية لن تستطيع ان توفى الأسواق بجميع احتياجاتها في ظل الطلب المتزايد والمستمر على تلك السلع و بالتالي فإنه لا بد ان تبادر كل أسرة بنفسها الى ترشيد

الاستهلاك ، وهذا سوف يؤدي الى وفرة في المعروض من السلع والقضاء على ظاهرة الوسطاء وارتفاع أسعار العديد من السلع الاستهلاكية كما انه يجب التأكيد على دور الوحدات الاقتصادية والأجهزة الحكومية في تنظيم الاستهلاك ونستطيع القول انه مهما بذلت الجهود لمحاولة تثبيت أسعار تلك المواد فانه لا بديل في نفس الوقت عن الاهتمام بترشيد الاستهلاك كضرورة قومية لمواجهة التزايد العالمي في أسعار السلع الاستهلاكية والإنتاجية التي أصبحت ظاهرة عامة انعكست على اقتصاديات كل الشعوب والدول والمجتمعات والأسر والأفراد ، والفرد المتعلم هو أكثر الناس وعيا بالترشيد لأنه قد تلقى في أثناء تعليمه الذي يركز على قيم اجتماعية ودينية حيث ان ديننا يرفض التبذير ويجعل المبذر أبا للشيطان ورأينا في دراستنا ان الأغلبية وافقت على ايجابية هذا الطرح ويرجع ذلك أيضا إلى ان هذا المتعلم في اغلب الأحيان يكون موظفا ويكون راتبه منظما في وصوله إليه مما يساعده على رسم إستراتيجية لتقسيم هذا الدخل مما يضمن له حسن التصرف فيه ويؤكد ذلك ما وصل إليه محمد العيد مطمر ان الثقافة والتربية والتعليم عن طريق محو الأمية تؤدي إلى ترشيد الاستهلاك فكانت الإجابة كالتالي : 23 % لا 62% نعم و 15% لا ادري، ومن خلال كل هذا نستنتج ان التعليم يساعد على الترشيد في الاستهلاك

جدول رقم (20) يبين النتائج العامة للفرضية الفرعية الأولى

علاقة التعليم بالحراك الاقتصادي		دائما		أحيانا		أبدا		المجموع	
ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
340	37.36	484	53.17	86	9.54	910	100		



شكل رقم (1) تمثيل بياني لعلاقة التعليم بالحراك الاقتصادي في مجتمع الجنوب الجزائري

نلاحظ من خلال الجدول رقم (20) ان نسبة القبول لان هناك علاقة بين التعليم والحراك الاجتماعي حيث من أجاب بدائما كانوا يمثلون 37.36% وكانت نسبة من أجاب باحيانا 53.17% ولم تكن نسبة الرفض الا 9.45% حيث انه من أهم ما يشغل بال كل فرد من مجتمعات العالم ان يحقق لنفسه تنمية اقتصادية وقد عرفت هذه التنمية بأنها العملية التي يقوم بها المجتمع في تطوير إمكاناته وموارده بما يحقق له الزيادة في الدخل القومي والذي بالتالي يحقق زيادة في دخل أفراده بما يوفره لهم من خدمات مطلوبة فمن المنظور الاقتصادي البحث تعني التنمية استمرارية وتعظيم الرفاه الاقتصادي لأطول وقت ممكن اما قياس هذا الرفاه فيكون عادة بمعدلات الدخل والاستهلاك والنقل والملبس والصحة والتعليم وهي تعني الأكثر والأفضل نوعية من هذه المكونات ومع بداية الستينات اتجهت نماذج النمو الاقتصادي الى الاستثمار في البشر ، من خلال أولوية

للتعليم والتدريب وظهر في تلك الفترة مفهوم التنمية البشرية مع أصوله الاقتصادية الواضحة التي قام بها كندريك وشولتز و كارتنسي على نتائج مذهلة حول اثر قدرات البشر في النمو الاقتصادي بحيث ان 90% من ذلك النمو في الدول الصناعية كان مرجعه تحسين قدرات الانسان ومهاراته فالقدرة الإنسانية – وليس رأس المال – هي العنصر الدافع رقم واحد للتحرك الاقتصادي ، أما في هذه الأيام ما يميزها هو الاندماج بين عناصر العلم والتكنولوجيا والثقافة مع الاقتصاد ليعاد تشكيل علاقات العلم الاقتصادية والسياسية والثقافية ، ان المعارف العلمية وتطبيقاتها الاقتصادية بوصفها عقلا جماعيا كما يشهد تاريخها كله باتت تتضاعف مرة بمعدل كل 18 شهرا كما تشير بعض التقديرات¹ ، لذلك بات من الضروري على المجتمعات المعاصرة التي أدركت الدور الاستراتيجي لاقتصاد المعرفة توجبه الجهد وتركيزه على بناء الرؤية التكاملية والشاملة لأنشطة مؤسساتها والسعي لتحقيق الترابط والتفاعل ، وهكذا يظهر ان النشاط الاقتصادي الراهن ينشئ طلبا قويا على المعرفة . ومن خلال ما توصلنا إليه من دراستنا الميدانية ومع الشهادات التي وجدناها عند من سبقنا نستطيع ان نقول ان النهوض والتغيير والإصلاح والحراك الاقتصادي لا يمكن أن يتم خارج مواضع التعليم فالتاريخ و التجربة تؤكد أن التربية والتعليم سبيل للحراك الاجتماعي الاقتصادي ومن هنا نستنتج ان الفرضية الفرعية الأولى قد تحققت و أظهرت الدراسة انه توجد علاقة ترابط إيجابي بين التعليم الرسمي والحراك الاجتماعي الاقتصادي في مجتمع الجنوب الجزائري

¹ محمد إبراهيم الهنداوي المرجع السابق نفسه،ص 7.

الخاتمة

إن هذا البحث من البحوث التي تدرس استثمار التربية والتعليم في المجال التنموي وتطوير طاقات البشر كما يحاول التركيز على استثمار المعرفة في مجالات تغيير المجتمعات والثورة على كل ما يعرقل مسار انتشار قيم التطور والاستقلال وحرية التفكير وأحقية كل فرد في تغيير مكانته في المجتمع .

ولقد خلصت في نهاية الدراسة إلى إن التعليم وخاصة إذا كان تحت وصاية الدولة ، ما يعني انه ينشر على أوسع نقطة بين أفراد المجتمع ، يتبع هذا الفرد منذ صغره إلى أن يصبح قادرا على تحمل المسؤولية ، له علاقة وطيدة بتغيير مكانة الفرد بل والفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها هذا الفرد أن على المستوى الاقتصادي أو على المستوى الثقافي ما يعني انه تغيير على كل المستويات الاجتماعية بل تغيير على أهم مستويات الحياة ككل .

ولقد حاولت في تفسيري لهذه النتائج أن أركز على أنها خاصة بمجتمع الدراسة وتفسيرها إنما يرجع إلى خصوصيات هذا المجتمع وفي الأخير فإنني لا ازعم أنني أصل برسالتي هذه إلى درجة الكمال ولكني أرجوا أن تكون شحذا لهمم الباحثين من بعدي وتكون بداية انطلاقا للمهتمين بموضوع التعليم هذا الموضوع الذي هو الركيزة لكل حراك وتنمية وهو الأساس في كل بناء وترقية والتخلي عنه يعني السقوط في براثن التخلف والتراجع الحضاري.